



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية اللغة العربية
قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

البلاغة القرآنية في تفسير الشيخ

ابن عثيمين (رحمه الله)

(دراسة وتقويم)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير

إعداد

رانية بنت عبد الله بن عبد الكريم الشامخ

إشراف الدكتور

عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر

الأستاذ المشارك في قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي

العام الجامعي: ١٤٣٢ / ١٤٣٣ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الله ﷻ كما تكفل بحفظ ألفاظ القرآن الكريم، فقد تكفل ببيانه كما قال ﷻ: ﴿إِن عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قُرَأَتْهُ فَأُنبِئْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

وقد هيأ الله لهذه الأمة المباركة من يبين لها معاني القرآن على مر العصور، حيث تصدى لهذه المهمة علماء أجلاء، وأئمة نبجاء، فسروا آيات القرآن، وبينوا معانيه، وأظهروا أسراره الكامنة، وأبانوا عن بلاغته وأسراره وإعجازه.

فترك هؤلاء العلماء لمن بعدهم ثروة علمية هائلة، تمثلت في كتب التفسير المشتهرة؛ التي تلقتها الأمة بالقبول، واستفاد منها العلماء، وطلبة العلم جيلاً بعد جيل. ومن أولئك الراسخين الذين تركوا ميراثاً تفسيرياً مباركاً الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله تعالى-، فقد تميز تفسير هذا العالم الجليل بأنه من أفضل التفاسير المعاصرة دقة ومنهجاً واستنباطاً وتحريماً للحق، مع ما امتاز به من سلفية المعتقد، والرد على أهل البدع والضلالات.

كما تميز تفسيره -رحمه الله- بحسن الجمع بين الأقوال المتنوعة، وفي اختيار الراجح منها عند تعارضها، وقد ظهرت البلاغة القرآنية في أوج صورها، إضافة إلى عنايته -رحمه الله- بعلوم البلاغة ووقوفه على فنونها وأفنانها من خلال تفسيره. فشرعت - متوكلة على الله - بدراسة منهجه البلاغي من خلال كتب التفسير ومؤلفاته الأخرى؛ لتكون موضوعاً لبحث رسالة الماجستير في البلاغة، وسميته:

البلاغة القرآنية في تفسير الشيخ ابن عثيمين دراسة وتقويماً

أسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل، إنه سميع مجيب الدعاء.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- ١- أن ميدان هذا البحث هو كتاب الله تعالى، وقد قيل: إن شرف العلم بشرف المعلوم.
- ٣- مكانة الشيخ ابن عثيمين العلميّة.
- ٤- اهتمام الشيخ بالبلاغة العربية، فهو مبرز فيها، كما هو مبرز في علوم اللغة بعامة.
- ٥- أن للشيخ رحمه الله اجتهادات كثيرة واختيارات في وجوه بلاغات القرآن.
- ٦- ان تفسير الشيخ رحمه الله على وفق منهج أهل السنة والجماعة في أسماء الله وصفاته الحسنى، وفي مسائل الغيب وسائر أبواب الاعتقاد، ففي ذلك:
- ٧- الرد على من زعم أن تفاسير أهل السنة لا تجد فيها علوم البلاغة، أو تضعف فيها الجوانب البلاغية ويخفت ضوءها.
- ٨- عدم وجود مؤلف يتحدث عن البلاغة القرآنية في تفسير الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-.

أهداف البحث:

- ١- بيان بلاغة القرآن الكريم وإعجازه - من خلال ما كتبه الشيخ.
- ٢- تذوق أساليب القرآن، وتأملها وتدبرها .
- ٣- أن للشيخ ابن عثيمين -رحمه الله - نظراتٍ وتعليقات قيّمة في ميدان البلاغة غير مجموعة في كتاب أو رسالة، وتحتاج إلى من يلم شتاها ويدرسها درسا، فقد جلس للعلم والتعليم عقودا، وترك تراثاً ضخماً ينبغي الوقوف عليه لا سيما في هذا العلم.
- ٤- الاستفادة من جهود الشيخ - رحمه الله - في الكشف عن المسائل البلاغية المرتبطة بالقرآن؛ إذ كان لا يكتفي بنقل ما ذكره العلماء قبله فقط؛ بل كان يبدي رأيه - في الغالب - ويسير أغوار النصوص.
- ٥- إبراز علم الشيخ البلاغي مجموعا مبوبا.
- ٦- إبراز منهج الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في البحث البلاغي؛ ليكون في متناول الدارسين، حيث تمثل اجتهادات عالم له قدم راسخة.
- ٧- إبراز القيمة العلمية لتفسير الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-.

الدراسات السابقة حول الموضوع:

بعد البحث والاطلاع على فهارس الرسائل العلمية والدراسات في علوم القرآن واللغة العربية، وبالرجوع إلى مراكز البحوث، لم أجد من تعرض لبحث في تفسير الشيخ ابن عثيمين رحمه الله؛ عدا دراسة واحدة في التفسير وعلومه المقدمة من (د. أحمد بن محمد البريدي) لنيل درجة الدكتوراه من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، قسم علوم القرآن في الرياض.

ويعد هذا البحث دراسة جديدة؛ لتعلقه ببلاغة القرآن في كتب الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة: وفيها:

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف البحث، والدراسات السابقة حوله، وخطته، ومنهج الكتابة فيه.

التمهيد: وفيه تحدثت عن:

لمحة عن حياة الشيخ ابن عثيمين.

آثار الشيخ.

عنايته بالدرس البلاغي.

الفصل الأول: القضايا البلاغية، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وجوه إعجاز القرآن الكريم.

المبحث الثاني: المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث: المجاز.

المبحث الرابع: التوجيه البلاغي في آيات العقيدة.

الفصل الثاني: علوم البلاغة في تفسيره، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المعاني.

المبحث الثاني: البيان.

المبحث الثالث: البديع.

الفصل الثالث: السمات البلاغية وتقويمها، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: في المنهج.

المبحث الثاني: في المصطلحات.

المبحث الثالث: في الشواهد.

المبحث الرابع: في المصادر.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس الفنية للبحث، وهي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الآيات الشعرية.

٤- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥- فهرس المصادر والمراجع.

٦- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي، على النحو الآتي:

١- عزو الآيات القرآنية الواردة في الرسالة إلى سورها مع ذكر رقم الآية.

٢- تخريج الأحاديث النبوية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما عزوته إليهما، دون ذكر غيرهما لتلقي الأمة لهما بالقبول، فإن لم يكن فيهما عزوته إلى غيرهما من كتب السنن والمسانيد وغيرهما، مع ذكر درجة الحديث، نقلا عن العلماء.

٣- تقديم كل فن بلاغي بمقدمة موجزة له، فرمما يقع البحث في يد غير متخصص فيستفيد بذلك.

وقد واجهتني صعوبات في البحث، أهمها غزارة علم الشيخ وكثرة مؤلفاته، وقل أن يخلو كتاب للشيخ أيا كان فنه من تفسير آية قرآنية، مما استدعى قراءة تلك الأسفار والتنقيب في مطاويها لإخراج مادة البحث، بيد أن في تلك المؤلفات ما لم يطبع، بل هو مفرغ من الأشرطة من قبل تلاميذ الشيخ، فكنت أقرأ وأدقق وأثبت، شأن كل باحث.

هذا؛ وأشكر الله تعالى على ما أعان ويسر، فله سبحانه الشكر أولا وآخرا، كما أشكر المشرف على البحث الدكتور عبد المحسن بن عبد العزيز العسكر، جزاه الله خيرا على ما وجه ونصح وأرشد كل ذلك بسعة حلم ونفس تفيض بالعطاء، حتى خرج البحث بهذه الصورة،

والشكر موصول إلى الشيخين الكريمين فضيلة الدكتور: عوض الجميعي، وفضيلة الدكتور: يوسف العليوي، لقراءتهما هذه الرسالة، وما أبدياه من ملحوظات نيرة لها الأثر في إتمام هذا البحث والرقى به.

وأشكر من لهما سبق المعروف والفضل علي - بعد الله ﷻ - الدكتور: محمد بن علي الصامل، والدكتور: محمد بن خالد الفاضل فجزاهما الله خير الجزاء.

كما أنخص بالشكر والدي الحبيب- أطال الله في عمره على طاعته وصحته- وأشكر رفيق دربي زوجي الدكتور دخيل بن عبد الله الدخيل.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لجامعتنا المباركة؛ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على اهتمامها وعنايتها بعلوم اللغة العربية، وعلى أن أتاحت لي هذه الفرصة لمواصلة الدراسة. والشكر موصول لقسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي بكلية اللغة العربية على ما يقدم لطلابه متمثلا برئيس قسمه الدكتور: سليمان المنصور؛ الذي

لم يأل جهدا في النصح ومد يد العون لابناء هذا القسم المبارك ، وأشكر لسائر إخوتي وزميلاتي ما وقفوا معي، أحسن الله إليهم كما أحسنوا إلي.

أسأل الله أن يغفر للشيخ محمد ابن عثيمين ويرفع درجته في المهديين، وأسأله سبحانه أن ينفع بهذا البحث، وأن يغفر للكاتب ما أخطأت فيه أو قصرت.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وآله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

الرياض في ٧ جمادى الآخرة ١٤٣٣ هـ.

التمهيد

وفيه تحدثت عن:

لمحة عن حياة الشيخ ابن عثيمين.

آثار الشيخ.

عنايته بالدرس البلاغي.

١- لمحة عن حياة الشيخ ابن عثيمين:

نسبه ومولده:

هو صاحب الفضيلة الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسّر، الورع الزاهد، أبو عبد الله، محمد بن صالح بن سليمان بن محمد بن عبد الرحمن بن عثمان بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أحمد بن مقبل؛ من آل مقبل؛ من آل ريس الوهبي التميمي، وجدّه الرابع عثمان أطلق عليه: عثيمين؛ فاشتهر به، وهو من فخذ (وهبه) من تميم، نزح أجداده من الوشم إلى عنيزة - إحدى محافظات القصيم - في المملكة العربية السعودية، وولد فيها ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك عام ١٣٤٧هـ، في عائلة معروفة بالدين والاستقامة؛ حيث تتلمذ على بعض أفراد عائلته^(١).

عصره وحياته العلمية:

نشأ الشيخ -رحمه الله تعالى- في منطقة نجد، وهي التي ازدانت بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فازدهرت الحياة العلمية بظهور تلك الدعوة؛ ولا سيما في ظل عهد الدولة السعودية الذي امتاز بالأمن والاستقرار والرخاء؛ مما كان له أثر كبير في هذه النهضة العلمية، وكانت منطقة نجد تحتضن نخبة من العلماء البارزين على مستوى العالم الإسلامي، وفي هذا الوقت ولد الشيخ وبدأ طلبه للعلم منذ نعومة أظفاره، وكان حريصاً على التحصيل واغتنام الوقت؛ حيث تعلم القرآن الكريم على يد جده من جهة أمه عبد الرحمن الدامغ -رحمه الله-، ثم تعلم الكتابة وشيئاً من الأدب والحساب، والتحق بإحدى المدارس، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب في سن مبكرة، وكذا مختصرات المتون في الحديث والفقه.

ثم إن الشيخ محمد ابن عثيمين -رحمه الله- التحق بحلقة المبتدئين التي رتبها الشيخ عبد الرحمن السعدي^(٢)، وكان القائم عليها فضيلة الشيخ محمد بن عبد العزيز المطوع -رحمه الله-.

(١) ينظر: الإمام الزاهد، ناصر الزهراني: ٢٧، والجامع لحياة العلامة محمد ابن عثيمين، لوليد الحسين: ١٠.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي، أبو عبد الله التميمي، ولد سنة ١٣٠٧هـ، وتوفي سنة ١٣٧٦هـ. عالم له عدة مؤلفات مطبوعة وأبرزها: تيسير الكريم الرحمن، والفوائد السعدية من المواعظ الربانية. ينظر:

ولما أدرك ما أدرك من العلم في التوحيد، والفقه، والنحو، جلس في حلقة شيخه فضيلة الشيخ عبد الرحمن السعدي أحد أبرز علماء عصره، فدرس عليه في التفسير، والحديث، والتوحيد، والفقه وأصوله، والفرائض، والنحو.

ويعد الشيخ عبد الرحمن السعدي شيخه الأول الذي نهل من معين علمه، وتأثر بمنهجه، وتأصيله، واتباعه للدليل، وطريقة تدريسه، وقد توسم فيه شيخه النجابة والذكاء، وسرعة التحصيل فكان به حفيًا، ودفعه إلى التدريس وهو مازال طالبًا في حلقاته؛ فكانت أول جلسة عقدها للتدريس سنة ١٣٧١هـ، أي قبل وفاة شيخه السعدي بخمس سنوات.

ومن عظم منزلة الشيخ ابن عثيمين عند شيخه - رحمهما الله - أنه عندما انتقل والد الشيخ محمد - رحمه الله - إلى الرياض إبان أول تطوره رغب في أن ينتقل معه ولده الشيخ محمد، فكتب له الشيخ السعدي - رحمه الله - : «إن هذا لا يمكن نريد محمدًا أن يمكث هنا حتى يستفيد»^(١). ويقول فضيلة الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : «إنني تأثرت به كثيرًا في طريقة التدريس، وعرض العلم وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني، وكذلك تأثرت به من ناحية الأخلاق؛ لأن الشيخ عبد الرحمن - رحمه الله - كان على جانب كبير من الأخلاق الفاضلة، وكان على قدر كبير في العلم والعبادة، وكان يمازح الصغير ويضحك إلى الكبير، وهو من أحسن من رأيت أخلاقًا»^(٢).

كما قرأ الشيخ محمد علي الشيخ عبد الرزاق عفيفي^(٣) - رحمه الله - في النحو والبلاغة أثناء وجوده في عنيزة.

مقدمة تيسير الكريم الرحمن: ٥-٨ ، والفوائد السعدية من المواعظ الربانية من تفسير تيسير الكريم الرحمن للشيخ:

عبد الرحمن السعدي، إعداد عبد الله المسعود: ٧.

(١) مجموع الفتاوى: ١ / ٩-١٠.

(٢) المرجع السابق: ١ / ١٠.

(٣) عبد الرزاق بن عطية بن عبد البر ولد في مصر سنة ١٣٢٣هـ وتوفي في الرياض سنة ١٤١٥هـ، داعية ومدرس ومشارك في أعمال الخير، عمل نائباً لرئيس البحوث العلمية والإفتاء وعضواً في هيئة كبار العلماء، وله مذكرة في التوحيد (مطبوع)، وحاشية على تفسير الجلالين (مطبوع). ينظر: مجلة البحوث الإسلامية، العدد: ٥٨، من رجب إلى شوال ١٤٢٠هـ، بحث للشيخ: عبد الرحمن السديس بعنوان: عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي، فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي إعداد: وليد بن منسي والسعيد عبده: ٢١-٣٢.

ولما فُتح المعهد العلمي بالرياض أشار عليه بعض إخوانه^(١) أن يلتحق به، فاستأذن شيخه عبد الرحمن السعدي، والتحق بالمعهد العلمي بالرياض سنة ١٣٧٢هـ، حيث انتظم في الدراسة سنتين انتفع فيهما بالعلماء الذين كانوا يُدرسون في المعهد حينذاك، ومنهم العلامة الشيخ محمد الأمين الشنقيطي^(٢)، والشيخ عبد العزيز الرشيد^(٣)، والشيخ عبد الرحمن الأفريقي^(٤)، وغيرهم رحمهم الله.

واتصل بسماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن عبد الله بن باز^(٥) -رحمه الله - فقرأ عليه من صحيح البخاري، ومن رسائل شيخ الإسلام ابن تيمية، وأخذ عنه النظر في آراء فقهاء المذاهب، والمقارنة بينها، ويعد سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز شيخه الثاني في التحصيل والتأثر به^(٦)، يقول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-: «تأثرت بالشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- من جهة العناية بالحديث، وتأثرت به من جهة الأخلاق أيضاً وبسط نفسه للناس»^(٧).

وتخرج الشيخ من المعهد العلمي، ثم تابع دراسته الجامعية انتساباً حتى نال شهادته عام ١٣٧٧هـ في كلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، وقد ذكر عن

(١) هو الشيخ علي الصالحي. ينظر مجموع الفتاوى: ١٠ / ١.

(٢) محمد بن الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن محمد الحكفي، ولد سنة ١٣٢٥هـ، وتوفي سنة ١٣٩٣هـ. عالم ومفسر، له عدة مؤلفات طبع منها: منع المجاز في المنزل للتعب والإعجاز، وأضواء البيان في تفسير القرآن وغيرهما، ينظر ترجمة الشيخ محمد الأمين للسديس: ٢٢٣-٢٢٤، ومقدمة نثر الورود على مراقبي السعود: ٢٣-٢٤.

(٣) عبد العزيز بن ناصر الرشيد ولد سنة ١٣٣٣هـ وتوفي سنة ١٤٠٨هـ بالرياض من علماء القصيم، درّس في الحرم المكي وفي المعهد السعودي بمكة، ثم عين رئيساً لهيئة التمييز بالرياض سنة ١٣٨١هـ، ومن مؤلفاته المطبوعة: القول الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، والتنبيهات السننية. ينظر: مقدمة التنبيهات السننية: ٥-٨.

(٤) عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي ولد سنة ١٣٢٦هـ وتوفي سنة ١٣٧٧هـ، عالم بالحديث النبوي، اشتغل في التدريس في الحرم النبوي ثم بالمعهد العلمي بالرياض، له عدة مؤلفات مطبوعة منها: الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية، وجواب الأفريقي. ينظر ترجمة الشيخ عمر محمد فلاته للأفريقي: ١ / ٣٤.

(٥) عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ولد سنة ١٣٣٠هـ، وتوفي سنة ١٤٢٠هـ. مفتي السعودية سابقاً ورئيس إدارات البحوث العلمية والإفتاء، من مؤلفاته المطبوعة: الفوائد الجلية في المباحث الفرضية، التحذير من البدع وغيرهما. ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز، إعداد: محمد الحمد ٣٣-٣٥.

(٦) الإمام الزاهد للزهراي: ٢٧-٢٩.

(٧) مجموع الفتاوى: ١٠ / ١.

نفسه-رحمه الله- أن العلم الحقيقي الذي أدركه هو ما قرأه على مشايخه في المساجد، وإن كانت الجامعة أفادته علومًا أخرى^(١).

والجدير بالذكر أن سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم قد عرّضَ عليه في تولي القضاء، بل أصدر قراره بتعيينه رئيسًا للمحكمة الشرعية بالأحساء، فطلب منه الإعفاء، وبعد مراجعات واتصال شخصي من فضيلة الشيخ سمح -رحمه الله- بإعفائه من منصب القضاء^(٢).

أعماله ونشاطه العلمي:

١- التدريس:

- أ) بدأ التدريس منذ عام ١٣٧٠هـ في الجامع الكبير بعنيزة.
- ب) التدريس في المعهد العلمي بعنيزة عام ١٣٧٤هـ، إلى عام ١٣٩٨هـ.
- ج) التدريس في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم في كلية الشريعة وأصول الدين منذ العام الجامعي ١٣٩٨هـ / ١٣٩٩هـ حتى وفاته -رحمه الله-.
- د) التدريس في الحرم والمسجد النبوي في مواسم الحج، وشهر رمضان، والعطل الصيفية.
- ٢- المشاركة في لجنة الخطط والمناهج للمعاهد العلمية، وألفَ عددًا من الكتب المقررة بها.
- ٣- المشاركة في العديد من المؤتمرات الإسلامية التي عقدت في المملكة العربية السعودية.
- ٤- المشاركة في عضوية المجلس العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للعلماء الجامعيين ١٣٩٨هـ / ١٣٩٩هـ، ١٣٩٩هـ / ١٤٠٠هـ.
- ٥- المشاركة في عضوية هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية من عام ١٤٠٧هـ حتى وفاته -رحمة الله-
- ٦- المشاركة في طائفة من البرامج الإذاعية كبرنامج: نور على الدرب، وبرنامج: سؤال على الهاتف، وله برامج خاصة كبرنامج: أحكام القرآن الكريم.
- ٧- الإشراف على مكتب الدعوة وتوعية الجاليات في عنيزة.
- ٨- الإمامة والخطابة في الجامع الكبير في عنيزة منذ وفاة شيخه عبد الرحمن السعدي

(١) مجموع الفتاوى: ٢٦ / ٢٠٢٠.

(٢) السابق: ١ / ١١.

- عام ١٣٧٦هـ حتى ٣٠ / ٧ / ١٤٢١هـ، حيث كانت آخر خطبة له في هذا الجامع الكبير.
- ٩- إلقاء المحاضرات العلمية المتخصصة داخل المملكة، وخارجها عن طريق الهاتف.
- ١٠- التأليف؛ وكانت منذ عام ١٣٨١هـ، حيث ألف كتابه: الرد على الاشتراكية، ثم تابعت مؤلفاته حتى تاريخه، بل مازالت تُصدر بعد وفاته حتى تحرير هذه الرسالة.

شيوخه:

- نَهَلُ الشَّيْخِ ابْنِ عَثِيمِينَ - رَحِمَهُ اللهُ - فِي طَلْبِهِ لِلْعِلْمِ مِنْ عِدَّةِ شُيُوخٍ، بَعْضُهُمْ فِي عَنِيزَةِ، وَبَعْضُهُمْ فِي الرِّيَاضِ حِينَ سَكَنَهَا لِلدِّرَاسَةِ النِّظَامِيَّةِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذَكَرَ بَعْضُهُمْ^(١)، وَمِنْ الشُّيُوخِ الَّذِينَ دَرَسَ عَلَيْهِمُ:
- ١- الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَلِيمَانَ آلِ دَامِغٍ - رَحِمَهُ اللهُ - حَيْثُ قَرَأَ الشَّيْخُ الْقُرْآنَ عَلَيْهِ حَتَّى أَمَّ حَفْظَهُ، وَهُوَ جَدُّهُ مِنْ جِهَةِ أُمِّهِ.
- ٢- الشَّيْخُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَلِيِّ الْعُودَانَ - رَحِمَهُ اللهُ - قَرَأَ الشَّيْخُ عَلَيْهِ بَعْضَ كُتُبِ الْفِقْهِ، وَالْفَرَائِضِ - عِلْمِ الْمَوَارِيثِ -.
- ٣- الشَّيْخُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْمَطْوُوعِ - رَحِمَهُ اللهُ - فَقَدْ قَرَأَ عَلَيْهِ: مُخْتَصِرَ الْعَقِيدَةِ الْوَاسِطِيَّةِ، وَمَنْهَاجِ السَّالِكِينَ فِي الْفِقْهِ، وَكِلَاهِمَا لِلشَّيْخِ السَّعْدِيِّ، وَالْأَجْرُومِيَّةِ، وَالْأَلْفِيَّةِ فِي النُّحُوِّ وَالصَّرْفِ.
- ٤- الشَّيْخُ عَلِيُّ بْنُ حَمْدِ الصَّالِحِيِّ - رَحِمَهُ اللهُ - شَيْخَهُ وَقَرِينَهُ فِي الطَّلَبِ عَلَى يَدِ الشَّيْخِ السَّعْدِيِّ.
- وهؤلاء من أبرز المشايخ الذين تتلمذ عليهم الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - والمطلع على كتب الشيخ يرى أنه تتلمذ أيضاً على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله، فهو كثيراً ما ينقل عنهما ويذكر اختياراًهما^(٢).

(١) ينظر حياته العلمية في هذا البحث: ٥.

(٢) ينظر: السيرة الذاتية للشيخ المنشورة على الشبكة العنكبوتية. (الإنترنت) في موقعه (www.binothaimen.com).

(COM)، وجهود الشيخ ابن عثيمين: ٣٣-٣٤.

تلاميذه:

قرأ على الشيخ كثير من طلاب العلم عبر سنينه الطويلة التي جلس فيها للتدريس، يصعب حصرهم، ولكني أذكر طائفة من أشهرهم وهم:

١- الشيخ: حمد بن عبد الله الحمد.

٥- الشيخ الدكتور: عبد الرحمن بن صالح الدهش.

٤- الشيخ الدكتور: سامي بن محمد الصقير.

٣- الشيخ الدكتور: خالد بن علي المشيقح.

٢- الشيخ الدكتور: خالد بن عبد الله المصلح.

وغيرهم كثير ممن لا يتسع المجال لذكرهم^(١).

صفاته الشخصية:

تمتع الشيخ ابن عثيمين بصفات حميدة تنبئ عن عالم جليل، ذي مكانة عالية بين علماء عصره، خلّده علمه وخلقه:

فقد كان -رحمه الله- تقياً زاهداً ورعاً^(٢)، متواضعاً، يتّهم نفسه بالعجز والتقصير، ويمقت الكبر، حليماً صبوراً جاداً في طلب العلم وتعليمه، وفي تنظيم وقته، جواداً كريماً، وفيّاً لمشايعه باراً بهم.

أما زهده فظهر جلياً في هذا الموقف - والمواقف كثيرة - : أنه أهدي إليه سيارة من أمير منطقة القصيم، فلما قدم الشيخ إلى البيت وإذا بالسيارة بجوار البيت فأخبر عنها، فبقيت عند البيت لا تتحرك خمسة أيام، ثم اتخذ الشيخ قراره وقال لابنه عبد الله: تأخذ السيارة إلى الأمير وتشكره على صنيعه، وتخبره أنني غير محتاج إليها، فردت السيارة إلى الأمير، علماً بأن الشيخ عنده سيارة قديمة رخيصة الثمن، فلم يكن يهتّم بمظهر مركبه زهداً منه -رحمه الله تعالى - في

(١) الجامع لحياة الشيخ: ٥٤-٥٧.

(٢) الفرق بين الزهد والورع: يقول ابن القيم: «إن الزهد ترك ما لا ينفع في الآخرة، والورع ترك ما يخشى ضرره في الآخرة، والقلب المعلق بالشهوات لا يصح له زهد ولا ورع». الفوائد لابن القيم: ١١٨.

هذه الدنيا الزائلة^(١).

وإنّ من مواقف ورعه - رحمه الله تعالى - أنه عندما يتغيّب عن إمامة الجامع الكبير في عنيزة حيث كان يتقاضى راتبًا شهريًا مقابل إمامته للجامع، فإنه يدفع ما يقابل تغيّبه ولو كان يومًا واحدًا لمن استخلفه في الإمامة، وكذلك إذا تأخر عن العمل - عندما كان يدرس في المعهد العلمي بعنيزة - ولو لبضع دقائق أثبت ذلك في سجل الحضور وكتب أمامه بغير عذر^(٢). وهو يضرب أجلاً الأمثلة في الصبر؛ إذ تراه في شهر رمضان المبارك حينما يدلف إلى مكة المكرمة في العشر الأواخر، طيلة يومه في قراءة القرآن، والإجابة عن الفتاوى عن طريق الهواتف، ثم تبدأ رحلته الربانية بصلاة العشاء والتراويح، ثم درس بعد التراويح إلى القيام، ثم ينهال عليه طلبة العلم ويكتظ الزحام حوله؛ فيظل معهم ساعات طويلة يجيب عن سؤال هذا ويستمع لذلك، ويناقش واحدًا، ويلاطف ثانيًا، ويشرح لثالث، ثم يعود لصلاة الفجر؛ فيبدأ درسًا طويلًا من بعد الفجر إلى الضحى، ثم يدعى أحيانًا لإلقاء محاضرات أو لمشاركة في لقاءات دعوية أو في جمعيات خيرية، وهكذا دواليك، فما ازداد بالصبر والمثابرة إلا قوة ونشاطًا، وعزمًا وإقدامًا، وحبًا واحترامًا^(٣).

ومن أمثلة ذلك ما حدث مع الشيخ سليمان العلوان، حيث يقول: «اتصل الشيخ بي وكان ذلك بتاريخ ١٤١٥ هـ بشأن موضوع أفتيتُ به في مسألة الدماء في الحج فيمن ترك واجبًا أو فعّل محضورًا، وأراد الشيخ مناقشة المسألة، فتمّ اللقاء في منزل الشيخ ودار الحديث قرابة ثلاث ساعات تضمنت تأييد المنهج التعليمي في إصلاح الأفراد والمجتمعات، وطلب مني النظر في كتابه (الشرح الممتع) وموافاته ببعض الملاحظات، فكان يرسل إلي مع بعض الإخوة كل جزء يصدر من (الشرح الممتع) في حينه، ثم اتصل بي الشيخ - رحمه الله - في نفس العام، وقال: «بلغني من بعض طلبة العلم أنكم تُضعفون حديث أم سلمة: أن النبي ﷺ قال: ((إن هذا يوم رُخص لكم فيه أن ترموا جمرَةَ العقبة، فإذا غربت الشمس ولم تطوفوا بالبيت عدتم حرماً كما

(١) الجامع لحياة الشيخ: ٢٣.

(٢) السابق: ٢٤.

(٣) ابن عثيمين الإمام الزاهد: ١٧٤.

بدأتم))» فأخبرته بصحة ما ذكر وأن الحديث منكر، وطلب مني بعد ذلك أن أكتب له رأبي في هذا الحديث، وبعد ذلك أصدر الشيخ بخط يده فتوى بتضعيف هذا الحديث ونكارتة، وهي مطبوعة في كتابه (فتاوى الحج)...»^(١).

ومما تميز به رجوعه إلى الحق متى استبان له، والناظر في مؤلفاته يلمس ذلك عن قرب^(٢).
كما تميز - رحمه الله - بمتابعته للسنة وتحريه لها متى استبان له، وقد خالف في شرحه لزاد المستقنع مؤلفه في أكثر من ثمانين مسألة كانت خلاف الدليل عنده^(٣)، ومن تحريه للسنة ما ذكره عن نفسه - رحمه الله - أنه لا يدع غسل الجمعة أبداً، قال عن حديث: ((غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم)): «فالصواب عندي كالمقطوع به: أن غسل الجمعة واجب على كل إنسان، وما تركته منذ علمت بهذا الحديث لا صيفاً، ولا شتاءً، ولا حرّاً، ولا برداً، ولا إذا كان في مرض أحمّل معه الاغتسال، وقلت هذا حتى تعلموا أنني لا أشك في وجوبه، وأرى أنه لا بد أن يغتسل الإنسان»^(٤).

كما كان لا يبالي في إظهار السنة متى تبينت له فهو يسلك مسلك شيخه عبد الرحمن السعدي وعبد العزيز ابن باز - رحمهما الله - فكان يؤكد على أهمية التفريق في إظهار السنة ممن ليس عالماً معتبراً مقبولاً قوله، وبين إظهارها من أهل العلم الذين يصدر الناس عن أقوالهم، ويأخذ الناس بأرائهم فكان - رحمه الله - يوصي طلبة العلم، ومحبيه، والدعاة بأن يترفقوا في إظهار السنة ولا سيما في البلاد التي لم تظهر فيها سنة الرسول ﷺ، وكان الأمر على خلاف ذلك، فكان يقول - رحمه الله - لإخوانه الذين يسألون في إظهار سنة غير معروفة في بلدانهم: «ترفقوا بالناس... أبدووا بالسنة والترغيب فيها والحث عليها، ثم إذا وجدت أن الناس قد لانت

(١) الجامع لحياة الشيخ: ٨٦-٨٧.

(٢) من ذلك قوله رحمه الله في (مسألة مس المحدث للمصحف): «وكنيت في هذه المسألة أميل إلى قول الظاهرية - وهو جواز مس المصحف للمحدث لكن لما تأملت قوله: ((لا يمسه القرآن إلا طاهر)). تبين لي أنه لا يجوز أن يمسه القرآن من كان محدثاً حدثاً أصغر، أو أكبر، والذي أركن إليه حديث عمرو بن حزم». ينظر الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٢٦٥-٢٦٦.

(٣) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: ١/٤٧-٤٨-٧٣-٧٤-٥٨-٦٧-٧٦.

(٤) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ١/٥٨٦.

قلوبهم، وقبلوا قولكم فلا بأس بعد ذلك أن تعملوا لإظهارها، لكن ينبغي ألا يكون العمل بالسنة داعية إلى التفريق بين الناس، وإيقاع البلابل بينهم، أو ردّ الحق الذي يدعوهم إليه مما هو أولى من هذا وأكبر»^(١).

ومن سمات ابن عثيمين الظاهرة قوة الحافظة، وسعة الاطلاع، والقدرة على التأليف، يجد هذا من وقف على مؤلفاته ورسائله الكثيرة.

هذه بعض الأخلاق والشمائل والمثل النبيلة التي أهلتها - بتوفيق الله - لمكانة علمية مرموقة^(٢)، ومن نظر في كتاب (توجيه الراغبين إلى اختيارات الشيخ ابن عثيمين)^(٣) علم قوة الشيخ في الفقه وسعة اطلاعه، بحيث لا يشك في أنه من كبار فقهاء الإسلام.

ثناء العلماء عليه:

أثنى على الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - الكثير من العلماء والأمرء والأدباء؛ وقد اخترت بعضاً من كلام العلماء فيه؛ منها:

• ذكر سماحة مفتي عام المملكة العربية السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ، قائلاً: «الشيخ محمد - غفر الله لنا وله - لا تخفى على الجميع مكانته وآثاره العلمية من خلال التأليف والمحاضرات والدروس والمقالات، ومن خلال الأشرطة التي تحمل في طياتها كل خير، ومن حيث اعتداله وبعده عن الإفراط والتفريط، وكونه في أموره على طريق مستقيم، وكم ربّي من طلاب؛ وكم شرح من كتاب؛ واستفاد منه المستفيدون؛ ونسأل الله أن يجازيه عنا وعن الإسلام خير الجزاء...»^(٤).

• فضيلة الشيخ عبد الله بن جبرين - رحمه الله - عضو الإفتاء قال: «عندما قدمنا للدعوة في الرياض؛ زدنا ببعض مؤلفاته، ومنها تلخيصه الحموية وغيره من الرسائل التي كان قد

(١) من شريط: الشيخ ابن عثيمين كما عرفته للشيخ: خالد المصلح: الوجه الأول.

(٢) ينظر: العقد الثمين من قواعد الشيخ ابن عثيمين لرائد باجوري: ١٥-١٦، والجامع لحياة ابن عثيمين: ٢٤، والإمام الزاهد: ١٧٤.

(٣) للشيخ ابن عثيمين، جمع وإعداد: محمد بن عبد الله الذياب.

(٤) صحيفة عكاظ العدد رقم: ١٢٥٥٦.

طبعها، وبشرنا بأنه مقبل على التأليف والكتابة، وشرح لنا شيئاً عن شيخه عبد الرحمن ابن سعدي - رحمه الله - وذكر أنه هو الذي استفاد منه كثيراً، ثم ذكر لنا أنه يقوم بالخطابة في أحد المساجد بعنيزة، وأنه يؤلف الخطب ويكتبها في موضوعات ذات أهمية، ولها مناسبة للوقت، اقتداءً بشيخه ابن سعدي الذي كان يخطب في كل مناسبة بما يناسب الوقت... وكنا غالباً ما نستفيد منه، ونرسل إليه الكثير من الأسئلة. وكذلك نرجع نحن وغيرنا إلى مؤلفاته القيمة التي تعب فيها وحققها وجمع فيها كل ما حضر إليه، وكل مسألة كتبها تدل على عمق اختياره، وقد عرفنا منه حرصه على موافقة اختيارات شيخه ابن سعدي - رحمه الله - وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، ولو كان غيره قد يخالفه في شيء من تلك الاجتهادات التي في مجال الاجتهاد»^(١).

• فضيلة الشيخ: صالح بن عبد الله بن حميد، رئيس مجلس الشورى سابقاً وإمام الحرم المكي، قال: «كانت له طريقة فريدة في التعليم وشحذ همم الطلاب، وإثارة الأسئلة التعليمية، وضرب الأمثلة، والتخريج على القواعد، وفي الإفتاء له مسلك ظاهر في القصد إلى التيسير والاعتدال، مع لزوم الأدب مع المخالف، واحترام فقه الخلاف، وكان حسن الرعاية لتلاميذه، متابِعاً لتحصيلهم؛ مما جعل قلوب طلاب العلم تتعلق به، وترحل إليه، وتثني ركبها بين يديه، لقد وسعهم بعلمه، كما وسعهم بحلمه، وشملهم برعايته كما شملهم بتوجيهه»^(٢).

وفاته:

بدأت على الشيخ أعراض المرض في سنة ١٤٢٠هـ؛ وكان - رحمه الله - يظن بادي الأمر أنها امتداد للعملية الجراحية التي أجراها من قبل ذلك، فلم يعرها اهتماماً، وبعد انتهاء العام الدراسي سنة ١٤٢١هـ ذهب لزيارة بعض الأقارب في الرياض، وكان يشتكي ضعف النظر، فذهب به ابنه إبراهيم إلى مستشفى الملك فهد للحرس الوطني؛ لغرض فحص النظر فقط، فألح عليه ابنه عبد الله بوصية من والدته أن يجري فحصاً عاماً؛ ليتعرفوا على الأعراض التي يشكو

(١) صحيفة البلاد: العدد رقم: ١٦٢٣٣.

(٢) صحيفة الجزيرة العدد رقم: ١٠٣٤٧.

منها، فوافق -رحمه الله- على نصيحة الأطباء؛ وفي نفس اليوم أُجريت له الفحوصات المطلوبة فتبين للأطباء أن الشيخ مصاب بمرض سرطان القولون^(١)، ثم قرر الأطباء بأن يُحال الشيخ إلى مستشفى الملك فيصل التخصصي في الرياض؛ لأنه مختص بعلاج هذا المرض، وهناك أُجريت له الفحوصات وتأكد لهم وجود هذا المرض، ثم انتقلوا إلى مرحلة العلاج، فاختلقت وجهات النظر بالنسبة إلى الأطباء فبعضهم يرى أن يستعمل الجرعات الكيماوية، وبعضهم يرى أن يستعمل الإشعاع، ومع هذا فلم يؤثر المرض على نفسية الشيخ مع علمه به ولم يغير شيئاً من حياته المعتادة، فاستقبل المرض بالصبر والاحتساب والإيمان.

ثم عُرض على الشيخ -رحمه الله- السفر إلى بلاد أمريكا للعلاج فوافق - رحمه الله - بعد إلحاح ولاية الأمر في المملكة العربية السعودية، وإلحاح أفراد أسرته والمحبين له، وكان برفقته أخوه الدكتور عبد الله وأبناؤه الأربعة عبد الله وإبراهيم وعبد الرحيم وعبد العزيز، وزوجا ابنتيه خالد المصلح وسامي الصقير، ولكن المرض تفشى كثيراً. واتفق الأطباء على علاج معين وهو متوفر في مستشفى الملك فيصل التخصصي بالرياض، فقرر الشيخ -رحمه الله- العودة إلى السعودية ومواصلة العلاج هناك، وقد كره الشيخ العلاج بالكيماوي؛ بل رفضه؛ لأنه يسبب تساقط الشعر ومنه اللحية^(٢).

ثم تضاعف عليه المرض ولزم الفراش في المستشفى؛ ليكون تحت عناية الأطباء، وفي رمضان عام ١٤٢١ هـ وهو في العناية المركزة كان يُلحَّ على الأطباء أن يذهب إلى مكة للصلاة في الحرم وإلقاء الدروس، فسمحوا له فأرسلوه بطائرة إخلاء طبية، ووضعت له غرفة في المسجد الحرام بمكة المكرمة متكاملة بالأجهزة مع فريق طبي متكامل.

وأخذت حال الشيخ تزداد سوءاً يوماً بعد يوم، وهو لا يتوانى عن أن ينفع الناس، وعندما تدهورت الحالة الصحيّة لديه منع الأطباء السلام عليه ومصافحته؛ لضعف المناعة عند الشيخ بسبب العلاج والعقاقير، وقرر الأطباء عودته من الحرم إلى المستشفى التخصصي في جدة،

(١) كان الشيخ -رحمه الله- لا يجب أن يسمى مرض السرطان بـ(المرض الخبيث)؛ لأن هذا بلاء من الله، والله لا يأتي بالخبيث، بل كله خير. ينظر: الجامع لحياة الشيخ: ١٧٧.

(٢) هذا ما أفادتني به ابنة الشيخ فاطمة باتصال هاتفني في ٢ / ٨ / ١٤٢٩ هـ، والذي ذكر في أغلب المصادر التي ترجمت للشيخ -رحمه الله- أنه وافق على أخذ الكيماوي بعد كراهيته.

وأدخل غرفة العناية المركزة بعد أن صَلَّى عيد الفطر عام ١٤٢١هـ بالحرم، وذكر من كان حوله أنه كان يقرأ القرآن ويلهجُّ بالذكر حتى دخل في غيبوبة، ثم وافته المنية بعد عصر يوم الأربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٢١هـ، عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، قضاها في خدمة الإسلام والمسلمين. وصُلِّي عليه في المسجد الحرام - بعد صلاة العصر يوم الخميس - وشيعته جموع عظيمة من الناس إلى مقبرة العدل بجوار شيخه العلامة عبد العزيز ابن باز رحمهما الله جميعًا وجعل في قبريهما الضياء والنور والفسحة والسرور^(١).

(١) ينظر: الجامع لحياة الشيخ: ١٦٦-١٧٢، إغاثة الجموع ٣٨، العقد الثمين: ١٧.

٢- آثار الشيخ ابن عثيمين:

للشيخ -رحمه الله تعالى - مؤلفات كثيرة، بعضها كان دروسًا مُلقاة ثم نقلها تلاميذه إلى الورق، وأخذها الشيخ بالمراجعة والتحرير، حتى خرجت نتاجًا حافلًا بالفوائد والفرائد، وقد تُرجمت بعضُ منها إلى لغاتٍ عدة من: الإنجليزية والفرنسية والتاميلية وغيرها، ومن هذه المؤلفات المطبوعة:

- أحكام من القرآن الكريم: (الفاتحة والبقرة).

- أسئلة مهمة.

- أسئلة وأجوبة في صلاة العيدين.

- الإمام ببعض آيات الأحكام تفسيرًا واستنباطًا.

- إرشاد العباد إلى معرفة الله وتوحيده.

- إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المختار.

- أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنة منها.

- الاختيارات والترجيحات.

- أخطاء يرتكبها بعض الحجاج.

- أسئلة من بائعي السيارات.

- تفسير قوله تعالى: (يا نساء النبي...).

- تخريج أحاديث الروض المربع.

- تنبيه الأفهام بشرح عمدة الأحكام.

- التمسك بالسنة النبوية وآثارها.

- التوبة.

- التحذير من فتنة التكفير.

- التوحيد ومعنى الشهادتين وحكم المتابعة.

- تسهيل الفرائض.

- تفسير آية الكرسي.

- تفسير سورتي الفاتحة والبقرة.

- تفسير سورة آل عمران.
- تفسير سورة النساء.
- تفسير سورة الكهف.
- تفسير سورة ص.
- تفسير سورة يس.
- تفسير سورة الحجرات حتى سورة الحديد.
- تفسير سورة الصافات.
- تفسير جزء عم.
- الحكمة من إرسال الرسل.
- حقوق الراعي والرعية.
- حاشية على الروض المربع.
- توجيهات للمؤمنات حول التبرج والسفور.
- حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة.
- رسالة الحجاب.
- رسالة في أن الطلاق الثلاث واحد ولو بكلمات.
- رسائل فقهية.
- رسالة في قصر الصلاة للمبتعثين.
- رسالة في صفة الصلاة.
- رسالة في القضاء والقدر.
- رسالة إلى الدعاة.
- رسالة في الصلاة والطهارة لأهل الأعذار.
- رسالة في أقسام المداينة.
- رسالة في النكاح وفوائده.
- رسالة في الوضوء والغسل والصلاة.
- زاد الداعية إلى الله.
- شرح الأربعين النووية.

- شرح حلية طالب العلم.
- شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن.
- شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.
- شرح الآجرومية.
- الشرح الممتع على زاد المستقنع.
- شرح دروس البلاغة.
- شرح رياض الصالحين.
- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات.
- الضياء اللامع من الخطب والجوامع.
- فصول في حكم الصيام والتراويح والزكاة.
- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام.
- الفتاوى الذهبية في الرقى الشرعية.
- فتاوى وتوجيهات في الإجازات والرحلات.
- الفتاوى النسائية.
- فقه العبادات.
- كتاب العلم.
- كيف يؤدي المسلم مناسك الحج والعمرة.
- مجموع فتاوى ورسائل، صدر منها حتى تحرير هذا البحث أربعة وثلاثون مجلداً، وهو يحوي بين طياته العديد من الفتاوى والرسائل العلمية.
- مناسك الحج والعمرة والمشروع في الزيارة.
- مكارم الأخلاق.
- منهاج أهل السنة.
- مختارات من فتاوى الصلاة.
- مختارات من إعلام الموقعين.
- مختارات من الطرق الحكمية.

- مختارات من زاد المعاد.
- المناهي اللفظية.
- نيل الأرب من قواعد ابن رجب.
- مختصر مغني اللبيب عن كتاب الأعراب لابن هشام في النحو.
- المنتقى من فرائد الفوائد.
- منظومة في أصول الفقه وقواعده.
- المنهج لمريد العمرة والحج.
- المجموع الثمين.

٣- عنايته بالدرس البلاغي:

الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - من علماء الإسلام الكبار، وهو يُعد ظاهرة علمية فكرية متميزة؛ فقد ضرب في كل علمٍ بسهم، فهو فقيه، وأصولي، ومفسر، ونحوي، ولغوي، وبلاغي، ولقد تنوعت ثقافته وتعددت روافدها، ومن مظاهر عنايته - رحمه الله تعالى - بالدرس البلاغي ما يلي:

- اهتمامه بالتحليلات الذوقية، وتتبع الأغراض البلاغية، ولا سيما في اجتلابه الشواهد من القرآن الكريم، والسنة النبوية، وذلك عائد إلى ثقافته الشرعية الواسعة.
 - موازنته الظاهرة بين علم البلاغة وتوجيهاته، وبين العلوم الأخرى ولا سيما علم العقيدة؛ فإنه يسير أغوار علم البلاغة، ويطبق هذا العلم على الآيات القرآنية، مثبتًا ما يليق بجانب الله - عز وجل - ونافيًا ما ينزه عنه سبحانه.
 - من عناية الشيخ - رحمه الله - أنه يناقش أقوال البلاغيين، فله تحريرات وتعقبات ظاهرة.
 - أنه - رحمه الله - لم يقف موقف الناقل والمتابع، بل يقف موقف العالم الموسوعي الذي تذوق هذا العلم، حتى أضاف إليه بعض الأقسام والأسماء التي لم يسبقه إليها أحد قبله.
 - حديثه - رحمه الله - عن فضل علم البلاغة في مناسبات تدعو إلى ذلك.
 - تكرار شرحه لكتاب دروس البلاغة، حيث شرحه أكثر من مرة.
- لهذا كله نرى أن جهود الشيخ ابن عثيمين في البلاغة جمّة، ولا سيما تحليلاته لآيات القرآن والأحاديث النبوية، ففيها فرائد بيانية وفوائد ثرة، وكثير منها توصل إليها الشيخ بثاقب فكره، ودقيق نظره، وقوة تأصيله العلمي، وكل من راجع تفسير الشيخ للقرآن وشروحاته الحديثية يدرك ذلك، فرحمه الله رحمة واسعة.

الفصل الأول

القضايا البلاغية

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: وجوه إعجاز القرآن.

المبحث الثاني: المتشابه اللفظي.

المبحث الثالث: المجاز.

المبحث الرابع: التوجيه البلاغي في آيات العقيدة.

المبحث الأول: وجوه إعجاز القرآن الكريم:

تعريف الإعجاز:

في اللغة:

يقال: عَجَزَ الشيءُ يَعْجِزُ عَجْزًا فهو عاجزٌ؛ أي ضعيف، ويقال: أعجزني فلان، إذا عَجَزْتُ عن طلبه وإدراكه، وعجزت المرأة تَعْجِزُ عَجْوزًا: كبرت وأسنّت: لعجزها في كثير من الأمور، قال تعالى: ﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾ [الشعراء: ١٧١]، العَجْزُ نقيض الحِزْمِ، عَجَزَ عن الأمر عجزاً، فمعنى الإعجاز: الفوت والسبق، فالمعجزة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة^(١).

والمعجزة في الاصطلاح:

«أمرٌ خارقٌ للعادة مقرونٌ بالتحدي، سالمٌ من المعارضة يُظهره الله على يد رسله»^(٢).

من وجوه إعجاز القرآن:

الإعجاز البلاغي :

وهو الأساس الذي تحدّى به العرب، حيث كانوا من حذاق البلاغة وأرباب الفصاحة، وهذه سنة جرت في تحدي القوم بما يجدون، قال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣]، وليست مباحث الإعجاز إلا تأكيداً وشرحاً لهذه الفكرة^(٣) وهي أن القرآن معجز ، استعاراته معجزة، وإيجازه معجز، وأساليب إنشائه وقصره، والفصل والوصل بين جملة بديع ومعجز، كذلك التجانس البديع بين أصوات الحروف معجز، والحروف المقطعة

(١) ينظر: مقاييس اللغة: ٤/ ٢٣٢، ولسان العرب: (عجز).

(٢) الإتيان في علوم القرآن لابن قتيبة: ٢/ ١١٦.

(٣) ينظر: تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: ٢٢٣.

في أوائل السور، وفواصله معجزة، وحسن استهلاله وحسن اختتام السور، والتقديم والتأخير بين ألفاظه، واشتماله على الكنايات والتعريض مُعْجِز، فنظمه البديع المخالف لكل نظم معهود، وأسلوبه العجيب المخالف لجميع الأساليب، وجزالته التي لا تمكن لمخلوق معجزة، فقد تصرف القرآن في الألفاظ العربية على وجه لا يستقل به عربي، هذه لمحة سريعة عن أبرز وجوه الإعجاز التي ذكرها العلماء السابقون^(١).

ويظلُّ هذا الوجه - وهو الإعجاز البلاغي - هو الأساس في التحدي والإعجاز للعرب، وهو نظم القرآن ونسقه، فتركيبه هو ما أعجز العرب، قال الخطَّابي «لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني»^(٢)، ويأتي الباقلاني ليصرح بأن القرآن بديع النظم عجيب التأليف^(٣)، ويأتي الشيخ عبد القاهر ليصرح أكثر بأن مَرَد الإعجاز هو النظم... بل لا نبالغ إذا قلنا: إن عبد القاهر قد سخر كتابه (الدلائل) ليثبت هذه النظرية التي هي أساس الإعجاز^(٤).

والحديث عن هذا الإعجاز البلاغي لا تتسع له مقدمتنا هذه، فقد أردنا أن نبين بلمحة سريعة لتكون توطئة لما سنتحدث عنه.

وجوه الإعجاز عند الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله:-

أثناء البحث عن حديث الشيخ عن الإعجاز وجدته يقوم على ثلاثة أشياء:

- ١- تعريف الإعجاز.
- ٢- وجوه الإعجاز.
- ٣- قصة التحدي للعرب.

أولاً: تعريفه للإعجاز:

عرف ابن عثيمين - رحمه الله - الإعجاز اصطلاحاً تعريفاً لا يبعد عما ذكرنا سابقاً، قال

(١) ينظر: الطراز: ١ / ٥٧٩-٥٨٦، معترك الأقران: ١ / ١٤-٥١٤، مناهل العرفان: ٢ / ٣٠٠.

(٢) إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٢٧.

(٣) إعجاز القرآن للباقلاني: ١٠١.

(٤) ينظر دلائل الإعجاز: ٤٥ - ٥١ - ٩٩ - ١٠٠.

في شرحه للعقيدة السفارينية عند ما قال صاحب العقيدة: (ومعجزات خاتم الأنبياء) و«المعجزات: جمع معجزة، وهي في التعريف أمرٌ خارق للعادة يظهره الله ﷻ على يد الرسول شهادة بصدقه؛ فهو يشهد بصدقه بالفعل وهو إظهار هذه المعجزة»^(١)، ويمضي ابن عثيمين ليُفسر معنى كلمة خارق للعادة: «فقولنا: أمرٌ خارق للعادة، خرج به ما كان جاريًا على سنن العادة»^(٢)، وضرب الشيخ مثلاً من أنه لو ادعى رجلٌ أن الشمس ستشرق غدا صباحًا وأشرفت، فلا يعد قوله هذا معجزة؛ لأن هذا يحدث كل يوم ولم يأت بجديد، وذكر أيضا أنه لا كرامة في ذلك، قال ابن عثيمين: «فلو أن رجلا ادعى الولاية لله، وأراد أن يثبت ذلك للناس بكرامة له، فأخبر أن الشمس تطلع في اليوم المحدد في الوقت المحدد، وكان هذا الوقت هو موعد طلوعها الذي يعرفه الناس ويعهدونه، فخرجت كما قال، فإنه لا يعد ذلك شهادة له بالولاية، ولا يعد كرامة له؛ لأنه ليس خارقًا للعادة، فلا يكون كرامة»^(٣)، ويضرب مثلاً آخر بما ورد عن ابن تيمية حين طلب أحد أصحاب العقائد الفاسدة أن يدخل هو وابن تيمية في النار فأيهما لم يحترق فهو على حق: «فقال له شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: نعم ليس عندي مانع، فإذا كان الله ﷻ جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، فإنها تكون بردًا وسلامًا على أمة محمد، فلا مانع من أن ندخل النار، لكن بشرط أن نغتسل وننظف أجسامنا أنا وأنت قبل أن ندخل النار، فنكص الرجل على عقبيه، فقال شيخ الإسلام: أنا أعلم أن هذا الرجل قد طلى جسمه بمادة تمنع الاحتراق، فأراد أن يعجزني بهذا، فبُهِت الذي ابتدع»^(٤).

وبعد هذا يسأل الشيخ، فيقول: «هل إذا دخل رجل النار ولم تحرقه فهل هذا خارق للعادة؟»، قال الشيخ: مسألة: لو أن رجلاً من الناس دخل النار حقيقة ولم يحترق تأييدًا للشرع هل يعد هذا كرامة؟ الجواب: نعم، لأنه أمر خارق للعادة»^(٥).

ويمضي الشيخ مبينًا معنى قول من عرّف المعجزة بأن: (يُظهره الله على يد الرسول تأييدًا

(١) شرح العقيدة السفارينية: ٥٦٨.

(٢) السابق: ٥٦٨.

(٣) السابق.

(٤) السابق: ٥٦٨-٥٦٩.

(٥) السابق: ٥٦٩.

له، فإن أظهره الله على مدعي الرسالة تكذيباً له لا تصديقاً فليس بمعجزة^(١)، أي إن حدث عكس الأمر المتوقع كأن يطلب من المدعي أن يجيي الزرع الهالك فيقرأ عليه فيموت الزرع الباقي، واستشهد ابن عثيمين بقصة مسيلمة حينما طلب منه قومه حين غارت بئر لهم أن يمج الماء الذي تفضض فيه في البئر، فغار الماء الباقي وهم ينظرون «أن يحدث بالماء ما حدث في بئر غزوة الحديبية فلما مَجَّ هذا الماء في الماء الباقي غار - بإذن الله-، وهذا خارق للعادة وليس موافقاً لها، لكن كان تكديباً لا تصديقاً. وذكروا عنه أيضاً، أنهم أتوه بصبي شعر رأسه متمزق ليمسحه حتى يخرج بقية الشعر، فلما مسح على رأسه زال الشعر الموجود، وصار الصبي أصلع بالمرة، وهذا أيضاً خارق للعادة؛ لأن الإنسان لو مسح على رأس الصبي ما نبت الشعر ولا زال، لكن كان ذلك تكديباً له؛ ولهذا قلنا: المعجزة أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله على يد الرسول تأييداً له، وتصديقاً له»^(٢) فابن عثيمين -رحمه الله- يُقيد تعريف المعجزة بأنها تكون تأييداً لا تكديباً للرسول، وهذا هو الفرق بينه وبين الذي حدث للنبي في بئر غزوة الحديبية، فلما مَجَّ هذا الماء في الماء الباقي غار - بإذن الله-، وهذا هو الخارق للعادة.

ولم يقيد الشيخ المعجزة بالإعجاز القرآني فقط؛ وذلك لأنه يتحدث هنا عن معجزات عامة، فليس فيما أوردنا من أن مقصده تعريف الإعجاز القرآني بل تعريف للمعجزات عامة، وبهذا نستطيع أن نقول: إن الشيخ يتكلم عن معجزات عامة، ولكننا نجد بعد ذلك يبدأ التخصيص في الحديث عندما وقف على قول صاحب العقيدة السفارينية، قال المؤلف -رحمه الله-: «(منها كلام الله معجز الوري)، أي من هذه المعجزات (كلام الله) وَجَّكَ وهو القرآن، الذي أعجز الوري»^(٣).

ويحرص الشيخ -رحمه الله- على تسمية معجز القرآن (بالآية)، بل ويعمم ذلك على جميع معجزات الأنبياء، ويستدرك على مؤلف العقيدة السفارينية عندما قال: «ومعجز القرآن...»، قال الشيخ: «لكن هنا ملاحظة على قول المؤلف: (ومعجز القرآن) هذا من باب إضافة

(١) ينظر: إعجاز القرآن الكريم: د. فضل عباس، وسناء عباس: ٢١.

(٢) السابق: ٥٦٩-٥٧٠.

(٣) السابق: ٥٧٠.

الصفة إلى موصوفها لأن المعنى: والقرآن المعجز، وكان ينبغي له ألا يعبر عن آيات الأنبياء بالإعجاز؛ لأن الإعجاز ليس من خصائص الأنبياء، فإن الساحر يُعجز، والبهلواني يُعجز، فلمّا كان هذا اللفظ مشتركاً بين الحق والباطل، كان الأولى أن نأتي بلفظ يتعين فيه الحق، وهو ما نطق الله به وهو (الآيات) كما قال الله تعالى في القرآن: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَظِرُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]، فالأولى أن يقول: آيات القرآن بدل: معجز القرآن، والأولى في جميع ما يسمى بمعجزات الأنبياء أن نسميه آيات الأنبياء؛ لأن الآيات بمعنى العلامات الدالة على صدقه^(١)، ويرفض الشيخ رأي من قال إن هناك فرقاً؛ لأن معجزات الأنبياء مقرونة بالتحدي، فيرد الشيخ قائلاً: «وهذا غير صحيح؛ لأن آيات الأنبياء تارة تكون تحدياً؛ وتارة تكون ابتداءً بدون تحدد. فقد جاء الصحابة رضي الله عنهم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم في غزوة الحديبية، وقالوا له: يا رسول الله، ليس عندنا ماء، فدعا بإناء فوضع أصابع يده عليه فجعل الماء يفور من بين أصابعه^(٢)، وليس في هذا تحدد، وهم رضي الله عنهم لم يقولوا له اثنتا بآية، بل شكوا إليه قلة الماء فجاءت هذه الآية».

ويستمر الشيخ في ضرب الأمثلة على ذلك قائلاً: «وآيات الرسول صلى الله عليه وسلم كثيراً ما تكون بغير تحدد، كما جاءه الرجل وهو على المنبر صلى الله عليه وسلم^(٣)، فقال: ادع الله أن يغثنا: فدعا صلى الله عليه وسلم فأغثوا قبل أن ينزل من منبره، وجاء في الجمعة الثانية، وقال: ادع الله أن يُمسكها عنا فدعا فانفجرت السماء، وليس في هذا تحدد^(٤)، ويضيف الشيخ في التفريق بين معجزة الأنبياء وكرامات الأولياء: «وقال بعض الناس: إن معجزات الأنبياء تشبه كرامات الأولياء، فلذلك يجب أن تُنكر إما آيات الأنبياء أو كرامات الأولياء، وآيات الأنبياء لا يمكن إنكارها فلننكر كرامات الأولياء؛ فقالوا: لا يمكن أن يوجد للأولياء كرامات، والصواب أن كرامات الأولياء ثابتة فيمن

(١) السابق: ٥٥٣.

(٢) أخرجه: البخاري: ١٠/٢١٤، (٤١٥٢).

(٣) أخرجه: البخاري: ١/٤٥٩، (١٠١٣)، ومسلم: ٣/٢٤، (٢١١٥).

(٤) السابق: ٥٥٤-٥٥٥.

قبلنا وفي هذه الأمة...»^(١).

ويضربُ مثلاً بقصة مريم ليتوصل الشيخ إلى أن الكرامات لا تكون إلا من ولي تابع لنبي، وهذا الولي لا يُركي نفسه، ولا يقول إنه ولي وتأتيه كرامة^(٢)، ولعل سبب تشابه اصطلاح المعجزة بأفعال السحرة والبهلوان وما يكرم به الله الأولياء هو ما جعل الشيخ يفضل العدول عن لفظ المعجزة، إضافة إلى هذا ما ورد في الآية الكريمة من تسمية المعجزات بآيات بيّنات، ويذكر الشيخ أن المصنف يتابع تسميته بالمعجزة: «والمهم أن القرآن من أعظم المعجزات للنبي ﷺ، وأقول: من أعظم المعجزات تبعاً للمؤلف، وإلا فالصواب أن نقول: الآيات»^(٣).

ثانياً: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم عند الشيخ:

يقرر الشيخ أن القرآن معجز بجميع وجوه الإعجاز، إلا أنه يجعل أسلوبه على رأس هذه الوجوه، قال: «إذا قال قائل: ما وجه الإعجاز في القرآن؟ وكيف أعجز البشر؟ الجواب: أنه معجز بجميع وجوه الإعجاز؛ لأنه كلام الله، وفيه من وجوه الإعجاز ما لا يُدرك؛ فمن ذلك: أولاً: قوة الأسلوب، وجماله، والبلاغة، والفصاحة، وعدم الملل في قراءته»^(٤)، فهو يرى أن هناك وجوهاً من الإعجاز لا تُدرك، ومثال ذلك الأخبار المستقبلية فقد لا يدركها الإنسان لبعده الزمان، وهناك ما لا ينتبه لها أي شخص، ثم ترى الشيخ في موضع آخر متسائلاً أي الأمور هو مكن إعجاز القرآن الكريم؟ وأي هذه الوجوه هو الأقوى ليكون السبب الأقوى والأول في الإعجاز؟ قال الشيخ: «فإن قيل: كيف كان القرآن آية؟ أبلغه أم بمعناه أم بصدق مخبره أم بماذا؟ فالجواب: أنه آيةٌ بكل معنى الآية في اللفظ والأسلوب والمعنى، وأنه مهما كررته فلا يمكن أن تمل منه...»^(٥)، فالشيخ بعدما طرح الخيارات يرى أن مرد الإعجاز، لفظه وأسلوبه ومعناه، ويمضي الشيخ يضرب لنا مثلاً كعادته من أن: «الفاتحة التي نكررها في اليوم مرات ومرات ولا

(١) السابق: ٥٥٥.

(٢) السابق.

(٣) السابق: ٥٧١.

(٤) تفسير سورة البقرة: ١ / ٨٨-٨٩.

(٥) السابق: ٥٥٥-٥٥٦.

تملها أبداً، وهذا على عكس أي كلام آخر، فلو قرأت قطعة من أحسن قصيدة من قصائد العرب وكررتها في اليوم مرتين فإنك تمل، ثم لا تلبث أن تحس وكأنها شيء خلق، أما هذا القرآن فإنك مهما كررته لا تمل، وربما إذا وفقك الله للتدبر أن يفتح الله عليك في المرة الثانية من المعاني واللطائف ما لم تجده في المرة الأولى»، ثم يضيف الشيخ أيضاً أن من ضمن الإعجاز أثره على القلب: «وكذلك أيضاً في تأثيره على القلب، فإن الإنسان إذا قرأه بتدبر فإنه يلين القلب، ويوجه الإنسان إلى ربه، ويوجد طعمًا عجيبيًا للإيمان»^(١).

ونرى الشيخ يفاضل في وجوه الإعجاز فأولها عنده هي:

- ١- نظم القرآن وأسلوبه.
- ٢- تأثيره على القلوب، وآثاره في الفتوحات وانتصار الأمة الإسلامية وإعزازها وغير ذلك.
- ٣- إعجاز الناس أن يأتوا بمثله، ولا بسورة، ولا بحديث، مع أنهم أمراء الفصاحة والبلاغة، وهذا لا شك أنه من آيات الله ﷻ.
- ٤- أن قارئه لا يمل منه ولو كرره عدة مرات، بخلاف غيره فإنه مهما كان من الفصاحة والبلاغة فإنه يمل.
- ٥- حفظ الله له حيث بقي إلى وقتنا الحاضر في القرن الخامس عشر، ولم يستطع أحد أن يغير منه حرفاً واحداً، بينما الكتب السابقة بقيت دون ذلك وحرفت.
- ٦- ما فيه من الأخبار السابقة واللاحقة، حيث يخبر عن الشيء فيقع كما أخبر، ويخبر عن الماضي، ولا شك أن الماضي كما أخبر، ولهذا قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْتِكُم بِنُورٍ الَّذِي مِّن قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُورٌ وَعَكَادِ وَثُمُودٌ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩]، فيجب التحري في نقل أخبار الأمم السابقة؛ لأنه لا يعلمهم إلا الله ﷻ^(٢)، وبين الشيخ أن العرب تُحدوا بأفضل ما يتميزون به ويتقنون، قال الشيخ: «... أما محمد ﷺ فإنه بعث في زمن البلاغة العظيمة التي ترقى إلى أعلى ما يكون في العرب، واللسان العربي المبين أفصح الألسنة وأدناها على ما في الضمير، فبعثه الله ﷻ

(١) السابق: ٥٥٦.

(٢) السابق: ٥٧٠.

بقرآن كريم أعجز العرب أن يأتوا بمثله، ولن يأتي أحد بمثله لا الجن ولا الإنس...»^(١).
وقبل أن ننتقل إلى قصة التحدي لابد أن نقف على أمرين وقف عندهما الشيخ، وهما الإعجاز بالحرف المقطع في أوائل السور، وقضية الصرفة لنرى تناول الشيخ لهما:

أولاً: الحروف المقطعة في أوائل السور:

تحدث الشيخ عن الحروف المقطعة التي تأتي في أوائل الآيات فبين الشيخ أنها ليست لغوًا بل لها مغزى عظيم وأن الغرض منها: «هو الإشارة إلى بيان إعجاز القرآن العظيم، وأن هذا القرآن لم يأت بكلمات، أو بحروف خارجة عن نطاق البشر؛ وإنما هو من الحروف التي لا تعدو ما يتكلم به البشر؛ ومع ذلك فقد أعجزهم؛ فهذا أبين في الإعجاز؛ لأنه لو كان في القرآن حروف أخرى لا يتكلم الناس بها لم يكن الإعجاز في ذلك واقعا؛ لكنه بنفس الحروف التي يتكلم بها الناس - ومع هذا فقد أعجزهم-؛ فالحكمة منها ظهور إعجاز القرآن الكريم في أبلغ ما يكون من العبارة»^(٢)، ويؤكد ألا أدل على ذلك من أن الآيات التي تأتي بعد هذه الحروف تتحدث عن القرآن أو يُذكر بعدها خصائص القرآن^(٣)، ومثال ذلك ما نجده في سورة غافر حيث قال تعالى: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝﴾ [غافر: ١ - ٢]، وما نجده في سورة فصلت، قال تعالى: ﴿حَمَّ ۝ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝﴾ [فصلت: ١ - ٣].
ءَايَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝﴾ [فصلت: ١ - ٣].

ويرفض الشيخ -رحمه الله- قول من ذكر أن هذه الحروف ليس لها دلالة، وكذا قول من قال: إن الله أعلم بها، أو أنه يجب أن نتوقف عند معناها، ويرى أن أرجح الأقوال هو ما ذكره، وهو الإشارة إلى إعجاز القرآن العظيم؛ وهو اختيار ابن تيمية وابن القيم، والحافظ الذهبي، وجمع كثير من أهل العلم كما يقول رحمه الله^(٤).

(١) تفسير سورة الحديد: ٤٢١.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١ / ٢٢ - ٢٣، وينظر: تفسير سورة النساء: ٩٠٥، وسورة يس: ١٥.

(٣) ينظر: تفسير سورة البقرة: ١ / ٢٢ - ٢٣، وسورة يس: ١٥.

(٤) السابق: ١ / ٢٢ - ٢٣.

ثانياً: الصرفة:

عرض الشيخ -رحمه الله- موضوع الإعجاز بالصرفة وهو أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن، وبذلك لم ينظموا مثله، وكان بإمكان العرب أن يأتوا به؛ ولكنهم ممنوعون من ذلك، وهذا قول بعض المعتزلة^(١) الذين ذهبوا إلى أن القرآن غير معجز في ذاته وإنما بالصرف عن المعارضة^(٢).

عرف الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- الصرفة فقال: «يعني أن الله صرفهم عن أن يأتوا بمثله، أما في الأصل فإنهم قادرون على أن يأتوا بمثله». وقد أبطل الشيخ هذا الوجه قائلاً: «ولاشك أن هذا القول قول باطل؛ وذلك لأن القرآن كلام الله؛ وكلام الله صفة من صفاته، وإذا كانت جميع صفات الله لا يمكن أن يتصف بمثلها المخلوق، فكذلك الكلام لا يمكن أن يأتي بمثله المخلوق، وليس لأن الله صرفهم عن معارضته، بل لأنهم عاجزون من أصلهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثل هذا القرآن».

ويحتكم الشيخ إلى العقل فيرى أنه لو أخذنا بالصرفة لكان المعنى: «أن صرفَ الله عن معارضته دليلٌ على أن القرآن حق، وإلا لسَلَطَ عليهم من يعارضهم، لكن هذا القول ضعيف والذين أنكروه قالوا: إن إعجاز القرآن ليس بالصرفة، قالوا: لأنه لو كان بالصرفة لكان باستطاعة الخلق أن يأتوا بمثله فلا يكون آية»^(٣).

ويستمر الشيخ -رحمه الله- في دحض الصرفة إلى أن قال: «والصحيح الذي لاشك فيه: أن الخلق عاجزون عن معارضة القرآن أن يأتوا بمثله، لا لأنهم صُرفوا عن ذلك ومنعوا منه قدراً، ولكن لأنهم عاجزون من الأصل؛ لأن القرآن كلام الله صفته؛ وصفات الله لا يمكن أن يشابهها

(١) ينظر: الحيوان: ٤/٩٠، الملل والنحل للشهرستاني ١/٥٦، إعجاز القرآن للباقلاني: ٤٢، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي: ١٢١-١٢٢، المعجزة الكبرى القرآن لمحمد أبو زهرة: ٦٣-٦٤، في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم للدكتور وليد قصاب: ١٩-٢٢.

(٢) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى الرافعي: ١٢١-١٢٤، ومباحث في إعجاز القرآن لمصطفى مسلم: ٥٩-٧٠.

(٣) ينظر: شرح العقيدة السفارينية: ٥٧٠-٥٧١.

صفات»^(١).

ثالثاً: قصة التحدي:

يذكر الشيخ المقدار المتحدى به بسورة منه ولو كانت قصيرة أو حديثاً منه^(٢)، قائلاً: «قال الله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِيَّتٍ﴾ [هود: ١٣]، فعجزُ العربِ وهم أهل البلاغة أن يأتوا بمثل القرآن دليلٌ على أن هذا القرآن كلام الله؛ لأنه لو كان كلام المخلوق لأمكن للمخلوق أن يأتي بمثله، فلما عجز المخلوقون أن يأتوا بمثله علم أنه صفة من صفات الله التي لا تماثلها صفات المخلوقين»^(٣). ويستمر الشيخ موضحاً أن الله ﷻ يتحداهم أن يأتوا:

١. «بمثل القرآن كله.

٢. وبعشر سور منه.

٣. وبسورة منه.

٤. وبحديث منه.

والحديث يشمل مادون السورة، وبالقرآن كله، في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨]»^(٤). حيث يعلل ابن عاشور من أن التحدي وقع بسورة قصيرة ولم يقع في عدد من الآيات معللاً أن أفانين البلاغة ترجع إلى مجموع النظم، وصوغه بسبب الغرض الذي سيق فيه من فواتح الكلام وخواتمه، وانتقال الأغراض، والرجوع للغرض، وفنون الاستطراد والإطناب،

(١) ينظر: السابق: ٢١٦-٢١٨.

(٢) ينظر: السابق: ٢١٨.

(٣) ينظر: السابق: ٢١٦.

(٤) السابق: ٢١٨-٢١٨.

وهذا هو وجه لإيقاع التحدي بسورة دون أن يجعل بعدد من الآيات^(١)، وما ذهب إليه الشيخ أصوب فهناك آيات قرآنية أطول من بعض السور فما الذي يمنع من التحدي بها؟! أو بجزء منها كما في آية الدين في سورة البقرة؟!

ذلك أن عموم لفظ حديث يشمل السورة والآيات ، ثم إن بعض الآيات يكون لها تقديم وتمهيد أشبه بمقدمة السورة ، أو يكون لها موضوعاً مستقلاً ، وتختتم بخاتمة مناسبة؛ فتكون مقارنة للتحدي بالسورة.

وبعد هذا أذكر بأبرز ما خرجت به من هذا المبحث:

١ - أن اختيار الشيخ هو تسمية القرآن آية، دون معجزة، ابتعاداً عن السحر وحركات البهلوان مما يعجز - من لم يأخذ بأسبابها - من البشر أن يأتوا به.

٢ - أن القرآن معجز كله.

٣ - أن مرد الإعجاز في القرآن هو أسلوب القرآن ونظمه.

٤ - تأكيد الشيخ على الأثر الذي يتركه القرآن على نفس سامعه وقارئه وهو ما تحدث

به القرآن عن نفسه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا نَفَسَعَرُ

مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلَيْنُ جُلُودَهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ

يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿ [الزمر: ٢٣] ^(٢).

وهذا نجده واضحاً على كثير من غير المسلمين، فكثيراً ما كان سبباً في إسلام

أحدهم، فالقرآن يبيث الطمأنينة، وهو موعظة وشفاء لما في الصدور^(٣).

وبعد هذا العرض فإن الإعجاز يكمن في نظم القرآن وفصاحته وبلاغته.

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ١ / ١٠٢.

(٢) وهذا من الوجوه التي ارتضاها الخطابي في إعجاز القرآن حيث يرى: «أن ما للقرآن من العذوبة في حس السامع، والهشاشة في نفسه، وما يتحلى به من الرونق والبهجة التي يباين بها سائر الكلام حتى يكون له هذا الصنيع في القلوب، والتأثير في النفوس، فتصطلح من أجله الألسن على أنه كلام لا يشبهه كلام، وتخصر الأقوال عن معارضته...» ينظر: إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل: ٢٥-٢٦-٧٠.

(٣) ينظر: التعبير القرآني والدلالة النفسية، تأليف عبد الله محمد الجيوسي: ١٠٩ - ١١٠.

المبحث الثاني: المتشابه اللفظي:

تعريفه لغة:

(المتشابه اللفظي) مصطلح يتكون من جزأين (كلمتين)، يحتاج لتعريف كلٍّ من جزئيه، كما يلي:

أولاً: المتشابه:

هو اسم فاعل من التشابه، والتشابه: تفاعلٌ من الشَّبَه. يقال: شَبَّهَهُ، وشَبَّهَهُ وشَبَّيَهُ: أي مثله، والجمع: أشْبَاه. والشَّبَّه والشَّبَّه: لغتان بمعنى. وشَابَهه وأشَبَّهه: مثله، وتَشَابَهَت الآيات: تساوت^(١). قال ابن فارس: «الشين والباء والهاء: أصلٌ واحدٌ يدل على تشابه الشيء وتشاكله لونها ووصفها، والشَّبَّه من الجواهر: الذي يشبه الذهب، والمُشَبَّهات من الأمور: المشكلات. واشتبه الأمران: إذا أشكلا»^(٢).

ثانياً: اللفظي: نسبة إلى (اللفظ)؛ لأن الياء المشددة في آخره: ياء النسبة - على القياس^(٣) - واللفظ: واحد الألفاظ، وهو بمعنى المفعول: أي: الملفوظ؛ وهو في الأصل مصدر؛ يقال: لَفِظَ يَلْفِظُ لَفْظًا، وَلَفِظَ بالكلام، وتَلَفِظَ به: تكلم^(٤).

ويذكر ابن فارس: «أن (اللام والفاء والظاء): كلمة صحيحة تدل على طرح الشيء، وغالب ذلك أن يكون من الفم»^(٥).

وقال الراغب: «اللفظ بالكلام: مستعارٌ من لَفِظَ الشيء من الفم، وَلَفِظَ الرّحى الدقيق، ومنه: سُمِّيَ الدّيك اللفظة؛ لطرحه بعض ما يلتقطه للدجاج. قال تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]»^(٦).

(١) ينظر (شبهه) في: الصحاح، القاموس المحيط.

(٢) مقاييس اللغة: ٥ / ٢٥٩.

(٣) ينظر: معجم القواعد العربية لعبد الغني الدقر: ٥٤٢.

(٤) ينظر: (لفظ) في: أساس البلاغة، لسان العرب، القاموس المحيط.

(٥) مقاييس اللغة: ٥ / ٢٩٥.

(٦) مفردات غريب القرآن: ٧٤٣ - ٧٤٤.

تعريفه اصطلاحًا:

المتشابه اللفظي: «إيراد القصة الواحدة والخبر^(١) في صور شتى، وفواصل مختلفة ويكثر في إيراد القصص والأنباء وحكمته التصرف في الكلام وإتيانه على ضروب يعلمهم عجزهم عن جميع طرق ذلك مبتدأ به ومتكررا»^(٢)، وجاء في تأويل مشكل القرآن^(٣): «أن يشبه اللفظ في الظاهر مع اختلاف المعنى، كما قال تعالى في وصف الثمر: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، أي: متفق المناظر ومختلف الطعوم. وقد يقال لكل ما غمض ودق: متشابه، وإن لم تقع الحيرة فيه من جهة الشبه بغيره، كما يقال للحروف المقطعة في أوائل السور: متشابه لحناء معناها، وليس من جهة الشبه بغيرها والتباسها بها. والمتشابه مثل المشكل، لأنه أشكل، أي: دخل في شكل غيره فأشبهه وشاكله».

فوائد علم المتشابه اللفظي:

يقول الشيخ الطاهر الدمشقي الجزائري - في بيان مكانة هذا العلم إجمالاً -: «ولا يخفى أن المسائل المذكورة من متعلقات العلم المسمى بعلم المتشابه من القرآن، وهو علم جليل الشأن؛ له اتصال بعلم المناسبات. وقد ألفت فيه كثير من العلماء الأعلام فأجادوا، إلا أنه كغيره من العلوم قد تكلم فيه كثير ممن ليس لهم براعة فيه؛ فحبطوا خبط عشواء في ليلة ظلماء، إلا أن ذلك لا يؤثر في نفس العلم شيئاً، ولا يحط من قدره، ولا يوجب الإعراض عنه...»^(٤).
ولا يكفي الحديث عن أهمية هذا العلم إجمالاً بل لا بد من شيء من التفصيل في ذكر مكانته؛ فمن ذلك:

■ ما فيه من زيادة تدبر للقرآن، فهو يدعو لكثرة النظر والتأمل لآياته، ومحاولة إدراك أسرار معانيه وبديع أساليبه؛ يقول ابن الزبير: «وإن مما حرّك إلى هذا الغرض وهو-

(١) المراد بالقصة الواحدة: الموضوع الواحد؛ سواء أكان في قصة أم غيرها؛ بدليل قوله-الزركشي - بعد التعريف: «ويكثر في إيراد القصص والأنباء»، فهو صريح في عدم حصره في ذلك: البرهان: ١/ ٢٠٧.
(٢) ينظر: البرهان: ١/ ١٢٢، الإتيان: ٣/ ٣٣٩، معترك الأقران: ١/ ٦٦، الكليات لأبي البقاء: ٨٤٥.
(٣) لابن قتيبة: ١٠٢-وينظر البرهان للزركشي: ٢/ ٦٩.
(٤) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإتيان للطاهر الدمشقي الجزائري: ٣٠٠.

توجيه ما تكرر من آياته لفظاً، أو اختلف بتقديم أو تأخير، وبعض زيادة في التعبير-، وألحقه عند من تحلّى ولو عا باعتباره، والتدبر لعجائبه الباهرة وأسراره... فحرّك من فكري الساكن، وأضربت عن فسحته بالاستدراك ولكن، وأبدت بحول ربي من مكنون خاطري إلى الظهور، ما أثبتته بعون الله وقوته في هذا المسطور»^(١).

▪ أنه خير معين لمن أراد حفظ القرآن الكريم؛ فهو يخدم حافظه بعمل سهل مُيسر لضبط حفظه.

▪ ما فيه من الإعجاز البلاغي - البياني - للقرآن الكريم؛ وقد ذهب الزركشي إلى أن الحكمة من وجود المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: «إظهار عجز البشر عن جميع طرق الكلام وضروبه؛ مبتدأ به ومتكرراً»^(٢).

المتشابه اللفظي عند ابن عثيمين:

وقد تعرض الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في تضاعيف تفاسيره لهذا الفن، واختلف في طريقة عرضه:

- ١- فهو كثيراً لا يصرح بلفظ (المتشابه اللفظي) بل يأتي بالكاف التي هي حرف تشبيه؛ وهي التي من معانيها اللغوية التشابه^(٣)، إشارة إلى المتشابه اللفظي.
- ٢- وتارة يصرح بقوله: (تشبه) وأخرى يعبر بها قائلاً: «تدل (أو) نفس الآية».
- ٣- وتارة أخرى يناقش الشاهد، وتارة يمر به مروراً.
- ٤- يذكر أن الآية لها نظائر، والنظائر تارة يعبر بها عن المتشابه اللفظي، وتارة يعبر بها عن معنى الآية أي: يفسر القرآن بالقرآن^(٤).
- ٥- يقوم بتوجيه الآيات المتشابهة لفظاً التي اجتمعت أمامه على طريقة إثارة السؤال، وتقرير الجواب، والرد على ما يعرض من شبه في هذا المقام.

(١) ملاك التأويل: ١ / ١٤٥-١٤٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١ / ٢٠٧.

(٣) كفاية المعاني: للبيتوشي: ٥٢.

(٤) ينظر: تفسير جزء عم: ١٩٩.

٦- غالبًا ما يبدأ الإجابة بعبارة: «الجواب أن يقال»، «الجواب عن ذلك أن يقال» ثم يأتي بالجواب.

٧- أنه يرد على بعض المشككين من الزنادقة والملحدین المحتجين لباطلهم، والذين يطعنون في القرآن من خلال ما تشابه أو تماثل أو تكرر من ألفاظ القرآن وآياته التي تبدو لهم متعارضة المعنى، مدعين أن ما به من المتشابه اللفظي غير مفهوم، أو أنه تكرر لا هدف له، بسبب تقديم أو تأخير، أو غير ذلك مما تقدم في تعريف المتشابه اللفظي.

٨- يعبر عن المتشابه اللفظي بالتقارب في المعنى.

٩- يتضح من الشواهد السابقة أن الشيخ - رحمه الله - يشير إلى الآيات التي فيها تشابه وإن لم يوجهها توجيهها بلاغياً .

من الشواهد على ذلك ما يلي:

في قوله تعالى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٢٢]، يقول - رحمه الله - تعالى: «سيقولون ثلاثة، أربعة، خمسة، كيف يمكن أن يكون قولان لغائب واحد؟ هذا يخرج على وجهين: الوجه الأول: أن المعنى سيقول بعضهم ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقول البعض الآخر: خمسة سادسهم كلبهم، ويقول البعض الثالث: سبعة وثمانهم كلبهم. والوجه الثاني: أن المعنى أنهم سيترددون؛ مرة يقولون: ثلاثة، ومرة يقولون: خمسة، ومرة يقولون: سبعة. وكلاهما محتمل ولا يتنافيان، فتجدهم أحياناً يقولون كذا، وأحياناً يقولون كذا حسب ما يكون في أذهانهم، ﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةً وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ ولم يقل: رجماً بالغيب، بل سكت ﷻ، وهذا يدل على أن عددهم سبعة وثمانهم كلبهم؛ لأن الله عندما أبطل القولين الأولين، وسكت عن الثالث صار الثالث

صوابًا، نظيره^(١) قول الله تبارك وتعالى في المشركين إذا فعلوا فاحشة: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، هذا واحد، ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ [الأعراف: ٢٨]، هذا اثنان، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨]، فأبطل قولهم: ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾، وسكت عن الأول؛ فدل على أن الأول: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا﴾ [الأعراف: ٢٨] صحيح. وهنا لما قال: ﴿رَجْمًا بِالْغَيْبِ﴾ في القولين الأولين، وسكت عن الثالث دل على أنهم سبعة وثامنهم كلبهم»^(٢).

قال تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَفَلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، يقول الشيخ - رحمه الله - «لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤]، هذه العبارة أشد من العبارة الأولى. في الأولى قال: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف: ٧١]، ولكن هنا قال: (نُكْرًا) أي منكرًا عظيمًا»^(٣)، فهل يمكن هنا أن نضع (الإمر) و(النكر) أحدهما موضع الآخر؟ أم لكل واحد معنى يخصه بمكانه؟

والجواب: أن لكل واحد منهما معنى؛ فالإمر: هي الداهية، وقيل إنه: العجب. والنكر: ما تنكره العقول ولا تعرفه. وهو أعظم من الإمر، أي: منكرًا جدًّا، وقال الراغب^(٤): المنكر الدهاء والأمر الصعب الذي لا يعرف^(٥). وقد أوضح - رحمه الله - هذا الأمر قائلاً: «والفرق بين هذا وهذا، أن خرق السفينة قد يكون به الغرق وقد لا يكون وهذا هو الذي حصل، لم تغرق السفينة، أما قتل النفس فهو منكر حادث ما فيه احتمال»^(٦).

ثم أوضح ما في الآيات من تشابه لفظي، فقال في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن

(١) يقصد نظير الآيات في النظم.

(٢) تفسير سورة الكهف: ٤١-٤٢.

(٣) تفسير سورة الكهف: ١١٨.

(٤) مفردات غريب القرآن: ٨٢٤.

(٥) ينظر: جامع البيان للطبري: ١٥/٢٨٧، وروح المعاني: ٢/٣١٧-٣١٩، والتحرير والتنوير: ٧/٣٧٥.

(٦) تفسير سورة الكهف: ١١٨.

تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿ [الكهف: ٧٥]، فقوله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ﴾ هنا فيها لوم أشد على موسى، ففي الأولى قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ﴾، وفي الثانية ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ﴾، يعني كأنك لم تفهم ولن تفهم، ولذلك كان الناس يفرقون بين الجملتين، فلو أنك كلمت شخصا بشيء وخالفك فتقول في الأولى: (ألم أقل لك إنك) وفي الثاني تقول: (ألم أقل لك إنك يعني أن الخطاب ورد عليك ورودًا لا خفاء فيه، ومع ذلك خالفت، فكان قول الخضر لموسى في الثانية أشد: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ...﴾^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ءَاخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الذاريات: ١٦]، قال -رحمه الله-: «﴿ءَاخِذِينَ﴾ حال من الضمير المستتر بالخبر، أي: حال كونهم آخذين ما آتاهم ربهم، أي: ما أعطاهم من النعيم، وهذه الآية كالأية التي في سورة الطور: ﴿فَكَهِينِ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [الطور: ١٨]^(٢). وفي قول الله تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا سِحْرٌ كٰذٰبٌ ﴿ [ص: ٤]، يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: «... هذا عجب استنكار ورد، وليس عجب رضا واستحسان، وهذا نظير قوله تعالى في سورة ق: ﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [ق: ٢]^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]. يقول الشيخ - رحمه الله -: «... المراد باللغو هنا اليمين التي لا يقصدها الحالف، كقول: (لا والله)، (بلى والله) في عرض حديثه؛ ويبين ذلك قوله تعالى في سورة المائدة: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ﴾ [المائدة: ٨٩]. أي نويتم عقده^(٤)، إذن فقد جاءت الآية في سورة المائدة بيانية، ففي سورة البقرة جاءت (المؤاخظة) مجملة وبينتها آية المائدة بالكفارة؛ فاللغو في البقرة مقابل لما كسبه القلب، واللغو

(١) السابق.

(٢) تفسير سورة الطور: ١٢٤.

(٣) تفسير سورة ص: ٢٣.

(٤) تفسير سورة البقرة: ٩٢-٩٣/٣.

في المائة مقابل للآيمان المعقودة^(١).

وفي قول الله تعالى: ﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ [القمر: ٢٠]، قال - رحمه الله -:
«وفي الحاققة قال تعالى: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ حَاوِيَةٍ ﴾ [الحاقة: ٧]، والمعنى متقارب، لكن من بلاغة
القرآن أن يجري الكلام فيه على نسق واحد، فهناك: ﴿ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾ مناسب
للفواصل^(٢) التي في سورة القمر، لأن تناسب الكلام واتساقه من كمال بلاغته»^(٣).

فلو سأل سائل لم كانت في الأولى: ﴿ مُنْقَعِرٍ ﴾ وفي الثانية: ﴿ حَاوِيَةٍ ﴾؟ فالجواب: كما
ذكره الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - أنها لمناسبة الفواصل وهو موافق لكلام أبي حيان
الأندلسي^(٤).

ويفسر قوله تعالى: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾ قائلاً: «هذا الذي
قاله موسى عليه السلام قاله فيما يعتقده في نفسه في تلك الساعة من أنه سيصبر، لكنه علّقه بمشيئة
الله؛ لئلا يكون ذلك اعتزازاً بنفسه وإعجاباً بها»^(٥). ثم يشير إلى المتشابه اللفظي في الآية،
فيقول: «وقوله: ﴿ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ ﴾ هو كقول إسماعيل بن إبراهيم - عليهما الصلاة
والسلام - لما قال له أبوه: ﴿ قَالَ يَبْنَئِي إِيَّيْ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَأَنْظِرْ مَاذَا تَرَى ﴾ قَالَ يَا بَتِ
أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ [الصفات: ١٠٢]، وموسى قال للخضر:
﴿ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴾ [الكهف: ٦٩]»^(٦). فلو وضعنا كلمتي: ﴿ صَابِرًا ﴾ و﴿ الصَّابِرِينَ ﴾
إحدهما مكان الأخرى فهل يصح ذلك؟ ثم ما الفرق بينهما؟

والجواب أن نقول: «إن ﴿ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾ من المبالغة في اتصافه بالصبر ما ليس في الوصف

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢ / ٣٨٣-٣٨٤، حاشية القونوي على الشهاب: ٥ / ٢٣٠.

(٢) سيأتي ذكر الفواصل القرآنية في الفصل الثاني، المبحث الثالث إن شاء الله.

(٣) تفسير سورة القمر: ٢٧٦.

(٤) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ٤٢ / ١٠.

(٥) تفسير سورة الكهف: ١١٤.

(٦) السابق.

بصابر؛ لأنه يفيد أنه سيجده في عداد الذين اشتهروا بالصبر وعرفوا به، أما قول موسى عليه السلام للخضر؛ فحمل على التصبر إجابة لمقترح الخضر، مع ما فيها من مراعاة لرؤوس الآي»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ ^(٢) ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ [الكافرون: ٣ - ٤]. يقول -رحمه الله- نافيًا التكرار في السورة وموضحًا معنى كل آية: «قد يظن الظان أن هذه مكررة للتوكيد، وليس كذلك؛ لأن الصيغة مختلفة ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢] فعل، ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾ ﴿عَابِدٌ﴾ و﴿عَبِدُونَ﴾ اسم، والتوكيد لا بد أن تكون الجملة الثانية كالأولى. إذًا القول بأنه كرر للتوكيد ضعيف، إذًا لماذا هذا التكرار؟»^(٣).

معنى ذلك أنه ينفي أن يكون في الآية تشابه، على رأي من قال: «إنها لم تتكرر فيها آية واحدة إذا اعتبرت أن كل آية منها تفيد من المعنى وتحرر ما لا تفيده الأخرى بذلك التحرير، فكأنها متباينة الألفاظ لتباين معانيها مع جليل التشاكل وعلو التلاؤم والتناسب... فلم يقع تكرار»^(٣).

ولكن هناك من ذهب إلى أن في السورة الكريمة تكرارا، كابن قتيبة الذي ذهب إلى أن التكرار هنا للتوكيد، فقال: «ومن مذاهبهم - أي العرب - التكرار، إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز... ولا موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذي نزلت فيه ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكُفْرُونَ﴾؛ لأنهم أرادوا أن يعبد ما يعبدون، ليعبدوا ما يعبد، وأبدؤوا في ذلك وأعادوا، فأراد الله ﷻ حسم أعمالهم وإكذاب ظنونهم، فأبدأ وأعاد في الجواب، وهو معنى قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدَّهْنُ فَيُدَّهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، أي تلين لهم في دينك فيدينون في أديانهم»^(٤).

ثم يمضي الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - موضحًا معنى الآيات من خلال أقوال بعض العلماء مؤكدة أن القرآن ليس فيه شيء مكرر إلا وله فائدة، مستشهدا بآيات منه، إذ يقول:

(١) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٣ / ١٥٢، روح المعاني: ١١-١٢ / ١٢٤.

(٢) تفسير جزء عم: ٣٤٠.

(٣) ينظر: درة التنزيل: ٣ / ١٣٧٠، ملك التأويل: ٢ / ١١٥٠، الإيقان: ٣ / ٢٠٣.

(٤) تأويل مشكل القرآن: ٢٣٥-٢٣٧.

«... نأخذ أن القرآن الكريم ليس فيه شيء مكرر لغير فائدة إطلاقاً، ليس فيه شيء مكرر إلا وله فائدة. لأننا لو قلنا: إن في القرآن شيئاً مكرراً بدون فائدة كان في القرآن ما هو لغو، وهو منزه عن ذلك، وعلى هذا فالتكرار في سورة الرحمن: ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾، وفي سورة المرسلات: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾، تكرر لفائدة عظيمة، وهي أن كل آية مما بين هذه الآيات المكررة تشتمل على نعم عظيمة، وآلاء جسيمة، ثم إن فيها من الفائدة اللفظية التنبيه للمخاطب حيث يكرر عليه: ﴿فِي أَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذَّبَانِ﴾ ويكرر عليه: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾^(١).

وعلى هذا يتضح أن الشيخ ابن عثيمين وجمهور من المفسرين - رحمهم الله - يرون أنه لا تكرر في سورة (الكافرون)، بل كل آية لها معنى قائم بنفسه فهو من قبيل المتفق اللفظي، وليس المتشابه، بينما التكرار في سورتي الرحمن والمرسلات إنما هو من المتشابه اللفظي^(٢).

وعند قوله تعالى: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۗ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصفات: ١٧٨ - ١٧٩]، قال: «كرر تأكيداً لتهديدهم، وتسلياً لرسول الله ﷺ، والآية التي قبلها، يقول: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۗ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ [الصفات: ١٧٤ - ١٧٥]، وهنا قال: ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ۗ وَأَبْصَرَ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ فلم تختلف عنها بحرف العطف؟ فالأول ﴿فَتَوَلَّ﴾ والثاني ﴿وَتَوَلَّ﴾، والأولى قال: ﴿وَأَبْصَرُهُمْ﴾ والثانية ﴿وَأَبْصَرَ﴾، فأطلق وإلا فهي هي، والفائدة من التكرار هو تكرر إنذارهم وذلك بتهديدهم، وتسلياً الرسول ﷺ؛ لأنه كلما كرر الكلام ازداد توكيداً»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٣٢]. يقول: «هذا تكرر مهم، ففي الأول بيان غناه وَعَجَّلَ عن خلقه، ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

(١) تفسير جزء عم: ٣٤١-٣٤٢.

(٢) ينظر: من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم، للدكتور: محمد الصامل: ١٣.

(٣) تفسير سورة الصفات: ٣٦٥-٣٦٦.

الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿ [النساء: ١٣١]، وفي الثاني: بيان مراقبته لخلقه، فالآية الأخيرة تتضمن التحذير من المخالفة، والأولى تتضمن الأمر بالموافقة»^(١).

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ [البقرة: ٤٩]. يقول -رحمه الله-: «قوله تعالى: ﴿ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ الفعل مضعف للمبالغة؛ لكثرة من يدبحون، وعظم ذبحهم؛ هذا وقد جاء في سورة الأعراف: ﴿ يَقْتُلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وهو بمعنى ﴿ يُدَبِّحُونَ ﴾؛ ويحتمل أن يكون مغايرًا له؛ فيحمل على أنهم يقتلون بعضًا بغير الذبح، ويدبحون بعضًا؛ وعلى كلٍّ فالجملة بيان لقوله تعالى: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ﴾؛ هذا وجاء في سورة إبراهيم: ﴿ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ ﴾ [إبراهيم: ٦]، بالواو عطفًا على قوله تعالى: ﴿ يَسُومُونَكُمْ ﴾؛ والعطف يقتضي المغايرة؛ فيكون المعنى أنهم جمعوا بين سوم العذاب - وهو التنكيل، والتعذيب - وبين الذبح»^(٢). وفي سورة الصافات يقول: «وقد ذكّر الله قوم موسى بهذه النعمة: ﴿ وَإِذْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾ [الأعراف: ١٤١]، وفي آية أخرى: ﴿ يُدَبِّحُونَ ﴾ [البقرة: ٤٩]؛ لأنهم تارة يقتلونهم، وتارة يدبحونهم، كما تذبح الشاة - والعياذ بالله - إرهابًا وإزعاجًا، فأبجأهم الله منهم»^(٣).

وما ذكره الشيخ من أن الفعلين: (يدبحون) و(يقتلون) بينهما مغايرة يوافق كلام ابن الزبير الغرناطي، حيث قال ابن الزبير: «أن الذبح منبئ عن القتل وصفته، وأما اسم القتل فلا يفهم إلا إعدام الحياة ويتناول من غير المقتول في الغالب، فعبر أولاً بما يوفي المقصود من الإخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذكر القتل وأتبع بالصفة لما كان إيجازًا، فعدل إلى ما يحصل عنه

(١) تفسير سورة النساء: ٢/ ٣١٣-٣١٤.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١/ ١٧٥.

(٣) تفسير سورة الصافات: ٢٦٦.

المقصود (مع الإيجاز) فقيل: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾، وعبر في سورة الأعراف بالقتل؛ لأنه أوجز من لفظ (يذبحون)؛ لأجل التضعيف إذ لفظ (يذبحون) أثقل لتضعيفه وقد حصلت صفة القتل في سورة البقرة؛ فأحرز الإيجاز في الكل، وجاء على ما يجب ويناسب، والله أعلم^(١). وفي الثاني توجيه: إذ أنه جعل ﴿يُذَبِّحُونَ﴾ بدلاً من قوله ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فلم يحتج إلى الواو، وإذا جعل قوله: ﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ عبارة عن مكروه وسوء مغاير لتذبيح الأبناء لم يكن الثاني إلا بالواو...^(٢). فهو اختلاف بالإبدال.

وفي الآية الكريمة، التي يقول الرب فيها وَعَلَيْكَ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٦]، يقول -رحمه الله-: «قال ابن عباس عن هذه الآية: ((لن يغلب عسرٌ يسرين))^(٣)، وتوجيه كلامه ﷺ مع أن العسر ذكر مرتين واليسر ذكر مرتين. قال أهل البلاغة: توجيه كلامه أن العسر لم يذكر إلا مرة واحدة: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۗ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٦]، العسر الأول أعيد في الثانية ب(أل)، ف(أل) هنا للعهد الذكري، وأما يسر فإنه لم يأت مُعَرَّفًا بل جاء مُنْكَرًا، والقاعدة: أنه إذا كرر الاسم مرتين بصيغة التعريف فالثاني هو الأول إلا ما ندر، وإذا كرر الاسم مرتين بصيغة التنكير فالثاني غير الأول، لأن الثاني نكرة، فهو غير الأول، إذاً في الآيتين الكريمتين يُسران وفيهما عسر واحد؛ لأن العسر كرر مرتين بصيغة التعريف: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥]^(٤).

وهو كراي الخطيب الإسكافي وابن الزبير^(٥)؛ حيث قال الإسكافي: «قال ﷺ: ((لن يغلب عسر يسرين))^(٦)، لأن العسر لما أعيد لفظه مُعَرَّفًا كالأول لم يكن إلا إياه، و(يسر) لما أعيد

(١) ملاك التأويل: ١/ ١٩٩-٢٠٠.

(٢) ينظر: درة التنزيل: ١/ ٢٣٠-٢٣١.

(٣) رواه مالك في الموطأ: ٢/ ٤٤٦، وابن أبي شيبه في المصنف: ٥/ ٣٣٥، ١٣/ ٣٠٨.

(٤) تفسير جزء عم: ٢٥٢-٢٥٣.

(٥) ينظر: ملاك التأويل: ٢/ ٩٥٣.

(٦) رواه مالك في الموطأ: ٢/ ٤٤٦، وابن أبي شيبه في المصنف: ٥/ ٣٣٥، ١٣/ ٣٠٨.

لفظه نكرة كان غير الأول، وإذا لم يكن ذلك لم يكن تكراراً»^(١).

في حين أن الزركشي خالف هذا الرأي، فقال: «إن الجملة الثانية هنا تأكيد للأولى لتقريرها في النفس وتمكينها من القلب، ولأنها تكرير صريح لها ولا تدل على تعدد اليسر، كما لا يدل قولنا: (إن مع زيد كتاباً إن مع زيد كتاباً) على أن معه كتابين فالأصح أن هذا تأكيد»^(٢).

ويبدو أن ما ذهب إليه الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - وقبله ابن الزبير والخطيب الإسكافي هو الرأي الراجح؛ فالعسر واحد لأنه تكرر وهو معرفة، أما اليسر فهو متعدد، ف(يسر) الثاني غير الأول؛ لأنه ورد نكرة، ويؤيد ذلك ما ورد في الحديث الشريف.

يقول الشيخ - رحمه الله - في تفسير سورة الصافات: «وقد جاءتهم الرسل بالحجة، ولكن قالوا: ﴿... إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، وفي الآية الأخرى: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٢]، فهم علموا أن آباءهم ضالون، ومع ذلك بقوا على ما هم عليه، بل صاروا يسابقون ويتمسكون أشد بما كان عليه آباؤهم»^(٣). وهنا يشير الشيخ إلى التشابه اللفظي بين الآيتين ونوعه اختلاف بالإبدال بين: ﴿مُقْتَدُونَ﴾ و﴿مُّهْتَدُونَ﴾.

والتوجيه أن يقال فيهما: «أن ما تقدم الآية الأولى حكاية قول كفار العرب المعاصرين لرسول الله ﷺ والسامعين منه القرآن المسمى هدى في غير موضع كقوله سبحانه: ﴿هُدًى يَتَّبِعِينَ﴾ [البقرة: ٢]، وقوله: ﴿هَذَا هُدًى﴾ [الجاثية: ١١]، وقوله: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ [لقمان: ٣]، فلما دعاهم ﷺ ليهتدوا بهديه قابلوا دعاءه بقولهم: إنهم مهتدون وإنهم وجدوا آباءهم على أمة، وإن ما وجدوهم عليه هدى، فقالوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٣]، أي:

(١) درة التنزيل: ٣ / ١٣٦٤، وينظر: تفسير الرازي: ٦ / ٢٣، وتفسير القرطبي: ٢٠ / ١٠٧، وتفسير ابن كثير: ٥٢٥ / ٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٤ / ٩٨.

(٣) تفسير سورة الصافات: ١٥٩.

على دين وإنا على آثارهم مهتدون كهديهم، فلما دعاهم زعموا أنهم على هدى، وهذا أبين تناسب. وأما الآية الثانية فحكاية أقوال قرون مختلفة، وقد ذكر تعالى من قول بعضهم: ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبِيدِينَ﴾ [الأنبياء: ٥٣]، وفي موضع آخر: ﴿كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٧٤]،... فهو اعتراف بتقليد، واتباع تعظيم لفعل آبائهم من غير ادعاء شبهة، فلم يكن ليطابق هذا إلا الوارد في قوله تعالى عنهم: ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، فجاء كل على ما يناسب»^(١).

وعند قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، قال - رحمه الله -: «وفي سورة الجمعة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [الجمعة: ٧]، وذلك لأنهم يعلمون كذب دعواهم أن لهم الدار الآخرة خالصة»^(٢). وفي هذا إشارة إلى التشابه اللفظي، ونوع التشابه هنا إبدال بحرف. والتوجيه في هذا أن يقال: «إن في (لن) تأكيداً وتشديدًا ليس في (لا) فأتى مرة بلفظ التأكيد: ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ﴾ [البقرة: ٩٥]، ومرة بغير لفظه: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْهُ﴾ [الجمعة: ٧]»^(٣). ويتضح سبب تخصيص كل آية بحرف النفي الذي وردت فيه - أكثر - في توجيه ابن الزبير؛ إذ يقول: «خُصِّصَتْ آيَةُ الْبَقْرَةِ بِقَوْلِهِ: (وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ)، وَآيَةُ الْجُمُعَةِ بِقَوْلِهِ: (وَلَا يَتَمَنَّوْهُ) مع اتحاد الأخبار؛ ووجه ذلك - والله أعلم - أن آية البقرة لما كان الوارد بينها جوابًا لحكم أخراوي يستقبل وليس في الحال منه إلا زعم مجرد واعتقاد أن الأمر يكون كذلك ناسبه النفي بما وضعه من الحروف لنفي المستقبل؛ لأن لن يفعل جواب سيفعل، ولما كان الوارد في سورة الجمعة جوابًا لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس وذلك حكم دنيوي ووصف حالي لا استقبال فيه ناسبه النفي بلا التي لنفي ما يأتي من غير تخصيص (إلا) بغير الماضي، وقد تتعاقب مع (ما) التي لنفي الحال»^(٤).

(١) ملاك التأويل: ٢/ ١٠١٦-١٠١٧.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣٠٧.

(٣) تفسير الكشاف: ٣/ ٢٢٩.

(٤) ملاك التأويل: ١/ ٢٢٧.

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]: «فخبرُ الله أَصْدَقُ الأخبار، وأخبر به عن نفسه: بخبر هو أَصْدَقُ الأخبار؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]»^(١).

وقد يسأل سائل: لمْ جيء بالتمييز مختلفاً فقيل في الأولى (حديثاً) وفي الثانية: (قيلاً) فحولف في العبارة مع وحدة المعنى؟

والتوجيه في ذلك، كما ذكره ابن الزبير، قائلاً: «إن التعبير الثاني مبني على ما يجب ربطه به من قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [النساء: ١٢٢]، وقيل: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وأنيب مناب (وعدا) فكأنه قد قيل: ومن أَصْدَقُ من الله وعدا؟ وهو ما وعدهم به تعالى من النعيم وعظيم الإحسان، فجيء بلفظ يوازن المصدرين قبله وهما (وعدا) و(حقاً) ويشابههما في الخفة، فسكون عين الكلمة وعدد حروفها كالمصدرين قبلها، وكأنه إنما أريد تكرار المصدر بلفظه فاستثقل التكرار للتقارب، وعادة العرب في ذلك التكرار، فعدل إلى ما يجاريه ويجرز المعنى، ولتجرى المصادر الثلاثة مجرى واحدا خفةً ووزناً إحراراً للتناسب والتلاؤم.

ولما لم يتقدم في الآية الأولى ما يستلزم هذا وإن قوله تعالى: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: ٨٧]، إخبار وحديث عن البعث بعد الموت وجمع الخلق لحسابهم ومجازاتهم على الخير والشر فهو إخبار وإنباء، ومثله ما ورد في قوله تعالى إخباراً عن قول منكري البعث: ﴿هَلْ نَدُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقَتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾ [سبأ: ٧]، فالإنباء هنا هو ذلك الخبر الصادق منه تعالى بقوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [النساء: ٨٧]، فقد وضح ورود كل واحدة من الآيتين على ما يناسب ويلائم»^(٢).

يقول - رحمه الله - في فوائد الآيات: «إن إبليس ملعون لقوله: ﴿وَلِإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٨]، وفي آية أخرى: ﴿وَلِإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الحجر: ٣٥]، فهل

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٤١٣.

(٢) ملاك التأويل: ١ / ٤٥٢.

نقول: إن اللعنة المطلقة في قوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ [الحجر: ٣٥]، هي المقيدة في قوله هنا: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨]، أو نقول: إن اللعنة هناك أعم، فعلى إبليس لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، يحتمل هذا وهذا، ويحتمل أن نأخذ بالمطلق؛ لأنه أعم، ويحتمل أن نحمل المطلق هناك على المقيد هنا»^(١).

وفي هذا إشارة إلى المتشابه اللفظي بين الآيتين، وقد تشابها في السياق، وفي التعريف ل(اللعنة) إلا أن (اللعنة) في سورة (ص) جاءت معرفة بالإضافة، والأخرى في سورة (الحجر) معرفة ب(أل). وسبب ذلك عند ابن الزبير أنه قال في سورة (ص): ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥]، فكانت إضافة اللعنة إلى ياء المتكلم مناسبة لإضافة اليدين إليه، ولما لم يكن كذلك في الحجر قال (اللعنة)^(٢). وقد سبقه إلى هذا الرأي الخطيب الإسكافي^(٣). فالمناسبة عندهما لفظية.

«ثم إنه في قصة (ص) ذكر نفسه أكثر مما في الحجر، فإنه ذكر نفسه في (ص) ست مرات وفي الحجر ثلاث مرات. قال في الحجر: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ﴾ [الحجر: ٢٩]، وقال في (ص) مثل ذلك وزاد عليه قوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي﴾ [ص: ٧٥]، وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي﴾ [ص: ٧٨]، فكان كل تعبير مناسباً لجو القصة التي ورد فيها»^(٤).

وقال الشيخ - رحمه الله -: «حسن بلاغة القرآن حيث قال هنا: ﴿فَخَذُّوهُمْ وَأَقْنُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٩١]، وهناك في الآية الأولى، قال: ﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [النساء: ٨٩]؛ لأن اختلاف الألفاظ يؤدي إلى النشاط، واتفاقها يؤدي إلى الملل غالباً»^(٥).

(١) تفسير سورة ص: ٢٤٩.

(٢) ينظر: ملاك التأويل: ٥٨٧ / ٢.

(٣) ينظر: درة التنزيل: ٨١٦ / ٢.

(٤) التعبير القرآني للدكتور: فاضل السامرائي: ٣٠٨.

(٥) تفسير سورة النساء: ٦٧ / ٢.

المبحث الثالث: المجاز:

تعريفه لغةً:

يطلق المجاز في لغة العرب ويراد به التعدي والانتقال، من (جَازَ): إذا تعدى وانتقل من مكانٍ إلى آخر^(١).

وقال ابن فارس: «والجيم والواو والزاي أصلان، أحدهما قطع الشيء، والآخر وسط الشيء...»^(٢).

قال الليث: «جزت الطريق جوازًا ومجازًا، والمجاز الموضع وكذا المجازة... وعن الأصمعي: جزت الموضع سرت فيه، وأجزته خَلَفْتَهُ وقطعته، وأجزته أنفذته»^(٣).

وفي الصحاح: «وتجَوَّزَ في كلامه أي تكَلَّمَ بالمجاز، وقولهم: جعل فلان ذلك مجازًا إلى حاجته أي طريقًا ومسلكًا»^(٤).

والمجاز في الاصطلاح:

هو: «ما أفاد معنى غير مصطلح عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب، لعلاقة بين الأول والثاني»^(٥).

ويُقسم البلاغيون المجاز إلى لغوي، وعقلي:

أما المجاز اللغوي فهو: «الكلمة المستعملة في غير ما وُضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصحُّ، مع قرينة عدم إرادته»^(٦).

والعلاقة قد تكون المشابهة بأن تصلح أن تكون وجه شبه بين المعنى الأصلي الذي وضعت له الكلمة والمعنى المجازي الذي استعملت فيه. وإذا كانت العلاقة المشابهة سمي هذا النوع من

(١) لسان العرب (جوز).

(٢) مقاييس اللغة: ١ / ٤٩٤.

(٣) تهذيب اللغة: ١١ / ١٤٨-١٤٩.

(٤) الصحاح: ٣ / ٨٧٠-٨٧١.

(٥) الطراز: ١ / ٣٢.

(٦) الإيضاح: ٢ / ١٢، شرح: د. محمد خفاجي، وينظر: شروح التلخيص: ٤ / ٢٠-٢٦.

المجاز استعارة^(١). وقد تكون العلاقة غير المشابهة، بحيث لا توجد مشابهة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، وهذا النوع يسمى المجاز المرسل^(٢).

وسمي بالمجاز المرسل؛ لأنه أطلق عن التقييد بعلاقة مخصوصة، أو لأنه أرسل عن دعوى الاتحاد المطلوبة في الاستعارة، وهي المشابهة؛ إذ ليست العلاقة فيه بين المعنيين المشابهة حتى يدعى اتحادهما، ولأن الإرسال في اللغة بمعنى: الإطلاق^(٣).

وقد توسع العلماء في بحث المجاز المرسل وجمعوا له علاقات كثيرة^(٤)، أوصلها السبكي إلى ما يقرب من أربعين علاقة^(٥).

وأما المجاز العقلي فيكون في الإسناد، ونسبة الشيء إلى غير ما هو له. وله أسماء عديدة، منها: المجاز في الإسناد، ومجاز الملايسة، والمجاز الحكمي، والمجاز النسبي، والمجاز في الإثبات، والمجاز العقلي، وهو أشهرها^(٦). وللمجاز العقلي علاقات كثيرة -أيضاً- بين المسند والمسند إليه، منها: الفاعلية، والمنفعية، والمصدرية، والزمانية، والمكانية، والسببية، وغيرها^(٧).

موقف العلماء من المجاز:

انقسم العلماء في المجاز إلى ثلاثة أقسام:

١- من يثبت وقوعه في القرآن الكريم واللغة: وهو مذهب جمهور العلماء، والمفسرين، والأصوليين، واللغويين، والبلاغيين، وغيرهم؛ بل حكى الإجماع على ذلك يحيى بن حمزة

(١) ينظر: الإيضاح: ٢/ ٢٢، شرح: د. محمد خفاجي.

(٢) السابق: ٢/ ١٦.

(٣) ينظر: حاشية الدسوقي (شروح التلخيص): ٤/ ٢٩، والبيان في ضوء أساليب القرآن، لعبد الفتاح لاشين: ١٥٧.

(٤) ينظر: البرهان: ٢/ ٢٥٤-٢٩٩، والإيضاح: ٤/ ٢٣٣-٢٣٩، شرح: د. محمد خفاجي، والمطول: ٥٧٥.

(٥) ينظر: عروس الأفراح (شروح التلخيص): ٤/ ٢٩-٣١.

(٦) ينظر: المطول: ٥٧، مواهب الفتاح: ١/ ٢٣١، وحاشية الدسوقي (شروح التلخيص): ١/ ٢٣١، وخصائص

التركيب: ١٥٥، وعلم المعاني، لفيود: ١/ ٦٠، وعلم البيان: ١٤٥.

(٧) ينظر: شروح التلخيص: ١/ ٢٣٥، وعلم البيان: ١٤٩.

العلوي في كتابه (الطراز)^(١).

٢- من ينفي وقوعه في القرآن الكريم واللغة، وينزههما عنه: وقد ذهب إلى ذلك أبو علي الفارسي، وأبو إسحاق الإسفراييني، وتبعه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم^(٢).

٣- من ينفي وقوعه في القرآن الكريم مع ثبوته في اللغة، وهم بين الفريقين الأولين: وقد ذهب إلى ذلك داود الظاهري، وابنه محمد، وابن القاصّ الشافعي، ومنذر بن سعيد البلوطي، وابن خويز منداد المالكي، وابن حامد الحنبلي، ومن المعاصرين الشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي^(٣).

المجاز عند ابن عثيمين:

صرح الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- بأن له رأيين في المجاز:
الأول: جواز إطلاق المجاز في اللغة والقرآن.

الثاني: رد إطلاق المجاز في اللغة والقرآن ومنعه؛ وهو ما رجحه، حيث قال -رحمه الله- في شرح الأصول من علم الأصول: «ونحن وضعنا في هذا الكتاب الحقيقة والمجاز، وهو من تأليفنا؛ لكنّ إنما وضعناه قبل أن يتبين لنا بياناً واضحاً أن المجاز ليس بموجود.

وعذر ثان وهو: أنهم وضعوا لنا خطة لتصنيف منهج معين للمعهد، وصرنا على هذه الخطة، وقد نبهتهم أن يكتبوا تنبيهاً: إنما كان تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز، بناء على ما عليه أكثر الأصوليين المتأخرين، وقد رجح شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم أنه ليس هناك مجاز، وقد أرسلت تنبيهاً بهذا الشأن إلى من تولى إخراج متن الكتاب للطبعة الأولى ولكن فاتهم

(١) ينظر: الطراز: ١/ ٤٦.

(٢) ينظر: الإجماع شرح المنهاج للتاج سبكي: ١/ ٢٩٦، وجمع الجوامع حاشية العطار: ١/ ٢٩٦، وكتاب الإيمان: ٨٥، ومختصر الصواعق المرسلّة: ٢/ ٢٤٢-٢٤٣.

(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: ٤/ ١٥٠٧، ومنع المجاز في المنزل للتعبّد والإعجاز للشيخ محمد الأمين الشنقيطي: ٦-٨، الحقيقة والمجاز في القرآن لعليّ حسين: ٥-٢٠، المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين مجوزيه ومانعيه للدكتور: عبد العظيم إبراهيم المطعني: ١/ ٥٨٩.

تدارك الأمر. والإنسان قد يتبدل رأيه...»^(١).

وقال -رحمه الله-: «وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمهما الله- أنه اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة المفضلة، ونصره بأدلة قوية كثيرة تبين لمن اطلع عليها أن هذا القول هو الصواب»^(٢).

وبناءً على هذا الخلاف في رأي الشيخ -رحمه الله- في المجاز بين القديم والجديد نجد الشيخ أثناء تناوله للشواهد بالشرح والتوضيح دائراً بين منهجين: الأول: المنهج النظري؛ وفيه يُنظر لمنع المجاز في القرآن الكريم واللغة، ويسير في تفسيره لبعض الآيات وفق هذا المنهج التنظيري.

الثاني: المنهج التطبيقي؛ وفيه يذكر علاقات المجاز وأنواعه أثناء تناوله لتفسير الآيات، مما يدل على أن القول بالمجاز ضرورة، وأن الإنسان لا يمكن أن يتخلص من أساليبه.

أولاً: في منعه للمجاز:

الشيخ -رحمه الله- يسلم تسليماً مطلقاً بظاهر كل ما وصف الله تعالى به نفسه دون تحريف أو تكيف أو تمثيل؛ وكان من أبرز ذلك استواء الله على العرش، فهو يتبع فيها مذهب السلف الصالح الذي عبر عنه الإمام مالك -رحمه الله- بقوله لرجل سأله عنه: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء»^(٣). ولما كان التأويل يقوم أساساً على المجاز أنكر الشيخ ابن عثيمين وقوعه في اللغة، وتبعاً لذلك أنكر وقوعه في القرآن الكريم؛ فقد قال -رحمه الله- في حديث: ((الأبرص والأقرع والأعمى))^(٤): «وإثبات صفة الرضا لله ﷻ لا يقتضي انتفاء صفة الحكمة، بخلاف رضا المخلوق، فقد تنتفي معه الحكمة... ومن فسّر الرضا بالثواب أو إرادته؛ فتفسيره مردود عليه، فإنه إذا قيل: إن معنى (رضي)؛ أي: أراد أن

(١) شرح الأصول من علم الأصول: ١١٩-١٢٠.

(٢) السابق: ١٣٧.

(٣) رواه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة: ٦٦٤، والبيهقي في الأسماء والصفات: ٨٦٧، وقال الحافظ في الفتح: ١٣/٤٠٧، إسناده جيد.

(٤) أخرجه: البخاري: ١/١٦٧٩، (٣٤٦٤)، ومسلم: ٤/٢٢٧٥، (٢٩٦٤).

يثيب، فمقتضاه أنه لا يرضى، ولو قالوا: لا يرضى لكفروا؛ لأنهم نفوها نفي جحود؛ لكن أولوها تأويلاً يستلزم جواز نفي الرضا؛ لأن المجاز معناه نفي الحقيقة، وهذا أمرٌ خطير جداً. ولهذا بيّن شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم: أنه لا مجاز في القرآن ولا في اللغة، خلافاً لمن قال: كل شيء في اللغة مجاز^(١). وهاهنا يتضح السبب الأول في منعه المجاز - كما ذكرت - وهو رفضه التأويل المجازي في أسماء الله وصفاته.

ويتضح السبب الآخر من منعه المجاز من خلال الشاهد التالي:

ففي شرحه للعقيدة السفارينية يذكر توجيهه لبيت الناظم الذي يقول:

مِنْ رَحْمَةٍ وَنُحُوهَا كَوَجْهِهِ وَيَدِهِ وَكُلِّ مَا مِنْ نَهْجِهِ

«قوله - رحمه الله -: (ويده) يعني وكذلك نؤمن بيد الله ﷻ بدون تمثيل... هل اليد حقيقة

أو مجاز؟

وقبل أن نجيب لا بد أن نعرف أنه ليس في القرآن مجاز أصلاً؛ وذلك لأن من أبرز علامات المجاز جواز نفيه، وليس في القرآن شيء يجوز نفيه أبداً، فمثلاً إذا قلت: رأيت أسداً يحمل حقييته ويحفظ درسه. (فأسد) هنا أعني به طالباً شجاعاً. فإذا قال لي المخاطب: هذا ليس بأسد بل هذا بشر، فإنه يصح كلامه. إذاً فهنا قد نفينا وصح الكلام، وعلى ذلك فالجواز يصح نفيه.

لكن ليس في القرآن شيء يصح نفيه. وهذا دليل واضح على ذلك، وعليه اعتمد الشنقيطي - رحمه الله - في كتابه: (منع المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز في القرآن)، ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم - رحمهما الله - ذهبوا إلى أبعد من ذلك، وقالوا: ليس في اللغة العربية كلها مجاز، والمجاز الذي ادعاه من ادعاه طاغوت أرادوا به أن يحرفوا آيات الصفات وأحاديثها عما أراد الله بها ورسوله، ولهذا عنون ابن القيم - رحمه الله - في النونية على هذه المسألة فقال: «فصل في كسر الطاغوت الذي نفوا به صفات ذي الملكوت والجبوت»، يعني المجاز الذي كانوا يلهجون به ويحتجون به وعلى العكس من ذلك فقد رأيت كلاماً لبعض أهل اللغة نقله ابن القيم. أيضاً في (الصواعق المرسله)، يقولون: جميع الكلام في اللغة العربية مجاز،

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢ / ٢٩٧.

وليس فيه حقيقة، فإذا قيل: إن زيدًا قائم، قالوا: إن زيدًا قائم، ليس حقيقة؛ لأنه لا يقع الفعل على نفس الجملة، بل يقع على مدلولها.

وكذلك قولنا: خلق الله الإنسان، قالوا: ليس هذا القول حقيقة بل مجاز، وهكذا يأتيون بأشياء يضحك منها المجنون لا العاقل.

وعلى كل حال فإننا نقول: ليس في القرآن مجاز، بل ولا في اللغة العربية مجاز؛ لأن المجاز أبرز علاماته أنه يصح نفيه، ومن المعلوم أن الكلمة في مكانها ومعناها الذي دلت عليه وضعًا أو بقرينة لا يمكن نفيها^(١).

يقول في حديث النبي ﷺ في أحد: ((هذا جبل يحبنا ونحبه))^(٢). «وبهذا الحديث نعرف الرد على المثبتين للمجاز في القرآن، والذي يرفعون دائمًا علمهم مستدلين بهذه الآية: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ [الكهف: ٧٧]، يقول: كيف يريد الجدار؟!

فنقول: يا سبحان الله العليم الخبير يقول: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ [الكهف: ٧٧]، وأنت تقول: لا يريد! أهذا معقول؟ فليس من حقه بعد هذا أن تقول: كيف يريد؟! وهذا يجعلنا نسأل أنفسنا: هل نحن أوتينا علم كل شيء؟ فنحجب بالقول بأننا ما أوتينا من العلم إلا قليلاً.

فقول من يعلم الغيب والشهادة: ﴿يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ [الكهف: ٧٧]، لا يسوغ لنا أن نعترض عليه، فنقول: لا إرادة للجدار! ولا يريد أن ينقض! وهذا من مفاصد المجاز؛ لأنه يلزم منه نفي ما أثبتته القرآن^(٣). ولا يوجد في القرآن الكريم ما يصح نفيه، لأنه لو صح نفيه لقلنا: إن في القرآن الكريم ما هو كذب؛ وهو من أسباب رفض المجاز لدى منكريه.

ويقول -رحمه الله- في رده على من أنكر صفات الله بعد أن أثبت عدة صفات لله ﷻ: «...إلى غير ذلك من الصفات التي أثبتها الله ﷻ لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله ﷺ وهم ينكرون أن تكون لله ﷻ وكلام رسوله ﷻ، وإذا كانت هذه النصوص مجازًا بإقرارهم، فإن

(١) شرح العقيدة السفارينية: ٢٥٣-٢٥٦.

(٢) أخرجه: البخاري: ٣ / ١٥٠٩، (٢٧٣٦)، ومسلم: ٢ / ٩٩٣، (١٣٦٥).

(٣) شرح العقيدة الواسطية: ١ / ٤٣٩-٤٤٠، وينظر: شرح صحيح البخاري: ٣ / ٥٣٣.

من أبرز علامات المجاز صحة نفيه فيكون نفيها سائغاً على زعمهم مع أن الله أثبتها لنفسه»^(١).

فالمثبتون للمجاز، يقولون: إن المجاز يصح نفيه، وهو دليل من أدلة ثبوته، ولكن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - الذي ينفي وجوده في القرآن الكريم؛ يستدل بهذه الكلمة على استحالته في كتاب الله تعالى، فيقول: المجاز يصح نفيه، ولا شيء في كتاب الله يصح نفيه؛ فالجواز لا يقع في كتاب الله.

ويسترسل في الحديث - رحمه الله - في منعه للمجاز، موضحاً ومستشهداً بالآية الكريمة في سورة يوسف، فيقول: «وربما أورد علينا قول الله تعالى: ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢]، فقيل: أليس هذا مجازاً؟ وهل القرية تُسأل؟ فنقول: إن هذا ليس مجازاً؛ لأن المخاطب يعرف المعنى، ولو أردت أن تحول القرية إلى الجدران والبيوت لقليل: إنك مجنون.

وأولاد يعقوب لما قالوا: ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [يوسف: ٨٢]، ما كانوا يريدون من أبيهم ولا يمكن أن يفهم أبوهم أنهم يريدون أن يذهب إلى القرية ويقف عند كل جدار ويسأله هل سرق ابني؟ أبداً، ما كانوا يريدون هذا ولا خطر ببالهم، ويعقوب أيضاً يفهم أنهم لم يريدوا هذا، فإذا كان المتبادر من هذا السياق أن المراد سؤال من يصح توجيه السؤال إليه، بقي الكلام حقيقة. فالأصل إذاً في الكلام الحقيقة، حتى عند القائلين بأن هناك حقيقة ومجازاً، يرون أن الأصل في الكلام الحقيقة، ونحن إذا حملنا النصوص في اليد على حقيقتها لم يلزم منها محذور، لا في ذات الله ولا في صفاته، فليس هناك محذور في أن نقول: لله يد حقيقية بها يأخذ ويقبض ويسسط، ولكنها لا تشبه أيدي المخلوقين»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْبَعَهُمْ فِيَءِذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٩]، يقول - رحمه الله - : «قوله تعالى:

(١) مجموع الفتاوى: ١ / ٢٧٥.

(٢) السابق: ٢٥٤-٢٥٦.

﴿يَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ﴾، هذا وقد قيل: إن في الآية مجازاً من وجهين؛ الأول: أن الأصابع ليست كلها تجعل في الأذن؛ والثاني: أنه ليس كل الأصبع يدخل في الأذن؛ والتحقيق: أنه ليس في الآية مجاز؛ أما الأول: فلأن (أصابع) جمع عائد على قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُونَ﴾، فيكون من باب توزيع الجمع على الجمع - أي يجعل كل واحد منهم أصبعه في أذنه؛ وأما الثاني: فلأن المخاطب لا يمكن أن يفهم من جعل الأصبع في الأذن أن جميع الأصبع تدخل في الأذن؛ وإذا كان لا يمكن ذلك امتنع أن تحمل الحقيقة على إدخال جميع الأصبع؛ بل الحقيقة أن ذلك إدخال بعض الأصبع؛ وحيث لا مجاز في الآية؛ على أن القول الراجح أنه لا مجاز في القرآن أصلاً؛ لأن معاني الآيات تدرك بالسياق؛ وحقيقة الكلام ما دل عليه السياق وإن استعملت الكلمات في غير أصلها؛ وبمخ ذلك مذكور في كتب البلاغة، وأصول الفقه»^(١).

ومن الشاهدين السابقين يتبين لنا أن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - يسلك مسلك ابن تيمية وابن القيم^(٢)، ويشير - رحمه الله - أن من علامات المجاز صحة نفيه وليس في القرآن ما يصح نفيه، وأن المجاز لا مكان له في القرآن الكريم ولا في اللغة العربية؛ وأن المعنى يُفهم من السياق دون اللجوء للقول بالمجاز، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَأَلَ الْقُرَيْبَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، فالمعنى واضح، وهو أن المقصود من السؤال هم أهل القرية وليس من العقل مخاطبة القرية؛ أي أن ذلك على وجه الحقيقة؛ والمخاطب يعلم أن المقصود بالسؤال هم أهل القرية، إذن لا داعي للقول بالمجاز هنا، وبالتالي نفي وقوعه.

وفي قوله تعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنَّىٰ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَ أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَاقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، قال: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ﴾ أي: إنه مائل يريد أن يسقط، فإن قيل: هل للجدار إرادة؟ فالجواب: نعم له إرادة، فإن ميله يدل على إرادة السقوط، ولا تتعجب أن كان للجدار إرادة فيها

(١) تفسير سورة البقرة: ١ / ٦٧-٦٨.

(٢) ينظر: كتاب الإيمان لابن تيمية: ٨٦-٨٧، ومختصر الصواعق لابن القيم: ٢ / ٢٤٣-٢٨٧.

هو (أحد) قال عنه النبي ﷺ: إنه ((يجبنا ونحبه))^(١)، والمحبة وصف زائد على الإرادة، أما قول بعض الناس الذين يجيزون المجاز في القرآن: إن هذا كناية، وأنه ليس للجمام إرادة فلا وجه له^(٢).

في حديث مَنْ سب الدهر؛ فقد آذى الله: ((يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر؛ أقلب الليل والنهار))^(٣). قال الشيخ: «قوله: (وأنا الدهر) أي: مدبر الدهر ومصرفه، لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ولقوله في الحديث: ((أقلب الليل والنهار))، والليل والنهار هما الدهر. ولا يقال بأن الله هو الدهر نفسه، ومن قال ذلك، فقد جعل الخالق مخلوقاً، والمقلب بكسر اللام مقبلاً بفتح اللام. فإن قيل: أليس المجاز ممنوعاً في كلام الله وكلام رسوله وفي اللغة؟ أجيب: إن الكلمة حقيقة في معناها الذي دل عليه السياق والقرائن، وهنا في الكلام محذوف تقديره: وأنا مقلب الدهر؛ لأنه فسرته بقوله: (أقلب الليل والنهار)، والليل والنهار هما الدهر؛ ولأن العقل لا يمكن أن يجعل الخالق الفاعل هو المخلوق المفعول، والمقلب هو المقلب، وبهذا عرف خطأ من قال: إن الدهر من أسماء الله...»^(٤).

ويقسم الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- العلماء في قبول المجاز وإنكاره في القرآن الكريم واللغة، ضاربا الأمثلة على ذلك، فيقول: «المجاز هل هو موجود في اللغة أو لا؟

من العلماء من أنكر أن يكون موجوداً في اللغة، وحجته أن المعنى إنما يُعيّن السياق وقرائن الأحوال، وأن الكلمات نفسها ليس لها معنى ذاتي، بل هي بحسب التركيب، وإذا كانت بحسب التركيب صار الذي يُعين المعنى هو السياق، وإذا تعين المعنى فهذا هو الحقيقة، فإذا قلت: (رأيت أسد يحمل سيفاً) هل يمكن لأيّ واحد يسمع هذا الكلام أن يشتهه عليه الأسد الحقيقي بالأسد الشجاع، أو لا يمكن؟ لا يمكن، إذاً هو حقيقة، هذا اللفظ مستعملٌ حقيقة في موضعه بقرينة الحال، لكن لو قلت: (رأيت أسداً) فهنا لا يمكن أن يراد به الرجل الشجاع؛

(١) أخرجه: البخاري: ٣ / ١٥٠٩، (٢٧٣٦)، ومسلم: ٢ / ٩٩٣، (١٣٦٥).

(٢) تفسير سورة الكهف: ١٢٠.

(٣) أخرجه: البخاري: ٤ / ١٨٢٥، (٧٠٥٣)، ومسلم: ٤ / ١٧٦٢، (٢٢٤٦).

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢ / ٢٤٥-٢٤٦.

لأن الكلمة موضوعة في الأصل للحيوان المفترس المعروف، فُتحمّل عند عدم القرينة على ما وضعت له أولاً، وهذا الذي حققه شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - وأطال فيه في كتاب (الإيمان)، ولخصّه تلميذه ابن القيم وقربه إلى الأفهام بكتابه (الصواعق المرسلّة على الجهمية والمعظلة). على كل حال يرى هؤلاء العلماء أنه لا مجاز في اللغة مطلقاً، حُجّتهم أن المعنى يعينه السياق، وأن الكلمة بسياقها لا يمكن أن يُراد بها إلا ما سبقت له وهذا هو الحقيقة.

ومنهم من يرى أن المجاز في اللغة واقع، وفي القرآن ممنوع، كالشيخ محمد الأمين الشنقيطي - رحمه الله -: فإنه ألف رسالة تدل على أن المجاز ممنوع في القرآن، لكنه موجود في اللغة العربية، حجته في ذلك يقول: إن من علامات المجاز جواز نفيه، ولا شيء في القرآن يجوز نفيه، فبطل أن يكون في القرآن مجاز، مثال ذلك لو قلت: (رأيت أسداً يحمل سيفاً) يجوز لأي واحد أن يعارك ويقول: (هذا ليس بأسد، هذا رجل شجاع)، فمن علامات المجاز صحة نفيه، وليس في القرآن ما يصح نفيه. لكن ما ذهب إليه شيخ الإسلام - رحمه الله - أقرب إلى الصواب، مادامنا نقول: (إن المعنى تابعٌ للسياق وقرائن الأحوال)؛ فإنه لا مجاز فيه، ولهذا نُجذُّ الفرق حتى في نبرات الصوت، لو قلت لواحد: (اسكت) - بهدوء - وآخر: (اسكت) بشدة -؛ يُفهم من الأول: الأمر بالسكوت بطمأنينة، ومن الثاني: الزجر بشدة، مع أن الاختلاف في الأداء فقط، فالمعاني تُعيّنُ السياقات والقرائن. لكن الجمهور على ثبوت المجاز في القرآن وفي اللغة العربية، فلننظر ما هو المجاز عندهم؟^(١).

ثانياً: في تطبيقه للمجاز:

من شواهد تطبيقه للمجاز ما يأتي:

في قوله تعالى: ﴿يَنْحَسِرُونَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]، يقول - رحمه الله -: «(على العباد) المراد بالعباد هنا العبودية العامة، وليست الخاصة؛ لأن العبودية خاصة لا تحسر على أهلها، وقد تقدم أن العبودية تنقسم إلى قسمين: عبودية عامة وخاصة، فإن قيل: العبودية العامة أيدخل فيها غير المكذبين؟ فالجواب أن نقول: العبودية هنا

(١) شرح دروس البلاغة: ١٠٧.

عامّة، لكنه عام أريد به الخصوص، وهم المكذبون للرسول، قال المؤلف (جلال الدين المحلي): «ونداؤها مجاز» يعني ليس حقيقة؛ لأن النداء حقيقة إنما يوجه إلى من يعقل، وما لا يعقل فليس نداؤه على سبيل الحقيقة، ولهذا قالوا في قول الشاعر:

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا ابْجَلِي بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلٍ^(١)

إن هذا يراد به التمني، وليس النداء بمعنى طلب الحضور؛ لأن الليل لا يعقل، فالنداء حقيقة إنما يوجه لمن يعقل، وإذا وجه لمن لا يعقل صار له معنى آخر على سبيل التجوز، والمعنى أنه جعل غير العاقل كالعاقل، كأن الحسرة شيء يأتي ويذهب...»^(٢). وهنا لم يشر إلى إنكاره لقول المؤلف وتابع تفسير الآية بما تحتمله من مجاز.

في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٤٠]، قال الشيخ: «وقوله ﴿ غُلْمٌ ﴾ مع أنه لم يولد بعد، لكن هذا باعتبار ما سيكون، والتعبير بما سيكون أمر سائغ في اللغة، واردٌ في القرآن: ﴿ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾ [يوسف: ٣٦]، يعني أعصر عنبا يكون خمرا؛ لأن الخمر لا يعصر، فعبر عن الشيء بما يؤول إليه»^(٣).

فالشيخ هنا وإن لم يستعمل مصطلح المجاز فإنه يذكر تحليلات أهل المجاز وتعليقاتهم.

ومن ذلك قوله عند قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ ﴾ [آل عمران: ٩٣]، فبعد أن ذكر الشيخ أن في: ﴿ تُنَزَّلَ ﴾ قراءتين، وفصل الحديث في القراءات قال: «أما بالنسبة للفرق بين (تُنزَّل) و(تُنزَّل) فلا فرق، لأن التوراة نزلت جملة واحدة، سواء أقيل (تُنزَّل) أم (تنزل)، أما القرآن فإنه نزل مفرقا، فإذا جاء: (نزلنا عليك) فالمراد نزوله شيئا فشيئا، وإذا قيل: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: ١]، فالمراد: يعني ابتدأنا إنزاله. وإذا قيل: ﴿

(١) البيت لامرئ القيس، ديوان امرئ القيس: ١٤٧.

(٢) تفسير سورة يس: ١٠٦-١٠٧.

(٣) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٢٤٤.

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴿ [النحل: ٤٤]، فباعتبار أنه سيكون تامًّا، وبتمامه يكون قد نزل كله»^(١). وهذا كالذي قبله.

وقال عند قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]، من فوائد الآيات: «جواز التعبير عن الكل ببعض إذا كان هذا البعض من مباني الكل التي لا يتم إلا بها؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَزْكُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣]»^(٢).

ومن ذلك قوله عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧]، حيث قال: «قوله: (إن الذين اشتروا الكفر): أي: اختاروا الكفر على الإيمان، وإلا فإن الكفر ليس سلعة تباع وتشتري، فالاشتراء هنا بمعنى الاختيار وترك الطرف الآخر. يقول بعض علماء البلاغة: في هذه الجملة مجاز بالاستعارة المكنية، أو الاستعارة التصريحية التبعية، فإنه شبه الكفر بالسلعة التي تباع وتشتري، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الشراء، هذا على أنها مكنية، وتصريحية تبعية معناها: أنها تجري مجرى الاستعارة بالفعل أو اسم الفاعل، يعني بالشيء المشتق، فهنا (اشترؤا) بمعنى اختاروا، فشبه الاختيار بالشراء، ثم اشتق من لفظ الشراء (اشترؤا) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية»^(٣). فنقله عن بعض علماء البلاغة، وعدم تعقيب يدل على أنه يقول بذلك القول.

وقال عند قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَامٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ١٨٢]: من فوائد هذه الآية: «جواز إطلاق البعض على الكل إذا وجدت قرينة تدل عليه؛ لقوله: ﴿بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ﴾، فاليد بعض من الإنسان لكن (القرينة) تدل على أن المراد الكل يعني (بما قدمتم)، ونظيرها في صفات الله قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾ [يس: ٧١]، هل نقول: إن الله خلق الإبل مثلاً بيده كما خلق آدم؟ الجواب: لا، فيكون المراد: ﴿مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ أي: مما عملنا؛ لأن الله لم يخلق الإبل بيده كما خلق

(١) السابق: ١ / ٥٣٣.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١ / ١٥٧.

(٣) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٤٦٤-٤٦٥.

آدم، ولكن لا يعني هذا أن الآية ليس فيها دلالة على ثبوت اليد لله، بل فيها دلالة على ثبوت اليد لله تعالى؛ لأنه لولا أن له يدًا ما صحَّ أن يضيفها إلى نفسه»^(١).

وفي ذكره لفوائد الآيات في سورة النساء، يقول: «إطلاق السبب على مسببه، لقوله: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]، فإن عيسى ليس هو الكلمة نفسها، لكنه خلق بالكلمة، فأطلق السبب وأريد المسبب»^(٢).

وبعد هذا العرض نخلص إلى ما يأتي:

- أن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - له رأيان في مسألة الحقيقة والمجاز، وهو ما صرح به من كلامه أنه كان يقول به في أول أمره، ثم مال إلى المنع.
- أن الشيخ - رحمه الله - ذكر أسبابًا لمنع المجاز؛ وهي:

- ١- أن مصطلح المجاز حادث بعد القرون الثلاثة الأولى.
- ٢- ما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في أن المجاز الذي ادعوه إنما أرادوا به أن يحرفوا آيات الصفات وأحاديثها عما أراد الله بها ورسوله؛ لذا فكان إنكار المجاز سدًا لطريق المبتدعة؛ حين اتخذوا المجاز سلمًا للوصول إلى أغراضهم ومعتقداتهم.

- ٣- أن من علامات المجاز صحة نفيه، وليس في القرآن ما يصح نفيه.
- ٤- أن المعنى إنما يُعَيَّنُ السياق وقرائن الأحوال، وأن الكلمات نفسها ليس لها معنى ذاتي، بل هي بحسب التركيب، وإذا كانت بحسب التركيب صار الذي يُعَيَّنُ المعنى هو السياق، وإذا تعين المعنى فهذا هو الحقيقة.

الرد على أسباب منع المجاز:

- ١- دعوى أن كلمة مجاز لم تعرف بمعناها الاصطلاحية المعروف عند علماء البلاغة، إلا بعد القرون الثلاثة المفضلة. وهذه الدعوى مردودة من وجوه:
- الأول: أن الآمدي قال: إن أهل الأعصار لم تزل تتناقل في أقوالها وكتبها عن أهل الوضع

(١) السابق: ٢ / ٥٠٠.

(٢) تفسير سورة النساء: ٢ / ٥١٦.

تسمية هذا حقيقة وهذا مجازاً.

وقد ذكر ابن تيمية أن من العلماء من نقل عن العرب أنهم كانوا يعرفون الحقيقة والمجاز، منهم القاضي أبو الطيب الباقلاني (٤٠٣هـ)، وأبو الحسن البصري (٤٣٦هـ)، والقاضي أبو يعلى (٤٥٨هـ)، وغيرهم^(١).

وتكلم المبرد والآمدي والرماني وابن جني والباقلاني وابن رشيق وابن سنان الخفاجي عن المجاز، ولم يسموه بهذا الاسم^(٢).

ومثل هؤلاء لا يمكن اتهامهم في نقلهم، بأنهم نقلوا ما لم يكن، وليس من منهج البحث السليم أن نتهم علماء في صحة نقلهم إذا كنا نحن لم نقف على ما وقفوا عليه، ومعروف لكل من درس التاريخ الإسلامي ما أصاب تراثنا من محن قضت على كثير منه، على أننا حين نرجع إلى أصول البحث والمناظرة فإن قول المثبت مقدم على قول النافي.

الثاني: اكتشف العلماء منذ بدايات التصنيف أساليب المجاز في كلام العرب، وفي كلام الله ﷻ، وفي كلام رسوله ﷺ، ووقفوا على كلمات تؤدي معنى كلمة مجاز، فسيبويه مثلاً يستعمل كلمة (الاتساع)^(٣)، والفراء يسميه (الإجازة)^(٤)، وكذلك الشعراء الذين عاشوا في القرن الثاني الهجري، أي: منذ بدء التصنيف، فهو قدم قدم التأليف اللغوي، لكن لا باسمه الصريح^(٥)، ومما جاء في الكتاب لسيبويه باسم سعة الكلام، والاتساع^(٦): «ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار، قوله تعالى: ﴿ وَسَأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف: ٨٢]، إنما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاملاً في الأهل لو كان هنا، ومثله: ﴿ بَلْ مَكْرٌ آلِيلٍ وَالنَّهَارِ ﴾ [سبأ: ٣٣]، وإنما المعنى: بل مكرهم في الليل

(١) ينظر: المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع، لعبد العظيم المطعني: ٢٢.

(٢) ينظر: المجاز المرسل والكناية ليوסף أبو العدوس: ١٥-٤٠، وفنون بلاغية لأحمد مطلوب: ١١٠-١١١.

(٣) ينظر: الكتاب: ١ / ١٠٨.

(٤) معاني القرآن: ٣ / ٢٧٠-٢٧١.

(٥) المجاز في اللغة والقرآن، محاضرة للدكتور عبد المحسن العسكر ألقاها في الجمعية السعودية للقرآن الكريم: ٦-٧،

وينظر: المجاز في اللغة والقرآن الكريم: ٢٢-٢٣.

(٦) الكتاب: ١ / ١٠٨.

والنهار»^(١)، والأول سماه المتأخرون المجاز بالحذف، والثاني جعلوه نوعاً من المجاز العقلي.

والاستعارة عرفت في القرون الثلاثة المفضلة، وهي نوع من المجاز، ومن ذلك:

كان أبو عمرو بن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة، قول ذي الرمة:

أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى دَوَى الْعَوْدُ فِي الثَّرَى وَسَاقَ الثُّرَيَّا فِي مَلَاءَتِهِ الْفَجْرُ^(٢)

ويقول: ألا ترى كيف صير له ملاءة، ولا ملاءة له، وإنما استعار له هذه اللفظة^(٣).

ومما اختاره ابن الأعرابي قول أُرطاة بن سهية:

فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّ بَيْضَاءِ إِنِّي هُرَيْقٌ شَبَابِي، وَاسْتَشَنَّ أَدِيمِي^(٤)

فقال: هريق شبابي لما في الشباب من الرنق والظراوة التي هي كالماء. ثم قال: استشن

أديمي؛ لأن الشن هو القرية اليابسة، فكأن أديمه صار شناً لما هريق ماء شبابه، فصحت له

الاستعارة من كل وجه، ولم يبعد^(٥).

وجاء عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، معلماً على قول جرير:

لَا قَوْمَ أَكْرَمٍ مِنْ تَمِيمٍ إِذْ غَدَتِ عَوْذُ النِّسَاءِ يُسَقِّنُ كَالْأَجَالِ^(٦)

قوله: عوذ النساء: هن اللاتي معهن أولادهن. والأصل في عوذ الإبل التي معها أولادها،

فنقله العرب إلى النساء، وهذا من المستعار. وقد تفعل العرب ذلك كثيراً^(٧).

وكل هؤلاء عاشوا في القرن الثاني الهجري.

«ومن الرواة من عرفوه باسم (البديع) كابن المعتز الذي ألف أول كتاب في البديع، ألفه

سنة (٢٧٤هـ) حيث قال: «وما جمع قبلي فنون البديع أحد»، أي إن مهمته كانت الجمع

لا الاختراع، وإن ذكروا أنه وضع بعض الألقاب.

(١) الكتاب: ١ / ١٠٨.

(٢) البيت لذي الرمة: ديوان ذي الرمة: ٢١٠، خزنة الأدب: ١ / ١١٠.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ١ / ١٨١.

(٤) البيت لأرطاة بن سهية الطرماح: ديوان الطرماح: ١١، العمدة: ١ / ٩٠.

(٥) السابق: ١ / ١٨٥.

(٦) البيت للفرزدق: ديوان الفرزدق: ٣٨٦، منتهى الطلب من أشعار العرب: ١ / ٢٠٣.

(٧) نقائض جرير والفرزدق: ١ / ١٢١.

بل إن تقسيم الكلام إلى حقيقة ومجاز كان معروفاً في أوائل القرن الثالث الهجري، قال أبو تمام (ت ٢٣٢هـ) في وصف الخمر:

لَقَدْ تَرَكْتَنِي كَأْسُهَا وَحَقِيقَتِي مَجَازٌ وَصُبْحٌ مِنْ يَقِينِي كَالظَّنِّ^(١)

وعليه فلا بد أن تكون كلمة مجاز المقابلة للحقيقة معروفة مشهورة، حتى يستعملها شاعر لم يعرف عنه أنه عُني بالدراسات النحوية التي كانت سائدة في عصره، والشعراء ليسوا من أرباب وضع المصطلحات»^(٢).

واشتهر المجاز بمعناه الاصطلاحي الذي يقابل الحقيقة عند العلماء، منهم:

«ابن قتيبة - رحمه الله - (ت ٢٧٦هـ) عرض في كتابه (تأويل المشكل) باباً سماه: (القول في المجاز)^(٣)، ثم تكلم عمن يطعن في القرآن بالمجاز، ثم تكلم أيضاً على الذين يردون على مَنْ نفى المجاز، وناقشهم نقاشاً كثيراً، هنالك أيضاً شيخه الجاحظ (ت 255 هـ)، له كتابات في المجاز منتشرة في (الحيوان)، فتناوله وسماه (المجاز)، والجاحظ معدود في طائفة الأدباء. وابن قتيبة إلى اللغويين أقرب منه إلى غيرهم.

كذلك ممن عرض للمجاز من أهل القرن الثالث: الإمام الدارمي (ت ٢٨٠هـ)، في كتابه (النقض على بشر المريسي)؛ فإنه عرض للمجاز في صفحات متعددة من كتابه، وهو معدود في علماء الإسلام الكبار.

الإمام البخاري (ت 256هـ) - رحمه الله - في كتابه: (خلق أفعال العباد) تكلم عن المجاز في مقابل لفظ (الحقيقة).

وهذا الإيراد للمجاز بمعناه الاصطلاحي في هذه البيئات المختلفة؛ الأدباء، واللغويين، والمحدثين، وعلماء الشريعة - يدل على أنه كان مشهوراً في القرن الثالث ولا سيما في المنتصف الأول منه»^(٤).

(١) البيت لأبي تمام: ديوان أبي تمام: ١ / ٨٩٨.

(٢) المجاز في اللغة والقرآن الكريم: ٢٢-٣٤.

(٣) ينظر: تأويل مشكل القرآن: ١ / ١٧-٣٢.

(٤) المجاز في اللغة والقرآن للعسكر: ٩.

٢- الرد على السبب الثاني في إنكار المجاز عند الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله:-

ما نقله عن شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في أن المجاز الذي ادعوه إنما أرادوا به أن يحرفوا آيات الصفات وأحاديثها عما أراد الله بها ورسوله.

فأقول:

«إن من الممكن أن نعتقد مذهب السلف في الأسماء والصفات-وهو مذهب قويم وسليم- دون أن ننكر المجاز؛ ذلك أنه لا بد لكل مجاز من قرينة...على أن من المثبتين للمجاز -بل كثير منهم- يدينون بمذهب السلف في إثبات الأسماء والصفات، فيقولون: لله سبحانه وجه وعين ويد، ولكن ليس كوجوهنا وعيوننا وأيدينا، ولم يؤثر إثبات المجاز شيئاً في عقيدتهم هذه»^(١).

فالمثبتون للمجاز من أئمة أهل السنة لم يدفعهم تأويل المبتدعة للقرآن الكريم والسنة النبوية إلى إنكار المجاز، بل أثبتوه لكونه أسلوباً من أساليب العرب، وكنا من كنوز البلاغة، ودليل الفصاحة في اللغة، مع إنكارهم وردهم على مَنْ اتخذ ذريعة للتأويل في أسماء الله وصفاته، فلا يلزم من قبول المجاز تأويل الصفات.

(ومن هؤلاء الإمام عثمان بن سعيد الدارمي -رحمه الله- الذي رد على المريسي الجهمي في كتابه: (النقض على بشر المريسي) قال: «ونحن قد عرفنا بحمد الله تعالى من لغات العرب هذه المجازات التي اتخذتموها دلسة وأغلوطة على الجهال، تنفون بها عن الله حقائق الصفات بعلل المجازات»^(٢)، ثم ذكر بطلان ما يدعيه الجهمي في تذرعه بالمجاز. وكتاب الدارمي هذا قال عنه ابن القيم في (اجتماع الجيوش الإسلامية): «كان شيخ الإسلام يعظمه جداً وكان يوصي بقراءته»^(٣).

وقال ابن عبد البر في سياق رده على تأويل المعتزلة لاستواء الله ﷻ على عرشه: «من حق الكلام أن يحمل على حقيقته حتى تتفق الأمة أنه أريد به المجاز، إذ لا سبيل إلى اتباع ما أنزل

(١) السابق: ١١.

(٢) نقض الإمام الدارمي على المريسي: ٢ / ٨٥٥-٨٥٦.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم: ١٤٣.

إلينا من ربنا إلا على ذلك، وإنما يوجه كلام الله ﷻ إلى الأشهر والأظهر من وجوهه، ما لم يمنع من ذلك ما يجب له التسليم. ولو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات. وجل الله ﷻ عن أن يخاطب إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين»^(١).

«وقد سلك هذا المسلك شيخ الإسلام -رحمه الله- أيضاً، وله فيه كتابات مؤصلة مفردة ومضمنه. ذكر أصولاً وقواعد في كل كلام يحاول صرفه من حقيقته إلى مجازه، وهذه القواعد لخصها -رحمه الله- في رسالته (المدنية في الحقيقة والمجاز في الصفات)، وكذلك لخص هذه القواعد في أول: (بيان تلبيس الجهمية). ولو أن هذه القواعد طبقت على كل نص يحاول تعطيله من نصوص الصفات وغيرها لكانت جامعة مانعة»^(٢).

وقد اختصر -رحمه الله- هذه القواعد فقال: «لا يجوز تأويل النصوص من الحقيقة إلى المجاز إلا بعد تحقق أربعة أشياء؛ أحدها: أن ذلك اللفظ مستعمل بالمعنى المجازي، الثاني: أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه. الثالث: أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض. الرابع: أن الرسول ﷺ إذا تكلم بكلام وأراد به خلاف ظاهره و ضد حقيقته فلا بد أن يبين للأمة أنه لم يرد حقيقته وأنه أراد به مجازه»^(٣).

وابن تيمية - كما ذكرت آنفاً - ممن ينكر المجاز، ويرى أنه لو صح القول به فإنه لا بد من ضوابط تضبطه، ومن ذلك ضابط القرينة الصارفة عن المعنى الحقيقي إلى المجازي^(٤).
«هذه الطريقة في مجادلة المعطلة وغيرهم ممن يلجؤون إلى المجاز هي وسيلة عظيمة نافعة ينبغي سلوكها، أما إنكار المجاز، فإنه يتعذر؛ لأن المجازات ضرورة في كل لغة»^(٥).

والذي يظهر: «أن إنكار المجاز ليس هو الجواب الكافي، ولا الدواء الناجع في الرد على المبتدعة، كما أن إثبات المجاز ليس هو المصحح لعقائد المخالفين، ولا المسوغ لقبول مذاهبهم

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٧ / ١٣١.

(٢) المجاز في اللغة والقرآن للعسكر: ١٤.

(٣) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٦٠.

(٤) ينظر: إثبات القول بالمجاز عند أئمة أهل السنة والجماعة للدكتور: يوسف العليوي: ٥٩-٦٠.

(٥) المجاز في اللغة والقرآن للعسكر: ١٤.

الفاصلة المخالفة لإجماع السلف، فلا أثر في إثبات المجاز ولا نفيه في تأييد مذهب أي الطائفتين»^(١).

٣- الرد على السبب الثالث لمنع المجاز عند الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- وهو:

أن من علامات المجاز صحة نفيه وليس في القرآن ما يصح نفيه.

يقال: إن المنفي هو المعنى الحقيقي للفظ، أما المعنى المجازي له فثابت، وهو المراد، «فمثلاً إذا قيل: سمعت بحراً يعظ، تريد رجلاً عالماً واسع العلم، تستطيع أن تقول: ليس هو ببحر، فتدعي أنه بحر حقيقة، لكن لا تستطيع أن تقول: ليس هو ببحر على المجاز؛ لأن القرينة تكذبك. وعلى ذلك فعندما تنفي المجاز لا تنفيه هو وإنما تنفي حقيقته»^(٢).

قال ابن قتيبة: «وأما الطاعنون على القرآن ب(المجاز) فإنهم زعموا أنه كذب؛ لأن الجدار لا يريد، والقرية لا تُسأل... ولو كان المجاز كذباً وكلُّ فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلاً كان أكثر كلامنا فاسداً؛ لأننا نقول: نبت البقل، وطالت الشجرة، وأينعت الثمرة، وأقام الجبل، ورخص السَّعر. وتقول: كان هذا الفعل منك في وقت كذا وكذا، والفعل لم يكن وإنما كُؤن... والله تعالى يقول: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ [محمد: ٢١]، وإنما يُعزم فيه. ويقول: ﴿فَمَا رِيحَتِ بِحَدْرَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٦]، وإنما يُريح فيها. ويقول: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٨]، وإنما كُذِّب به...»^(٣).

٤- الرد على السبب الرابع لمنع المجاز عند الشيخ -رحمه الله- وهو:

أن المعنى إنما يُعيَّن السياق وقرائن الأحوال، وأن الكلمات نفسها ليس لها معنى ذاتي، بل هي بحسب التركيب، وإذا كانت بحسب التركيب صار الذي يُعين المعنى هو السياق، وإذا تعين المعنى فهذا هو الحقيقة.

«يرد على هذا بأن لدينا الوسائل اللغوية التي تقطع بأن استعمال هذه الكلمة في هذا

(١) ينظر: البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد، للدكتور: عبد المحسن العسكر: (ضمن ندوة الدراسات البلاغية

الواقع والمأمول): ١٥٨٤.

(٢) المجاز في اللغة والقرآن الكريم للمطعني: ٣٠.

(٣) تأويل مشكل القرآن: ١٣٢.

المعنى أصل وفي غيره فرع، وذلك ما قدمناه من استصحاب المعنى الأصلي للكلمة حين تنقل إلى غيره، وعدم استصحابها المعنى الثاني حين تطلق على المعنى الأول، فإطلاق الحسام على الرجل الماضي في أمره فيه استصحاب معنى الحسام وهو القطع والمضاء، وإضافة ذلك إلى الرجل، وليس في إطلاق الحسام على الحسام المعروف معنى من معاني الرجل، وهذا قاطع في أنه أصل في هذا وفرع في ذلك»^(١).

«ودلالة الأسد على الحيوان المفترس تختلف عن دلالة على الرجل الشجاع، من وجهين: الوجه الأول: أنه لا يدل على الشجاع إلا بضميمة هي التي نسميها قرينة، ويدل على الحيوان المفترس من غير ضميمة، والقول بأن الأسد مع القرينة حقيقة في الشجاع، تسليم بأن الأسد من غير القرينة ليس حقيقة في الشجاع.

الوجه الثاني: وهو الأهم أن الأسد حين يطلق على الرجل الشجاع يضيف إليه معنى من معاني الأسد، وحين يطلق على الأسد لا يضيف إليه معنى من معاني الرجل الشجاع، وهذا واضح، وقاطع ببطلان القول بتماثل الدلالة، ثم هو واضح أيضاً في أن المعنى الأصلي للأسد يظل ناشئاً به في الاستعمال الثاني، وأن دلالة على الشجاعة متكئة على دلالة على السبع، وليس الأمر كذلك في دلالة على السبع»^(٢).

وبعد هذا كله، فالشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - رغم تصريحه بمنع المجاز إلا أنه يتناول المجاز بعلاقاته وإن لم يصرح - في كثير منها - بمصطلح المجاز، ثم هو - أيضاً - يثبت الكناية^(٣)، والاستعارة في كلامه، ويقر شواهدهما؛ وهما من المجاز عند البلاغيين^(٤).

وهذا كله «مما يدل على أن وجود المجاز أمر لا بد منه في بعض الحالات، والقول به ضرورة؛ لهذا فإن إنكار وجود المجاز مما لا يكون عقلاً، ولا سبيل إلى إبطاله إلا بإبطال كلام العرب، فالعلماء يختلفون في المسألة الواحدة عند التطبيق، ولكن لا يعني أن القاعدة باطلة أو

(١) التصوير البياني لمحمد محمد أبو موسى: ٣٠.

(٢) السابق: ٢٧-٢٨.

(٣) ينظر: تفسير سورة الكهف: ١٤٦، وشرح الأربعين النووية: ١/ ٥٠.

(٤) ينظر: الكشاف: ١/ ٣٧-٣٨، والعمدة: ١/ ٢٦٨، والطراز: ١/ ١٧٢.

فاسدة، ولو أخذنا بهذا المنطق لأبطلنا الكثير من أصول العلوم»^(١).

(١) البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد: ١٥٩٤ وينظر: المجاز في اللغة والقرآن الكريم للمطعني: ٧٧، والمجاز في

اللغة والقرآن للعسكر: ١٤، وإثبات القول بالمجاز: ٧٢.

المبحث الرابع: التوجيه البلاغي في آيات العقيدة:

(يُقصد بالتوجيه بيان وجه الشيء؛ ووجه الشيء: حقيقته والمقصود منه، ومنه قولهم: وجه الكلام، أي: السبيل المقصود فيه.

وجاء في اللسان: «خرج القوم فَوَجَّهُوا للناس الطريقَ توجيهاً، إذا وَطَّئُوهُ وسَلَكُوهُ حتى استبان أَثْرُ الطريق لمن يسلكه، وَأَجْهَتِ السماءُ فهي مُجْهِيَةٌ إذا أَصْبَحَتْ، وَأَجْهَتْ لك السَّبِيلُ أَي: استبانَتْ، وبيتُ أَجْهَى: لا سِتْرَ عليه»^(١).

ومن هنا فإن المراد بالتوجيه البلاغي لآية معينة: بيان المقصود من الاستشهاد بها على المسألة البلاغية، أو بيان وجه الاستشهاد بالآية على الفن البلاغي.

ودارت مادة (عقد) في المعاجم اللغوية على معنى التوثيق، والربط بشدة وقوة وإحكام، والتوكيد، والإلزام^(٢).

والعقيدة عند أهل السنة هي: «الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره شره»^(٣).

وعليه فيراد بآيات العقيدة: الآيات التي يستدل بها على الأصول الإيمانية، وبها يكون الرد على المخالفين لها^(٤).

ولقد عُني الشيخ ابن عثيمين -رحمة الله عليه- بتقرير عقيدة أهل السنة والجماعة أيما عناية، وذلك ظاهر في مؤلفاته ودروسه ومحاضراته؛ إذ إنه يُعنى بتقرير منهج أهل السنة والجماعة، وهم من ساروا على سنن الرسول ﷺ وأصحابه علماءً واعتقاداً، وقولاً، وعملاً، ومنهجهم أسلم وأحكم من منهج مخالفهم.

وفي ضوء ما تناول الشيخ من إيضاح وتقرير وتوجيه -كان فيه خدمة لعقيدة أهل السنة والجماعة في إثبات وحدانية الله وفي ألوهيته: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [النساء:

(١) ينظر: تاج العروس، ولسان العرب: (وجه).

(٢) ينظر: لسان العرب، وتاج العروس، ومقاييس اللغة: (عقد).

(٣) شرح العقيدة الواسطية: ٢ / ١٢٩.

(٤) التوجيه البلاغي لآيات العقيدة: د. يوسف العليوي: ١٥-١٧.

[٣٦]، وفي ربوبيته: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ٢٥]، وفي أسمائه وصفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإلى جانب ذلك نجد -رحمه الله- يرد على الذين اتخذوا البلاغة وسيلة لإثبات مذاهبهم المخالفة^(١). وقد تناول الشيخ آيات العقيدة موجهًا لها توجيهًا بلاغيًا، مستخدمًا الأساليب البلاغية في إثبات عقيدة أهل السنة والجماعة، والرد على مخالفهم، ومن تلك الشواهد على ذلك ما يلي:

من شواهد التوجيهات البلاغية لآيات العقيدة عند الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- ما جاء في توجيهه للقول بالحقيقة دون المجاز:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شِيَطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ - ١٥]، يقول الشيخ -رحمه الله-: «والاستهزاء هنا في الآية على حقيقته؛ لأن استهزاء الله بهؤلاء المستهزين دال على كماله، وقوته، وعدم عجزه عن مقابلتهم؛ فهو صفة كمال هنا في مقابل المستهزين مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٥ - ١٦]، أي أعظم منه كيدًا؛ فالاستهزاء من الله تعالى حق على حقيقته، ولا يجوز أن يفسر بغير ظاهره، فتفسيره بغير ظاهره محرم؛ وكل من فسر شيئًا من القرآن على غير ظاهره بلا دليل صحيح فقد قال على الله ما لم يعلم؛ والقول على الله بلا علم حرام... بل نحن نؤمن بأن الله **وَعَلَىٰ** يستهزئ بمن يستحق الاستهزاء، يستهزئ بالمنافقين استهزاءً حقيقيًا؛ لكن ليس كاستهزائنا؛ بل أعظم من استهزائنا وأكبر، وليس كمثلته شيء؛ لأن الله وصف به نفسه فهو كمال.

وهذه القاعدة يجب أن يسار عليها في كل ما وصف الله به نفسه، فكما أنك لا تتجاوز حكم الله فلا تقول لما حرم: (إنه حلال) فكذلك لا تقول لما وصف به نفسه: إن هذا ليس المراد؛ فكل ما وصف الله به نفسه يجب عليك أن تبقيه على ظاهره، لكن تعلم أن ظاهره ليس

(١) ينظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع: ١/ ٢٩١، ٥/ ٨٣، شرح مقدمة التفسير: ٧٣، كتاب العلم: ١/ ٢٠٢،

لقاءات الباب المفتوح: ١٣/ شرح دروس البلاغة: ١٣٥-١٤١.

كالذي ينسب لك؛ فاستهزاء الله ليس كاستهزائنا؛ وقرب الله ليس كقربنا؛ واستواء الله على عرشه ليس كاستوائنا على السرير؛ وهكذا بقية الصفات نجريها على ظاهرها، ولا نقول على الله مالا نعلم؛ ولكن نزه ربنا عما نزه نفسه عنه من مماثلة المخلوقين؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، أما الخيانة فلا يوصف بها الله مطلقاً؛ لأن الخيانة صفة نقص مطلق؛ (والخيانة) معناها: الخديعة في موضع الائتمان، وهذا نقص؛ ولهذا قال الله ﷻ: ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأنفال: ٧١]، ولم يقل: فخانهم؛ لكن لما قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ﴾ [النساء: ١٤٢]، قال: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]؛ لأن الخديعة صفة مدح مقيدة؛ ولهذا قال الرسول ﷺ: ((الحرب خدعة))، وقال ﷺ: ((لا تخن من خانك))؛ لأن الخيانة تكون في موضع الائتمان، أما الخداع فيكون في موضع ليس فيه ائتمان؛ والخيانة صفة نقص مطلقة^(١).

ويقول -رحمه الله- في توجيه قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]: «المراد بهما - يعني: يدي الله ﷻ، قلنا له: لا نقبل هذا؛ لأن استعمال اليد في النعمة مجاز، ولا يمكن أن يحمل اللفظ على مجازه إلا بدليل صحيح يمنع إرادة الحقيقة»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [الفاتحة: ١]، «صفتان لله، والرحمن والرحيم معناهما ذو الرحمة... والرحمة صفة من صفات الله ﷻ الحقيقية الثابتة له على وجه الحقيقة لا المجاز»^(٣).
ثم يوجه الشيخ -رحمه الله- كلامه قائلاً: «فنقول: عجباً لكم، دلالة العقل على الرحمة أبلغ وأظهر وأوضح من دلالته على الإرادة، ولهذا جعلتم دلالة العقل على الإرادة بالتخصيص، وهذا لا يفهمه إلا خواص الناس، فلو سألت طالب العلم بدون أن يعرف البحث ما استدل بالتخصيص على الإرادة وهو طالب علم، لكن الرحمة كل يعرف أن الله تعالى رحمة، ويستدل عليها بالعقل، تأتي العامي في السوق فنقول: نزل المطر، واخضرت الأرض، ورويت الزروع، وما

(١) تفسير سورة البقرة: ١ / ٥٧-٥٨، وأحكام من القرآن الكريم: ٩٣ بتصرف.

(٢) شرح الأصول: ١٢٦.

(٣) تفسير سورة يس: ٦-٧.

أشبه ذلك، من أين هذا؟ فيقول لك مباشرة: من رحمة الله، فيستدل بالنعم التي هي من آثار الرحمة على الرحمة، ولكن نسأل الله لنا ولهم الهداية، ومن لم يجعل الله له نورًا فماله من نور»^(١). وفي حديث آخر يذكر سببًا آخر لضلال المعطلة، ويرد عليهم قائلاً: «وقد أنكر قوم وصف الله تعالى بالرحمة الحقيقية، وحرفوها إلى الإنعام، وإرادة الإنعام، زعمًا منهم أن العقل يحيل وصف الله بذلك؛ قالوا: (لأن الرحمة انعطاف، ولين، وخضوع، ورقة؛ وهذا لا يليق بالله ﷻ). والرد على وجهين:

الوجه الأول: منع أن يكون في الرحمة خضوع، وانكسار، ورقة؛ لأننا نجد من الملوك الأقوياء رحمة دون أن يكون منهم خضوع، ورقة، وانكسار.

الوجه الثاني: أنه لو كان هذا من لوازم الرحمة ومقتضياتها فإنما هي رحمة المخلوق؛ أما رحمة الخالق ﷻ فهي تليق بعظمته، وجلاله، وسلطانه؛ ولا تقتضي نقصًا بوجه من الوجوه. ثم نقول: إن العقل يدل على ثبوت الرحمة الحقيقية لله ﷻ ما نشاهده في المخلوقات من الرحمة بينهما يدل على رحمة الله ﷻ؛ ولأن الرحمة كمال؛ والله أحق بالكمال؛ ثم إن ما نشاهده من الرحمة التي يختص الله بها، كإنزال المطر وإزالة الجذب، وما أشبه ذلك - يدل على رحمة الله.

والعجب أن منكري وصف الله بالرحمة الحقيقية بحجة عقلية أخفى من الحجة العقلية على رحمة الله، حيث قالوا: إن تخصيص بعض المخلوقات بما تتميز به يدل عقلاً على الإرادة؛ ولا شك: أن هذا صحيح؛ لكنه بالنسبة لدلالة آثار الرحمة عليها أخفى بكثير؛ لأنه لا يتفطن له إلا أهل النباهة؛ وأما آثار الرحمة فيعرفه حتى العوام: فإنك لو سألت عاميًا صباح ليلة المطر: (يمُ مطرنا؟) لقال: (بفضل الله ورحمته)^{(٢)(٣)}.

ومنه توجيهه البلاغي لعجب الإنكار من الله ﷻ في آية الصفات، حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصفات: ١٢]، موجهًا وموضحًا: «في هذه الآية

(١) السابق: ٧-٨.

(٢) تفسير في جزء عم: ٩ - ١٠.

(٣) للاستزادة حول صفة الرحمة والرد على المعطلين ينظر: تفسير سورة النساء: ١ / ٢٢٦-٢٥٦-٤٨٢، وتفسير سورة

البقرة ١ / ٥-٦.

قراءتان بفتح التاء، فيعود الضمير على رسول الله ﷺ، وبالضم على الله ﷻ، هذا القول الصحيح، وإذا كان عائداً إلى الله ﷻ فهل هو عجب حقيقي أو مجازي؟ الصحيح أنه حقيقي وأنه كسائر الصفات، فإذا قال قائل: إن العجب هو حالة تطرأ على الإنسان لفعل ما لا يخطر له على بال، فكيف يمكن أن يوصف الله به؟

فالجواب أن نقول: إن أنواع العجب ثلاثة أقسام: عجب استحسان، وعجب إنكار، وعجب استفهام، والعجب الذي بمعنى الاستفهام لا يكون في حق الله؛ لأنه يكون لخفاء الأسباب على هذا المستغرب للشيء المتعجب منه، بحيث يأتيه بغتة بدون توقع، وهذا مستحيل على الله تعالى؛ لأن الله تعالى بكل شيء عليم. مثال للعجب الذي يحمل عليه الاستحسان: ((يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة))^(١)، مثال عجب الإنكار من الله: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصفات: ١٢]، هذا عجب إنكار^(٢).

ومن توجيهاته البلاغية في آيات العقيدة ما ذكر في تفسير اليمين في قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ... الآية﴾، يقول: «قال المؤلف في تفسير قوله: ﴿بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، (أي: توليتُ خَلَقَهُ، وهذا تشريف لآدم) عفا الله عنك أيها المؤلف! يقول: (توليتُ خَلَقَهُ) فراراً من إثبات اليد لله، ولا شك أن هذا تحريف، وأجاب عن الإضافة في قوله ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، بأن هذا تشريف لآدم، وإلا فكل مخلوق فإن الله قد تولى خَلَقَهُ. وبناء على كلام المؤلف لا يبقى لآدم التَّكْوِينُ فضل على سائر المخلوقات مادامنا نُفسر: (خلقت بيدي) أي: توليتُ خلقه، فإن الله تولى خلق بني آدم، وخلق الإبل والبقر والغنم وغير ذلك، فلم يبق لآدم فضل على أي أحد، بل لم يبق لآدم فضل على الشيطان الذي أبي أن يسجد؛ لأن الشيطان تولى خلقه الله ﷻ؛ ولهذا نقول إن المؤلف: أخطأ في هذا، وأن معنى الآية: أن الله تعالى خلق آدم بيده،

(١) أخرجه: أحمد في مسنده: ٤ / ١٥١، (٣٧١)؛ حسن لغیره، عبد الله بن لهيعة سبيء الحفظ، لكن الراوي عنه هنا هو قتيبة بن سعيد، وقد منى بعض أهل العلم حديثه عن ابن لهيعة؛ وذلك لأنه كتب أحاديثه من كتاب ابن وهب ثم سمعها من ابن لهيعة، وكان ابن وهب ممن سمع منه قديماً قبل اختلاطه واحتراق كتبه، ينظر: مسند أحمد: ٢ / ٦٠٠، وحسن هذا الإسناد الهيثمي في (المجمع) ١ / ٢٧٠.

(٢) تفسير سورة الصفات: ٤١.

وخلق غير آدم من الشياطين والملائكة بكلمته، أي: بقول: كن، أما آدم فبيده، وهذا هو وجه الميزة والخصيصة لآدم عليه السلام أن الله خلقه بيده»^(١).

ومن توجيهاته البلاغية ما جاء في إثبات رؤية الله وعجزك والرد على من أنكرك ذلك، يقول - رحمه الله -: «كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ» [المطففين: ١٥]، أي حقاً إنهم عن ربهم لمحجوبون، وذلك في يوم القيامة، فإنهم يُحجبون عن رؤية الله وعجزك كما حُجبوا عن رؤية شريعته وآياته، فرأوا أنها أساطير الأولين. وبهذه الآية استدل أهل السنة والجماعة على ثبوت رؤية الله وعجزك، ووجه الدلالة ظاهر فإنه ما حجب هؤلاء في حال السخط إلا وقد مكن للأبرار من رؤيته تعالى في حال الرضا، فإذا كان هؤلاء محجوبين، فإن الأبرار غير محجوبين، ولو كان الحجب لكل منهم لم يكن لتخصيصه بالفجار فائدة إطلاقاً. ورؤية الله وعجزك ثابتة بالكتاب، ومتواتر السنة، وإجماع الصحابة والأئمة، لا إشكال في هذا أنه تعالى يُرى حقاً بالعين كما قال تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله تعالى^(٢)، وكما في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، والمزيد هنا هو بمعنى الزيادة في قوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وكما قال تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فإن نفي الإدراك يدل على ثبوت أصل الرؤية؛ ولهذا كانت هذه الآية مما استدل به السلف على رؤية الله، واستدل به الخلف على عدم رؤية الله، ولا شك أن الآية دليل عليهم؛ لأن الله لم ينف بها الرؤية وإنما نفى الإدراك، ونفى الإدراك يدل على ثبوت أصل الرؤية. فالحاصل أن القرآن دل على ثبوت رؤية الله وعجزك حقاً بالعين، وكذلك جاءت السنة الصحيحة بذلك»^(٣).

وهنا يشير بل يؤكد على إثبات المحبة لله تعالى؛ إذ يقول: «إثبات المحبة لله، تؤخذ من

(١) تفسير سورة ص: ٢٣٨ - ٢٣٩.

(٢) أخرجه: الشاشي في مسنده: ٢ / ٣٨٩، (٩٩٠)، والشاميين في مسنده: ٣ / ٣٠٢، (٢٣٣٠).

(٣) تفسير جزء عم: ١٠٠ - ١٠٢، ينظر: مجموع الفتاوى: ٨ / ٤٦٩.

قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَمَلًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]، فإذا قال قائل: هذا نفي وليس بإثبات. فالجواب: أن نقول: لو كانت المحبة منتفية ولا تجوز على الله لم يكن لنفيها فائدة هنا، وعلى هذا فإنها تدل على إثبات المحبة لله، ومذهب السلف وأهل السنة إثبات المحبة لله حقيقة، وأنه **رَبُّكَ** يحب «^(١)»، ثم يرد -رحمه الله تعالى - على من أنكر المحبة من المعطلة من الأشاعرة والمعتزلة والجهمية ومن شابههم، الذين يقولون: إنه لا يمكن أن الله يحب، والمحبة لا تكون إلا بين شيئين متناسبين، فيحب الرجل زوجته، ويحب ابنه، ويحب صديقه، ولا تناسب بين الخالق والمخلوق، فكيف يحب الله شخصا؟ وهم يقولون: إن المراد بالمحبة في القرآن إرادة الثواب، أو الثواب نفسه. فيقول -رحمه الله-: «إذا قلنا: هي إرادة الثواب فإرادة الثواب لا تكون إلا على شيء محبوب، وهل يريد الله أن يثيب أحداً وهو يكرهه؟ لا يمكن، إذاً ما دمتم أثبتم الثواب فيلزمكم أن تثبتوا المحبة؛ إذ لا يمكن أن تكون إرادة الثواب أو الثواب نفسه إلا على شيء محبوب لله.

وأما قولكم: إن المحبة لا تكون إلا بين شيئين متناسبين، فنقول: باطل، فقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: ((أحد جبل يحبنا ونحبه))^(٢)، والجبل كومة من الأحجار والأتربة وغيرها، فهو جماد، ومع ذلك قال: (يحبنا ونحبه) ...^(٣).

ومن التوجيه البلاغي توكيد الفعل بالمصدر ينفي المجاز؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، (كَلَّمَ) فعلٌ ماضٍ، (الله) فاعلٌ، (تكلِيمًا) مصدر مؤكّد، قال العلماء (علماء اللغة) والتأكيد ينفي احتمال المجاز، يعني إذا كانت الكلمة تحتمل المجاز ثم أُكِّدَت دل هذا على أنها ليست مجازاً، و(تكلِيمًا) مصدر مؤكّد، ومعنى ذلك أن الكلام هنا حقيقة أن الله كلم موسى كلاماً بحروف وأصوات حقيقية وسمعه موسى **الْحَقِيقَةَ**^(٤).
ومن توجيهاته البلاغية -رحمه الله- الرد على من جعل آيات الصفات مجهولة المعنى؛

(١) تفسير سورة النساء: ٣١٣-٣١٤.

(٢) رواه: البخاري: ٢ / ١٢٥، (٣٨٥٥)؛ ومسلم: ٢ / ١٠١١، (١٣٩٣).

(٣) تفسير سورة النساء: ١ / ٣١٥.

(٤) شرح التدمرية: ٣٩.

يقول: «فإن قال قائل: إذا قلت: إن آيات الصفات غير مجهولة المعنى، وإنها معلومة، فهل يلزم من ثبوت المعنى مماثلة المخلوق؟

فالجواب: لا يلزم؛ لأن الله يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ففي الآية إثبات الصفات ونفي المثل، ولو كان لا يمكن إثبات الصفات إلا بإثبات المماثلة لكان في الآية تناقض ظاهر. إذاً آيات الصفات معلومة المعنى لكن بدون تمثيل. فإن قال قائل: وهل يمكن إثبات معنى بدون تمثيل؟

فالجواب: نعم، ولنضرب مثلاً بقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، فأهل التفويض يقولون: لا نعلم ما المراد بقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ﴾، وأهل التأويل يقولون: معناها: النعمة والقدرة، وأهل السنة والجماعة يقولون: معناها: اليد الحقيقية التي نظير مسماها أجزاء وأبغاض لنا، ف(اليد) جزء منا، لكنه لا يمكن إطلاق كلمة جزء على شيء من صفات الله؛ لأن الجزء لا يمكن انفصاله عن الكل، وبالنسبة ليد الله وقدم الله وعين الله لا يمكن فيها هذا المعنى. إذاً نقول: لله يد حقيقة، فهو يطوي السماء بيمينه، كما قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ويمكن أن نتصور يداً بدون مماثلة، وهذا أمر سهل، نحن نشاهد الآن للجمل يداً، ونشاهد للهراً يداً، يعني: نشاهد مضمون هذا في الجملة ولا يلزم لإثبات اليد للجمل، أو للهراً أن تكون اليدان متماثلتين، بل نحن نشاهد أنها مختلفة»^(١).

وهو -رحمه الله- يثبت المغفرة والرحمة لله ﷻ حين فسر قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ نُصَلِّحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٢٩]، «من فوائد الآية الكريمة: إثبات اسمين من أسماء الله ﷻ وهما: الغفور الرحيم، فبالمغفرة يزول المكروب، وبالرحمة يحصل المطلوب...»^(٢).

ثم يذكر -رحمه الله- الأسئلة لمزيد الإيضاح فيقول: «وهل المغفرة صفة حقيقية، أو هي

(١) تفسير سورة النساء: ١٧ / ٢ - ١٨.

(٢) السابق: ٢ / ٢٩٩ - ٣٠١.

عبارة عن رفع المؤاخذة والعقوبة؟

الجواب: صفة حقيقية، تقتضي رفع المؤاخذة والعقوبة، وكذلك يقال في الرحمة. وهي صفة حقيقة يتصف الله بها، وليست عبارة عن الإحسان والإنعام وجلب المصالح، وهذا ما عليه السلف الصالح وأئمة هذه الأمة من بعدهم. وأما من قال: إن الله لا يوصف بالمغفرة ولا بالرحمة فقد ضل ضلالاً مبيهاً، وحجته وهمية حقيقة وليست عقلية؛ لأنه يقول: (مغفرة) تقتضي فعلاً، والفعل من سمات المحدثين؛ لأنه بزعمه لا يقوم الحدث إلا بحدث، وبزعمه أن الرحمة لا تليق بالله؛ لأن فيها رقة وانفعالاً بالمرحوم، وهذا لا يليق بالله عَلَيْهِ السَّلَامُ (١). ويرد عليهم -رحمه الله- بقوله: «نحن نقول: الرحمة التي هي الرقة والانفعال من الرفق بالمرحوم إنما هي رحمة العبد، أما رحمة الله فإنها تابعة لذاته لا نستطيع أن نكيفها. وأما قوله: إن العقل لا يدل عليها، فنقول: إن هذا خطأ، فالعقل يدل عليها. قال الله تعالى: ﴿ وَمَا يَكُومَنَّ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ [النحل: ٥٣]، فهذه النعم كلها من آثار الرحمة، ولولا رحمة الله ما أنعم على عباده بشيء» (٢).

وبعد فقد التزم الشيخ - رحمه الله - بمنهج السلف الصالح عند تفسيره لكتاب الله تعالى؛ واهتم ببيانها وحرص على تصحيح عقائد الناس فبرز ذلك في تفسيره جلياً واضحاً، ومن ذلك أنه يوجه الآيات العقدية توجيهاً بلاغياً يوافق منهج أهل السنة والجماعة، كما أنه يستدرك على من يوجهها توجيهاً مخالفاً.

(١) السابق.

(٢) السابق.

الفصل الثاني

علوم البلاغة في تفسيره

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

١- علم المعاني.

٢- علم البيان.

٣- علم البديع.

المبحث الأول

في علم المعاني

ويشتمل على ما يلي:

- ١- الخبر والإنشاء.
- ٢- التقديم والتأخير.
- ٣- الذكر والحذف.
- ٤- خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.
- ٥- القصر.
- ٦- الإيجاز والإطناب.
- ٧- الفصل والوصل.
- ٨- التعريف والتنكير.
- ٩- الإطلاق والتقييد.

توطئة:

علم المعاني نوع من أنواع علوم البلاغة التي تناولها البلاغيون بالدراسة والتحليل، وقد أشار المصنفون القدماء إلى هذا العلم، ومما يميزه عن غيره من علوم البلاغة ارتباطه بالنظم النحوي، يقول الجاحظ: «والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها الأعجمي والعربي، والقروي والبدوي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج، وصحة الطبع، وكثرة الماء، وجودة السبك»^(١).

ويقول عبد القاهر الجرجاني الذي وضع نظرية النظم، وهي التي تقوم على تحليل علم المعاني على أساس التركيب النحوي، فلا قيمة معنوية للفظ المفرد إلا عن طريق النظم، يقول: «وهل تجد أحداً يقول: هذه اللفظة فصيحة، إلا هو يعتبر مكانها من النظم، وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها وفضل مؤانستها لأخواتها»^(٢).

وحين قسّم السكاكي البلاغة إلى علومها المعروفة أطلق مصطلح (علم المعاني) على الموضوعات التي سمّاها عبد القاهر نظاماً.

وقد تعددت فنون علم المعاني، مثل: الخبر والإنشاء، الفصل والوصل، التقديم والتأخير، التنكير والتعريف، الحذف والذكر، والإيجاز والإطناب...

وهذه المباحث درسها المفسرون في تفاسيرهم درساً تطبيقياً كالزنجشيري، والقرطبي، وأبي حيان، والقونوي، ومفسرنا الشيخ الجليل ابن عثيمين - رحمهم الله جميعاً - حيث تناول هذه المباحث أثناء تفسيره للآيات الكريمة، فظهرت جلية، واضحة نظراً لاتساع علم المعاني في كتب البلاغة والتفسير عند العلماء الذين سبقوه.

وقد عرّف البلاغيون علم المعاني بقولهم: «هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال»^(٣).

أي «هو العلم الذي يبحث أحوال اللفظ مثل التعريف والتنكير والذكر والحذف والإظهار

(١) الحيوان: ٣ / ١٣١ - ١٣٢.

(٢) دلائل الإعجاز: ٣٦.

(٣) مفتاح العلوم: ٢٤٧، وينظر: المطول: ١٦٦.

والإضمار، وغير ذلك، ويتبين كيف تكون هذه الأحوال واقعة في الكلام موقعًا تطابق دواعي النفس، ولم تأت زائدة ثقيلة، ولا متكلفة كريهة، وهذه الأحوال هي التي نسميها الخصائص أو الكيفيات أو الهيئات»^(١).

وتعرض الشيخ -رحمه الله- في تفسيره للقرآن الكريم لكثير من مباحث علم المعاني، حتى أصبح هذا الجانب هو من أبرز علوم البلاغة التي تناول الآيات من خلالها وعرض للجوانب البلاغية من طريقها وركز عليها في تفسيره.

لذا سأحدث - بإذن الله - عن تلك المباحث التي عرض لها، وهي كالآتي:

(١) ينظر: خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني: ٧٥.

(١) الخبر والإنشاء:

الخبر:

قسّم الشيخ -رحمه الله- الكلام إلى خبر وإنشاء؛ يذكر ذلك في عرضه لأقسام الكلام قائلاً: «ينقسم الكلام باعتبار إمكان وصفه بالصدق وعدمه إلى قسمين: خبر، وإنشاء»^(١). ويعرف الشيخ -رحمه الله- الخبر بقوله: «الخبر هو: الكلام الدائر بين النفي والإثبات من قبل المتكلم، المقابل بالتصديق أو التكذيب من قبل المخاطب»^(٢).

وهو هنا -رحمه الله- يقترب من تعريف البلاغيين إلى درجة كبيرة، حيث عرفوا الخبر بقولهم: «والخبر ما احتمل الصدق أو الكذب لذاته»^(٣)، «وهذا الصدق لا يكون إلا إذا طابق الواقع، كما يكون كاذباً إذا لم يكن كذلك»^(٤)، قال الخطيب القزويني: «قال الأكثر منهم صدقه مطابقة حكمه للواقع، وكذبه عدم مطابقة حكمه له»^(٥).

فالأسلوب الذي يحتل أن يوصف بالصدق أو الكذب، يُسمى أسلوباً خبرياً. ثم أُضيف إلى التعريف كلمة (لذاته) أي بغضّ النظر عن قائله، فالخبر الصادق أو الكاذب إنما يكون بالنظر إلى مفهوم الكلام الخبري لذاته، دون النظر إلى قائله وهناك من الأخبار ما هو مقطوع بصدق قائله كقول الله ﷻ وقول رسوله ﷺ.

ويوضح الشيخ -رحمه الله- بقوله: «وصف كلام الله تعالى بالصدق، لقوله: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢]، وهل يمكن أن يوصف بالكذب؟ كلا والله، لا يمكن. فإن قال قائل: أليس أهل البلاغة يقولون: إن الخبر هو ما احتمل الصدق والكذب؟ قلنا: بلى، لكنهم يقيدون ذلك، فيقولون: ما احتمل الصدق والكذب لذاته؛ أي: بقطع

(١) مجموع الفتاوى: ١١ / ١٩، وينظر: شرح الأصول: ١١١.

(٢) تقريب التدمرية: ١٣، وينظر: التدمرية: ٣.

(٣) حاشية الدسوقي (شرح التلخيص): ١ / ١٦٦.

(٤) مواهب الفتاح وعروس الأفراح (شرح التلخيص): ١ / ١٨٢-١٨٤.

(٥) الإيضاح: ١ / ٨١، شرح: د. محمد خفاجي.

النظر عن قائله»^(١). وفي موضع آخر يقول موضحاً ومؤيداً ما سبق: «أخبار الله ﷻ ورسوله لا يمكن أن تُوصَف بأنها كاذبة، وأخبار مُسيلمة الكذاب وأشباهه لا يمكن أن تُوصَف بالصدق، لكن هذا ليس بالنظر إلى الجملة مثلاً، بل بالنظر إلى المتكلم، فامتناع الصدق في كلام مسيلمة وأشباهه فيما يدعيه من النبوة لا لأن الكلام لا يصح أن يُوصَف بالصدق، لأنه لو قاله الرسول ﷺ لُوَصِفَ بالصدق، لكن باعتبار أن هذا المتكلم به كاذبٌ، وخبر الله ورسوله لا يمكن أن يُوصَف بالكذب؛ لأنه خبر الله ورسوله»^(٢).

إذن الشيخ -رحمه الله- يوافق البلاغيين في تعريفهم للخبر.

لا بد أن نعرف أولاً قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب:

«إما الحكم وهو ما يسمى بفائدة الخبر. أو كونه عالماً به؛ وهو ما يسمى بلازم فائدة

الخبر»^(٣).

أغراض الخبر:

عرض الشيخ -رحمه الله- للأغراض التي يخرج إليها الخبر، ومن ذلك:

١- التنبيه: كما في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ نَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرَشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، «أي من يتولاه ويرشده إلى الصواب، وفي هذا الخبر من الله تنبيه إلى أننا لا نسأل الهداية إلا من الله، وأننا لا نجزع إذا رأينا من هو ضال؛ لأن الإضلال بيد الله، فنحن نؤمن بالقدر ولا نَسْخَطُ الإضلال الواقع من الله؛ لكن يجب علينا أن نُرشِد هؤلاء الضالين...»^(٤).

٢- الوعيد: كما في قوله تعالى: ﴿تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ [ق: ٤٥]، الآية. «وهذا وعيد لهؤلاء الذين يقولون في رسول الله ﷺ ما يقولون، أخبر الله هنا أنه لا يخفى عليه حالهم، وأنه يعلم ما يقولون»^(٥).

(١) ينظر: تفسير سورة النساء: ٢/ ٢٥٦، آل عمران: ١/ ٩٥، شرح العقيدة السفارينية: ٩٢.

(٢) شرح دروس البلاغة: ٢٧.

(٣) ينظر: عروس الأفراح: ١/ ٣٧، (شروح التلخيص)، والمطول: ١٧١.

(٤) تفسير سورة الكهف: ٣٤.

(٥) تفسير سورة ق: ١١٣.

أضرب الخبر:

- ظاهرة التأكيد في القرآن:

وللشيخ -رحمه الله- حديث مستوفٍ عن أدوات توكيد الخبر، ويفيدنا أن الجملة الخبرية المؤكدة من أساليب اللغة العربية، وأن أخبار الله **وَعَلَىٰ** في الواقع لا تحتاج إلى توكيد؛ لأنه أصدق الأقوال؛ لكنها جاءت على أساليب العرب في التوكيد، ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [الطور: ١٧]، «هذه الجملة خبرية مؤكدة ب(إِنَّ)، والتوكيد أسلوب من أساليب اللغة العربية، مستعمل عند العرب، وهذا القرآن نزل بلغة العرب، وإلا ففي الواقع أن خبر الله **وَعَلَىٰ** لا يحتاج إلى أن يؤكد؛ لأن خبر الله صدق؛ لكن لما كان القرآن العظيم نزل بلسانٍ عربي صار جاريًا على ما كان يعرفه العرب في لغتهم، فهنا أكد الله **وَعَلَىٰ** هذه الجملة»^(١).

- أنواع المؤكدات:

ويفيد أن الجملة الاسمية من أدوات التوكيد؛ يُصرح بأن الاسمية أؤكد وأبلغ من الفعلية، يقول في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧٠]: «أكدوا الهداية هنا بمؤكدين؛ وهما (إن) و(اللام)، ومؤكد ثالث؛ وهو الجملة الاسمية؛ وهي أبلغ من الجملة الفعلية...»^(٢).

ومن ذلك - أيضًا - في قوله تعالى: ﴿فَاتِمُّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَتُونَ مِنْهَا﴾ [الصافات: ٦٦]، قال الشيخ في توكيد الجملة الاسمية: «هنا أكد الله **وَعَلَىٰ** أنهم سيأكلون؛ لأن المقام مقام استبعاد للأكل، فقد يستبعد الإنسان أن يأكل هؤلاء من هذه الشجرة التي تخرج في أصل الجحيم وطلعها كأنه رؤوس الشياطين. فأكد الله ذلك ب(إن) و(اللام) وأتى أيضًا بالجملة الاسمية الدالة على استمرار أكله»^(٣).

ومن المؤكدات التي نصَّ عليها - وهي من أشهرها - (إن) وهي متجلية في تأكيد عداوة الشيطان لبني آدم؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [البقرة: ١٦٨]: «فإن الجملة مؤكدة

(١) تفسير سورة الطور: ١٨٣.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١ / ٢٣٧.

(٣) تفسير سورة الصافات: ١٥٤.

بـ(إِنَّ)»^(١).

وقد يكون التوكيد بالقسم؛ فهو يفيد التأكيد على المقسم عليه، سواء أكان القسم جلياً ظاهراً أم كان مقدرًا؛ ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْشَّفَقِ ۖ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۖ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ۖ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٦ - ١٩]، فقد أقسم الله في هذه الآية بالشفق وما عطف عليه، والقسم مثبت و(لا) هنا كما يقول العلماء للتنبيه»^(٢).

ويكون التوكيد أيضاً بشبه القسم، ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا مَا لَا عَلَّمْنَا إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]، يذكر الشيخ -رحمه الله- أن من فوائد هذه الآية: «جواز التأكيد بما يشبه القسم لقولهم: ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْنَا مَا لَا عَلَّمْنَا إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾، وهل هذا أقوى من التأكيد بالقسم، أو التوكيد بالقسم أقوى؟ الظاهر أن هذا أقوى من التوكيد بالقسم؛ لأنهم إذا قالوا: ﴿رَبَّنَا عَلَّمْنَا مَا لَا عَلَّمْنَا إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ وإن لم يكونوا مرسلين استلزم قولهم هذا وصف الله بالجهل والعجز والقصور؛ لأنهم إذا قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، ولم يكونوا مرسلين، معناه: أن الله علم الحال على خلاف ما كانت عليه، إذا فرضنا أن الله يعلم أنهم مرسلون وهم غير مرسلين في الواقع، لزم من ذلك أن يكون الله جاهلاً بجاهلهم، وأن يكون الله تعالى عاجزاً عن الانتقام منهم وبيان كذبهم؛ لأنهم سيقولون: إنا مرسلون، ويأخذون بمقتضى هذه الرسالة، والله تعالى يعلم أنهم غير مرسلين، وهذا يستلزم الجهل، إذًا فالتأكيد بمثل هذا أشد من التأكيد بالقسم لما يترتب عليه من اللوازم الخطيرة...»^(٣).

ويبين -رحمه الله- فائدة القسم فيذكر أن: «القسم يؤكد الكلام، والقرآن الكريم نزل باللسان العربي، ومن عادتهم أنهم يؤكدون الكلام بالقسم فصار هذا الأسلوب جارياً على اللسان العربي الذي نزل به القرآن»^(٤).

ويذكر أن من فصاحة الكلام أن يؤكد الشيء بالقسم إذ يقول: «وبيان تأكيد الشيء

(١) تفسير سورة البقرة: ٢ / ١٦٨.

(٢) تفسير جزء عم: ١١٦.

(٣) تفسير سورة يس: ٦٢-٦٣.

(٤) تفسير جزء عم: ١١٦.

بالقسم إذا دعت الحاجة إليه، وأن هذا من فصيح الكلام؛ لأن الله ﷻ أكد هذا بالقسم واللام وقد»^(١).

ويوضح -رحمه الله- أن مدلول الخبر إن كان مهمًا وجب توكيده وإن لم يكن المخاطب منكراً، وذلك لأهميته وعظمه، قال: «وقد يكون التأكيد وعدمه باعتبار حال مدلول الخبر، فإذا كان المدلول أمرًا هامًا فإنه يؤكد حتى وإن كنت تخاطب من لا ينكر، مثل قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۗ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١ - ٢]، وأشبه ذلك مما أقسم الله به على البعث وهو يخاطب المؤمنين، فهنا نقول: تأكيد هذا الخبر مع إقرار المخاطب به يقصد بذلك بيان أهميته، وأنه أمر يجب أن يتأكد في قلب الإنسان، وأن يثبت فيه ويرسخ»^(٢).

وإن كان القسم مقدرًا كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر: ٤]، هذه الجملة فيها اللام وقد، وهما من أدوات التوكيد، وفيها قسم مقدر دلت عليه اللام في قوله: ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ﴾، وعليه فتكون هذه الجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات، القسم واللام وقد، والله ﷻ صادق بغير توكيد لخبره، لكن هذا القرآن بلسان عربي مبين، واللسان العربي من بلاغته تأكيد الأشياء الهامة حتى تثبت وترسخ في الذهن»^(٣).

ومن أدوات التأكيد أيضًا التكرار؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، يذكر -رحمه الله- أن من فوائد الآية: «تأكيد الشيء بأدوات التأكيد، والتكرار؛ وهنا في هذه الآية اجتمع التكرار والأدوات؛ فقوله تعالى: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ﴾، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، فهذا أكد بالتكرار؛ وأكد أيضًا ب(إن)، واللام: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ﴾»^(٤).

ومن أدوات توكيد الخبر -أيضًا- ضمير الفصل؛ ففي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ

(١) تفسير سورة الصافات: ١٨٤.

(٢) السابق.

(٣) تفسير سورة القمر: ٢٦٤.

(٤) تفسير سورة البقرة: ٢١٩-٢٢٠.

الْخَسِرُونَ ﴿البقرة: ٢٧﴾، يقول-رحمه الله-: «إنها جملة أسمية مؤكدة بضمير الفصل: (هم)؛ لأن ضمير الفصل له ثلاث فوائد؛ الفائدة الأولى: التوكيد؛ والفائدة الثانية: الحصر؛ والفائدة الثالثة: إزالة اللبس بين الصفة، والخبر...»^(١).

ويستشهد على ذلك بقوله: «وإذا قلت: (زيد هو الفاضل) كان أبلغ من قولك: (زيد الفاضل)»^(٢).

ومن أدوات توكيد الخبر -أيضاً- الحروف الزائدة، فإن للشيخ -رحمه الله- رؤية لغوية ثاقبة ينطلق منها في توظيف الحرف الزائد للكشف عن المعاني، حيث وضح ذلك بقوله: «إن الحروف الزائدة لا يصح أن نقول: إنها زائدة بمعنى أنها لغوٌ لا فائدة منها، بل نقول: هي زائدة من حيث التركيب، لكنها في المعنى مفيدة للتوكيد، فيصح أن نقول: (هي زائدة زائدة)، ما هذا؟! ، نعم، الأولى: لازمة، والثانية: مُتعدية؛ لأن (زاد) و(نقص) يستعملان متعديين ولازمين، نقول: (نقص المال) هذا لازم، وقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُواكُمْ شَيْئًا﴾ [التوبة: ٤]، هذا متعدٍ. إذاً نقول: الحروف الزائدة زائدة زائدة»^(٣).

وقد زاد -رحمه الله- هذا المعنى إيضاحاً مستنداً إلى قول البلاغيين، فقال: «يقول علماء البلاغة: إن فائدة الزوائد زوائد، فكل حرف زائد فهو مؤكد للمعنى الذي هو في سياقه»^(٤). وقد أفاض الشيخ في الحديث عن الحروف الزائدة في إجابته لأحد السائلين عن وجود الحروف الزائدة في القرآن أو لا؟

فأجاب -رحمه الله- بقوله: «نعم؛ الحقيقة أن الجواب أن نقول: إن القرآن ليس فيه شيء زائد، إذا أردنا بالزائد ما لا فائدة فيه؛ فإن كل حرف في القرآن فيه فائدة أما إذا أردنا بالزائد ما لو حذف لاستقام الكلام بدونه فهذا موجود في القرآن، ولكن وجوده يكون أفصح وأبلغ، وذلك مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، فالباء هنا نقول: إنها زائدة

(١) السابق: ١ / ١٠٢ بتصرف.

(٢) السابق.

(٣) شرح دروس البلاغة: ٣٢.

(٤) شرح العقيدة السفارينية: ٢٤٤.

في الإعراب ولو لم تكن موجودة في الكلام لاستقام الكلام بدونها، ولكن وجودها فيه فائدة وهو زيادة تأكيد النفي؛ أي نفي أن يكون الله ظالماً للعباد، وهكذا جميع حروف الزيادة ذكر أهل البلاغة أنها تفيد التوكيد. أقول: إن أهل البلاغة ذكروا أن جميع الحروف الزائدة تفيد التوكيد في أي كلام كانت؛ ولهذا نقول: إنها - أي الباء - في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، أو الكاف في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، -إنها زائدة- زائدة كيف نقول زائدة زائدة؟ نقول: هي زائدة من زاد اللازم، وزائدة من زاد المتعدي؛ وذلك لأن زاد تكون ناقصة وتكون متعدية فمثل إذا قلت: زاد الماء حتى وصل إلى أعلى البئر. هذه الزيادة غير متعدية، بمعنى أن الفعل فيها ناقص لا ينصب المفعول به، وإذا قلت: زادك الله من فضله. كان الفعل هنا متعدياً فيكون مفيداً فائدة غير الفاعل فنقول: هذا الحرف زائد، زائد. يعني هو بنفسه زائد لو حذف لاستقام الكلام بدونه. زائد أي زائد معنى بوجوده، نعم أقول: في القرآن حروف زائدة بمعنى أنها لو حذفت لاستقام الكلام بدونها، ولكنها مفيدة معنى ازداد به الكلام بلاغة وهو التوكيد...»^(١).

وقد بسط - رحمه الله - الحديث عن الخبر في كثير من المواضع، ففي شرحه لدروس البلاغة وفي تفاسيره؛ دائماً ما ينوه بحالة المخاطب الملقى إليه الخبر؛ قائلاً: «فإذا كنت تخاطب رجلاً خالي الذهن: فالأحسن ألا تؤكِّد، بل تقول: (أخوك قادم)، لماذا؟ لأنه خالي الذهن، ولا حاجة أن تؤكِّد. وإن كان مُتردِّداً: حَسُنَ أن تُؤكِّده ليزول عنه التردد، كإنسانٍ شكَّ في مفاد الخبر فتؤكِّده له...»^(٢).

والشيخ - رحمه الله - يتفق مع علماء البلاغة في أن التأكيد قد يكون حسناً، وقد يكون واجباً، وقد يكون لغواً؛ موضحاً ذلك بقوله: «ويكون لغواً: إذا لم تدعُ الحاجة إليه، وذلك لأن التأكيد لا بد فيه من زيادة الحروف التي حصل بها التأكيد، فإذا لم يكن حاجة إليه صار لغواً»^(٣)، ومن جانب آخر يذكر أن اللغو يأتي من حيث المعنى: «ولهذا لو أنك أكَّدت

(١) فتاوى نور على الدرب: ٩ / ٤٣٥.

(٢) شرح دروس البلاغة: ٣١.

(٣) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٥٢١.

لشخص شيئاً شاهده لَعَبَ عليك، كما لو قلت: والله لقد صليت ركعتين، حيث دخلت المسجد، وهو يراك ويُشاهدك، فإنه سيقول لك: كيف تُقسم لي وأنا أشاهدك، هذا لغو من القول»^(١).

ثم يذكر أن التأكيد يكون حسناً: «إذا كان عند المخاطب شيء من التردد، فيُحسن أن تُؤكّد له الكلام ليطمئن. ويكون واجباً: إذا كان المخاطب مُنكراً أو فاعلاً فعل المُنكر، والمُنكر: هو الذي إذا أُلقيت إليه الخبر أنكره، وقال: أبداً ما يصح، فهنا يجب أن تُؤكّد له الكلام»^(٢).
وبيّن الشيخ متى يكون التأكيد حسناً ومطلوباً؛ فلا يُكتفى بالتوكيد في إنكار المخاطب وتردده فقط؛ بل أيضاً فيما لو فَعَلَ فِعْلَ المُنكر.

يقول: «قال أهل العلم: وقد ينزل المقر منزلة المنكر لفعله فعل المنكر مثل قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيْتُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥]، وهل الموت متردد فيه أو منكر؟ أبداً، لا يتردد فيه ولا ينكره أي أحد من الناس، إذاً فلماذا يُؤكّد؟ لأن المخاطب قد تكون حاله حال المنكر لعدم استعداده للموت، فيؤكّد له الخبر»^(٣).

– تعدد المؤكّدات:

وقد يجتمع أكثر من مؤكّد في خبرٍ واحد؛ ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]: «هذه الجملة تعليل لطلب القبول؛ يعني: نسألك أن تقبل؛ لأنك أنت السميع العليم: تسمع أقوالنا، وتعلم أحوالنا؛ وهذه الجملة مؤكدة بمؤكدين؛ أحدهما: (إن)؛ والثاني: ﴿أَنْتَ﴾؛ ومن المعلوم أن ضمير الفصل يفيد التوكيد؛ وضمير الفصل لا محل له من الإعراب؛ و﴿السَّمِيعُ﴾ خبر (إن)؛ وقوله تعالى: ﴿الْعَلِيمُ﴾ أي ذو العلم»^(٤).

وفي الشاهد الآتي يوضح الشيخ -رحمه الله- بالأمثلة التوكيد في الجملة الخبرية، فيقول: «إذا قلت مثلاً: العلم نافع، هذه جملة خبرية خالية من التوكيد، فإذا قلت: إن العلم نافع،

(١) السابق.

(٢) السابق.

(٣) تفسير سورة الصفات: ١٥٣.

(٤) السابق: ٢ / ١٥٨.

فهذه جملة خبرية مؤكدة بمؤكد واحد وهو (إن) فإذا قلت: إن العلم لنافع، فهذه جملة خبرية مؤكدة بمؤكدين: (إن، واللام) فإذا قلت: والله إن العلم لنافع، فهذه جملة خبرية مؤكدة بثلاثة مؤكدات وهي: (القسم، وإن، واللام)»^(١).

وكثيرا ما كان الشيخ - رحمه الله - يقف عند الجمل التي تحوي عدّة مؤكّدات ويبيّن أهميتها، ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٦]، يقول: «الآن أكدوا الرسالة بثلاثة مؤكّدات.

الأول: ﴿رَبُّنَا يَعْلَمُ﴾؛ لأن هذا جار مجرى القسم.

والثاني: ﴿إِنَّا﴾.

والثالث: اللام. لشدة إنكارهم.

فإذا قلنا: إن هذه ثلاثة مؤكّدات مع التأكيد الأول وهو زيادة الثالث، صار أكدت الرسالة بأربع مؤكّدات»^(٢). أي يكون التوكيد الرابع معنويًا وهو زيادة الرسول.

ويفصل الحديث - رحمه الله - في أحوال المخاطب في أكثر من موضع؛ مستشهدًا على قوله بأقوال أهل البلاغة: «سبق لنا في البلاغة؛ أن للمخاطب ثلاث مراحل:

- أن يكون مُنكَرًا.

- أن يكون مُتَرَدِّدًا.

- ألا يكون في ذهنه شيء لا إنكار ولا تردد، قالوا - أهل البلاغة - فإن كان منكراً وجب تأكيد الخبر له، وإن كان متردداً حسن أن يؤكد له الخبر، وإن لم يكن في قلبه وذهنه شيء، فإنك تلقي إليه الخبر غير مؤكد، هذا هو الأصل»^(٣) ثم يؤيد هذا القول بالأمثلة؛ قائلاً: «فإذا خاطبت إنساناً ليس في ذهنه شيء عن مدلول الخبر فألقي الخبر إليه غير مؤكد، تقول: زيد قائم، وإذا كنت تخاطب متردداً في صحة الخبر فأكد له استحساناً،

(١) لقاءات الباب المفتوح: ١٦٠.

(٢) تفسير سورة يس: ٥٩.

(٣) تفسير سورة يس: ١٣ بتصرف، وينظر: تفسير سورة البقرة: ١ / ٢٥٨.

وإذا كنت تخاطب مُنكرًا فإنه يجب أن تؤكد له الخبر. هذا هو الأصل»^(١).

وهو يوافق البلاغيين فيما يسمونه بأضرب الخبر، وله -رحمه الله- حديث مفصل في أضرب الخبر؛ حيث قال: «ينبغي تأكيد الشيء المستبعد أمام المخاطب من أجل اطمئنان نفسه وإقراره به، ولهذا قال علماء البلاغة: إن المخاطب له ثلاث حالات: ١. ابتداء. ٢. وشك. ٣. وإنكار.

ففي الابتداء لا يحسن أن تؤكد له الخبر، بل تلقيه إليه غير مؤكد؛ لأنك إذا أكدته بدون سبب للتأكيد فقد يشك، ويقول: لولا أن هذا الرجل كاذب ما ذهب يؤكد بدون سبب، فالفصاحة أن تلقيه إليه مجردًا من التأكيد.

فمثلاً: إذا أردت أن تخبر بقدم زيد، تقول: قدم زيد، إذا كنت تخاطب رجلاً خطاب ابتداء، ليس عنده شك في قدومه ولا إنكاره»^(٢).

ثم يمضي -رحمه الله- إلى الحديث عن الحالة الثانية للمخاطب وهي الشك، فيقول: «أن يكون عند المخاطب شك في الأمر، ولكن لا يجب، فهذا الرجل تخشى أن يكون شاكًا بقدم زيد لاستبعاده إياه، فيحسن عندما تخبره أنه قادم أن تؤكد له، فتقول: قد قدم زيد، وإن زيدًا قادم»^(٣).

ويذكر -رحمه الله- الحالة الثالثة للمخاطب، قائلاً: «أن يكون منكرًا، ففي هذه الحال يجب أن يؤكد له الخبر؛ من أجل أن يزول عنه الإنكار ويطمئن إلى مدلول الخبر، كما لو كنت تخاطب شخصًا ينكر أن يكون فلان قدم البلد، فتقول له: لقد قدم، وإن رأيت أنه يحتاج إلى زيادة. قلت: والله لقد قدم. هذا باعتبار حال المخاطب أي أنه يحسن تأكيد الخبر أو تجريدته من التأكيد، أو وجوب تأكيده باعتبار حال المخاطب»^(٤).

ويوضح الشيخ -رحمه الله- أن الكلام الخبري قد يخرج خلاف ما يقتضيه الظاهر لمراعاة

(١) السابق.

(٢) تفسير سورة ص: ١٥٢-١٥٣.

(٣) السابق: ١٥٢.

(٤) السابق، وينظر: تفسير سورة يس: ١٣، وتفسير سورة البقرة: ١ / ٢٨٥.

أسباب تُعرف من السياق، فتستوقفه أدوات التوكيد في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ [الرعد: ٤٣]، ذلك أنه: «قد يأتي التوكيد في غير موضع التوكيد لأسباب تعرف من السياق. فهنا الكفار يقولون: لست مرسلًا، في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾، فكان تأكيد خبر الرسالة لهم واجبًا يعني مما توجبه البلاغة»^(١).

أسلوب النفي:

ولكون أسلوب النفي من الخبر، فإن الشيخ -رحمه الله- بين الأغراض التي يفيدها أسلوب النفي:

فقد يفيد النفي: التنزيه لله وَعَلَىٰ، فمن ذلك ما جاء في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حيث قال -رحمه الله-: «امتناع السنّة والنوم لله وَعَلَىٰ؛ لكمال حياته وقيوميته، بحيث لا يعتريهما أدنى نقص؛ لقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾؛ وهذه من الصفات المنفية؛ والإيمان بالصفات المنفية يتضمن شيئين؛ أحدهما: الإيمان بانتفاء الصفة المذكورة؛ والثاني: إثبات كمال ضدها؛ لأن الكمال قد يطلق باعتبار الأغلب الأكثر، وإن كان يرد عليه النقص من بعض الوجوه؛ لكن إذا نفي النقص فمعناه أن الكمال كمال مطلق لا يرد عليه نقصٌ أبدًا بوجه من الوجوه؛ مثال ذلك: إذا قيل: (فلان كريم) فقد يراد به أنه كريم في الأغلب الأكثر؛ فإذا قيل: (فلان كريم لا ييخل) عُلم أن المراد كمال كرمه، بحيث لا يحصل منه بخل؛ وهنا النفي حصل بقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾؛ فدل على كمال حياته وقيوميته»^(٢).

ومن الأغراض التي يفيدها أسلوب النفي: دفع الإيهام وإزالة الشبهة، كما جاء في تفسيره -رحمه الله- لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨]، فقال: «من فوائد الآية: دفع ما توهمه بعض الصحابة

(١) تفسير سورة يس: ١٣-١٤ بتصرف.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٢٥٨.

من الإثم بالطواف بالصفاء والمروة؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾، وعلى هذا فلا ينافي أن يكون الطواف بينهما ركناً من أركان الحج، أو واجباً من واجباته، أو مشروعاً من مشروعاته؛ فعلى هذا يكون النفي هنا لدفع ما وقع في نفوسهم من التحرج؛ لأنها من شعائر الله؛ وليس لبيان أصل الحكم»^(١).

ومن الأغراض التي يفيدها أسلوب النفي: التحذير، كما جاء في تفسيره - رحمه الله - لقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤٥]، حيث قال: «إنه يستحيل شرعاً أن يتبع المسلم طريقة اليهود والنصارى؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ﴾، وجه الاستحالة: أن الجملة جاءت بالاسمية المؤكدة بحرف الجر في سياق النفي؛ فالمؤمن حقيقة لا يمكن أن يتابع أعداء الله، ولا أن يأخذ بآرائهم، وأفكارهم، واتجاهاتهم؛ وقد حمى النبي ﷺ ذلك غاية الحماية، حيث قال: ((من تشبه بقوم فهو منهم))^(٢)، حتى نحذر ونبعد عن التشبه بأعداء الله، والتقليد لهم سواء في أمور العبادة، وفي أمور العادة؛ فإن التشبه بأعداء الله حرام، وقد يؤدي إلى الكفر والشرك والعياذ بالله»^(٣).

ونخلص مما سبق إلى أن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - موافق للبلاغيين؛ في تعريفهم للخبر، وذكر أضره، وخروجه لأغراض بلاغية متعددة.

الإنشاء:

وهو القسم الثاني من أقسام الكلام، وهو قسيم الخبر. قال السيوطي: «اعلم أن الحدائق من النحاة وغيرهم، وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام فيهما - أي الخبر والإنشاء - وأنه ليس له قسم ثالث»^(٤).

وقد أُثبتَ للإنشاء دلالة تخالف دلالة الخبر وهي أنه الكلام الذي لا يحتمل الصدق

(١) السابق: ٢ / ١٨٧.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده: ٢ / ٥٠، (٥١١٤)، وأبو داود في سننه: ٤ / ٧٨، (٤٠٣٣)، قال ابن حجر في فتح

الباري: ١٠ / ٢٧١: أخرجه أبو داود بسند حسن؛ وقال الألباني: صحيح. ينظر: إرواء الغليل: ٥ / ١٠٩.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٢ / ١٣٧-١٣٨.

(٤) معترك الأقران: ١ / ٣١٩.

والكذب لذاته^(١). وعدم احتمال الصدق أو الكذب إنما هو بالنسبة إلى الأسلوب ذاته، وليس إلى ما يستلزمه.

وعرّف الشيخ -رحمه الله- الإنشاء بأنه: «ما لا يمكن أن يوصف بالصدق والكذب»^(٢). وقد قسم ابن عثيمين الإنشاء إلى قسمين: إنشاء طلبيّ، وإنشاء غير طلبيّ، كما هو المعروف عند العلماء.

وأفاض في الحديث -رحمه الله- عن الإنشاء الطلبيّ؛ ولم يكتف الشيخ - في كثير من الأحيان - بالإشارة إلى موضعه بل كان يقف عندها شارحًا وموضحًا ومبينًا. أما الإنشاء غير الطلبيّ؛ فلم يُطل -رحمه الله- في بحث مسائله عدا: (القسم) الذي تحدث عنه بصورة ظاهرة، باعتباره أسلوب تأكيد مهمًا، ولاشتمال القرآن على كثير منه حيث تجاوزت مائتي موضع^(٣).

أولاً: الإنشاء الطلبيّ:

الإنشاء الطلبيّ خمسة أنواع وهي: الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء، ونفصل القول فيها حسبما يأتي:

١- الأمر:

وهو نقيض النهي، يقال: أمره به وأمره يأمره أمراً وإمارةً، فأتمر أي قبل أمره^(٤). وعند جمهور البلاغيين هو: «طلب فعل غير كف على وجه الاستعلاء والإلزام»^(٥). وقد عرف الشيخ -رحمه الله- الأمر في أثناء عرضه للشواهد، ووافق البلاغيين في تعريفه؛ قائلاً: «والأمر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء، بصيغة (افعل) أو ما ينوب مناجها. فقولنا: طلب الفعل، كلمة (طلب) خرج بها الخبر؛ لأنه ليس بطلب، وطلب الفعل خرج به

(١) حاشية الدسوقي: ١ / ١٦٦.

(٢) تفسير سورة النساء: ١ / ٤٣٨-٤٣٩، شرح الأصول: ١١٤.

(٣) مجموع الفتاوى: ١١ / ١٩-٢٠.

(٤) مقاييس اللغة: ١ / ١٣٨.

(٥) الطراز: ٣ / ٢٨١، المختصر: ٢ / ٣٠٨ (شروح التلخيص).

النهى؛ لأن النهي طلب الكف، و(على وجه الاستعلاء) خرج به الالتماس والدعاء، وقولنا: على وجه الاستعلاء ولم نقل على وجه العلو؛ ليشمل ما إذا كان الأمر عليًا حقيقة أو مستعليًا أو دعاء، إن لم يكن عليًا في الواقع، فهنا عندنا قيود»^(١).

ويذكر أن الأصل في الأمر أنه للوجوب إلا أنه قد يخرج لأغراض أخرى، قائلًا: «وكل أمر موجه من الله للعباد فالأصل فيه أنه لطلب الفعل وأنه للوجوب، لكن قد تخرج الأوامر عن غير ذلك للقرائن»^(٢).

ويقول الشيخ -رحمه الله- في موضع آخر: «وقد يخرج الأمر عن الوجوب والفورية للدليل يقتضي ذلك، ومعلوم أنه إذا وجد الدليل الدال على أن الأمر ليس للوجوب اطمأنت النفس، وانشرح الصدر، ولا إشكال في ذلك»^(٣).

فمن مجيء الأمر للوجوب « قوله تعالى: ﴿وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: اتتوا بها، فمن فوائد الآية: الأمر بإقامة الصلاة على وجه الوجوب فيما لا تصح الصلاة إلا به؛ وعلى وجه الاستحباب فيما تصح الصلاة بدونه، وهو من كمالها»^(٤).

ومن الشواهد على خروج الأمر عن الوجوب إلى معانٍ أخرى ، ما يأتي:

١- الإباحة:

« قوله تعالى: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾ [البقرة: ٣٥]، و﴿وَكُلَا﴾، أمر بمعنى الإباحة، والإكرام؛ (منها) أي من هذه الجنة...، بدليل قوله تعالى: ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة: ٣٥]، وهذه هي القرينة التي يقصدها- خيرهما أن يأكلا من أي مكان؛ ولا شك أن الأمر يأتي للإباحة؛ ولكن الأصل فيه أنه للطلب حتى يقوم دليل على أنه للإباحة»^(٥).

٢- الإهانة:

(١) تفسير سورة النساء: ١ / ٤٣٨-٤٣٩.

(٢) السابق: ١ / ٤٣٨-٤٣٩ بتصرف.

(٣) شرح الأصول: ١٦٥.

(٤) تفسير سورة البقرة: ١ / ١٥٦-١٥٧.

(٥) السابق: ١ / ١٢٨-١٣٠ بتصرف، وينظر: شرح صحيح البخاري: ٢ / ٢٣٥.

يقول الله تعالى: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ [ص: ٥٧]، «قوله ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ للأمر، والدليل أنها لام الأمر وليست لام التعليل لأنها سكنت بعد الفاء، ولام الأمر تسكن بعد الفاء والواو، ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ﴾ أي: فليكتوبوا بحره...، و﴿حَمِيمٌ﴾: خير، و﴿عَسَاقٌ﴾: معطوف عليه، وتكون جملة ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ معترضة بين المبتدأ والخبر للمبادرة بإهانتهم، فإن قوله: ﴿فَلْيَذُوقُوهُ﴾ لا شك أنه إهانة، فمن أجل المبادرة قدّم هذا على الخبر»^(١).

٣- التحدي والتعجيز:

يقول تعالى ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١١]، «هاتوا: فعل أمر؛ لأن ما دل على الطلب ولحقته العلامة فهو فعل أمر؛ ...، والأمر هنا للتحدي، والتعجيز...»^(٢).

٤- التهديد:

يقول - رحمه الله -: «والأمر في قوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [التوبة: ٢٤]، يراد به التهديد: أي: انتظروا عقاب الله»^(٣).

٥- الإرشاد:

«فقوله: ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، الفاء رابطة لجواب الشرط، والأمر للإرشاد؛ أي: من كان يريد أن يلقي الله على الوجه الذي يرضاه سبحانه؛ فليعمل عملاً صالحاً»^(٤).

٦- التكريم:

« قال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٩]، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾، فعل

(١) تفسير سورة ص: ٢١٤-٢١٥.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١ / ٣٦٦.

(٣) القول المفيد: ٤٨ / ٢.

(٤) السابق: ٢ / ١٢٨، ومن شواهد مجيئه للإرشاد، ينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ١ / ١٣٣.

أمر، وهذا الأمر ليس تكليفاً وإنما الأمر هنا للتكريم، أي يقال لهم: كلوا من كل ما في الجنة من النعيم»^(١).

٧- الدعاء:

«كما في قوله تعالى: ﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١]، فهو دعاء بأن يتوفاه الله على الإسلام»^(٢).

٨- الندب:

ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، فقال: «...فيكون هذا من باب الندب، وليس من باب الواجب؛ لأن الحق لك، وإذا ضاع حقك فأنت المسؤول عن نفسك»^(٣).

ومما تقدم تظهر الموافقة بين حديث الشيخ وما ذكره البلاغيون في أغراض الأمر^(٤).

٢- النهي:

النهي: خلاف الأمر، نهاه نهيًا فأنهى وتناهى: كف^(٥).

وهو عند الجمهور: «طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام»^(٦).

والشيخ - رحمه الله - له وقفات مع النهي أثناء شرحه للبلاغة؛ وقد عرّف النهي موافقًا به تعريف البلاغيين له، بأنه: «قول يتضمن طلب الكف على وجه الاستعلاء بصيغة مخصوصة هي المضارع المقرون بلا الناهية»^(٧).

(١) تفسير سورة الطور: ١٨٤.

(٢) شرح صحيح البخاري: ١ / ٢٨.

(٣) شرح الأصول: ١٦٦.

(٤) ينظر: الإيضاح: ١ / ١٤٣، شرح: د. محمد خفاجي، التلخيص: ١٦٨، الطراز: ٣ / ٢٨١، شروح التلخيص:

٢ / ٣٠٨، المطول: ٢٣٩، الأطول: ١ / ٢٤٦، عروس الأفراح: ٢ / ٣٢٢.

(٥) اللسان: (نهي).

(٦) ينظر: الأطول: ١ / ٢٤٩، مواهب الفتاح: ٢ / ٣٢٤ (شروح التلخيص).

(٧) ينظر: الأصول من علم الأصول: ٢٧، شرح الأربعين النووية: ٦٦، شرح الأصول: ١١٨، ٣٥٤، ٤٦٣، فتح ذي

الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٥ / ٤٧٢.

ويبين - رحمه الله - معنى التعريف قائلاً:

«فخرج بقولنا: (قول)؛ الإشارة، فلا تسمى نهيًا وإن أفادت معناه.

وخرج بقولنا: (طلب الكف)؛ الأمر، لأنه طلب فعل.

وخرج بقولنا: (على وجه الاستعلاء)؛ الالتماس والدعاء وغيرهما مما يستفاد من النهي بالقرائن.

وخرج بقولنا: (بصيغة مخصوصة هي المضارع إلخ)؛ ما دل على طلب الكف بصيغة الأمر

مثل: دع، اترك، كف، ونحوها؛ فإن هذه وإن تضمنت طلب الكف لكنها بصيغة الأمر فتكون

أمرًا لا نهيًا»^(١).

ويأتي النهي في الأصل للتحريم؛ «ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾ [النساء: ٥]،

والنهي للتحريم؛ ولا سيما إذا قرن النهي بما يفيد العلة، وهي ﴿السُّفَهَاءَ﴾ فكأنه قال: لا تؤتوهم

لسفهم؛ لأنكم إذا أعطيتموهم وهم سفهاء أضعوا المال»^(٢).

وكما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٢]، فهذا

نهي للإنسان أن يتمنى ما فضل الله به غيره عليه، لقوله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا﴾، وهل النهي للتحريم؟

، الجواب: نعم هو للتحريم؛ لأن هذا النوع من التمني هو الحسد بعينه؛ لأنه قال: ﴿مَا فَضَّلَ

اللَّهُ﴾ ولم يقل: مثل ما فضل الله، ولو قال: ولا تتمنوا مثل لكان في المسألة إشكال، وصار أول

الآية يناقض آخرها في قوله: ﴿وَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، لكن المعنى: لا تتمنوا أن يكون ما

فضل الله به غيركم لكم، ويحرم غيركم إياه، وعلى هذا فنقول: النهي هنا للتحريم، وهذا النوع

هو الحسد»^(٣).

ويذكر - رحمه الله - أن النهي قد يخرج عن معناه الأصلي، إلى معانٍ أخرى تفهم من سياق

الجملة؛ ومن شواهد - رحمه الله - على خروج النهي عن معناه الأصلي، ما يأتي:

١ - الدعاء نحو: «قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا

(١) السابق.

(٢) تفسير سورة النساء: ٤٠ / ١.

(٣) السابق: ٢ / ٢٧٣.

وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿البقرة: ٢٨٦﴾، هذا دعاء»^(١).

٢- التهديد: كقوله تعالى: ﴿لَا يَغْرَتُكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾ [آل عمران: ١٩٦]، وهذا تهديد ليس للرسول ﷺ، بل تهديد لهؤلاء الذين يتقلبون في البلاد؛ ولهذا قال بعدها:

﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ﴾ [آل عمران: ١٩٧]»^(٢).

٣- الترجي، ففي قوله تعالى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فقد رد على

مؤلفي دروس البلاغة حين جعلوه ضمن الدعاء، وقد وجهه على النحو التالي:
«ولا يحسن المثال بهذا على الدعاء؛ هذه نعم لو وجهت لله ﷻ لكان صحيحاً؛ لأنه جاء في الحديث التعوذ من شماتة الأعداء، فلو وجهت لله كانت دعاءً، ولكن إذا وجهت للمخلوق الذي هو أعلى منك وإن كانوا يتساهلون يقولون: دعاء، فلا ينبغي، بل ينبغي أن يقال: إنه تَرَجُّحٌ أو نحو ذلك»^(٣).

٣- الاستفهام:

الاستفهام من أساليب الإنشاء الطلبي التي فطن لها أوائل المؤلفين والبلاغيين^(٤)، قال السكاكي: «والاستفهام لطلب حصول في الذهن، والمطلوب حصوله في الذهن إما أن يكون حكماً بشيء على شيء أو لا يكون؛ والأول: هو التصديق، ويمتنع انفكاكه من تصور الطرفين، والثاني: هو التصور ولا يمتنع انفكاكه من التصديق»^(٥).

ولا بد أن نعلم أن الاستفهام بهذا المعنى لا يصدر من الله تعالى^(٦)، يقول ابن تيمية -رحمه الله-: «والله لا يستفهم لطلب الفهم والعلم؛ فإنه بكل شيء عليم، ولكن مثل هذا يسميه

(١) شرح دروس البلاغة: ٣٧.

(٢) السابق: ٣٨.

(٣) السابق: ٣٧.

(٤) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها لأحمد مطلوب: ١ / ١٨١.

(٥) مفتاح العلوم: ١٤٦.

(٦) تحفة الأريب على مغني اللبيب: ١ / ٢١، نقلاً عن أسلوب الإنشاء في سور المفصل: ٢١٧.

أهل العربية: استفهام إنكار»^(١)، يقصد الاستفهام في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّيُّ لِمُحْرِمٍ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْنِي مَرَضَاتٍ أَرْوَجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: ١]، ويذكر البلاغيون أن الاستفهام «هو طلب المراد من الغير على جهة الاستعلام»^(٢). وذلك ما يرتئيه ابن عثيمين -رحمه الله- من خلال تعريفه. حيث قدم الشيخ -رحمه الله- تعريفاً له، وتناول بعضاً من أغراضه. فقال: «الاستفهام أصله طلب الفهم، أو طلب الإفهام، أي: الإعلام بالشيء، فإذا قلت: هل قام زيد؟ فالمعنى: أعلمني هل قام زيد، فهو طلب الإعلام بالشيء»^(٣). وهو يستدرک على المؤلفين^(٤) في تعريفهم قائلاً: «وهذا التفسير أدق من تفسير المؤلف: (طلب العلم)؛ لأن من يُطالع الكتب ليتعلم يُقال: إنه طالب علم، ولا يقال: مُسْتَفْهِم، فالأحسن أن يُقال: الاستفهام: طلبُ الإعلام بالشيء»^(٥).

ويورد -رحمه الله- أدوات الاستفهام: «هذه الأدوات تأتي استفهامية وغير استفهامية،

لكن هي من أدوات الاستفهام:

١. الهمزة - وهي الأصل - : أ قائم زيد؟
٢. هل: هل قام زيد؟
٣. ما: ما هذا؟
٤. مَنْ: مَنْ القائم؟
٥. أَيَّان: أَيَّان تقوم؟
٦. كيف: كيف جاء زيد؟
٧. أين: أين تنزل؟
٨. أَيْ: ﴿أَيْ لِهْمُ الذِّكْرَى﴾ [الدخان: ١٣].

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية: ٣٥ / ٣٢٩.

(٢) الطراز: ٣ / ١٥٨.

(٣) شرح دروس البلاغة: ٣٩.

(٤) أي: مؤلفو كتاب دروس البلاغة: حفي ناصر، سلطان محمد، محمد دياب، مصطفى طوم.

(٥) شرح دروس البلاغة: ٣٩.

٩. كم: كم مالك؟

١٠. أي: أي الرجلين قائم؟

١١. متى: متى جئت؟ «^(١)».

ويخرج الاستفهام عن أصل وضعه، فيُستفهم به عن الشيء مع العلم به لأغراض تستفاد من سياق الحديث^(٢)، فقد عرّج -رحمه الله- على ذكر بعض من تلك الأغراض.

وأكثر الأغراض ورودًا في حديث ابن عثيمين -رحمه الله- ما يفيد الإنكار، قال تعالى: ﴿أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ﴾ [الواقعة: ٨١]، «يعني: أبعد هذا البيان لعظمة القرآن الكريم تدهنون به الكفار وتسكتون عن بيانه وعن العمل به؟»^(٣).

ثم يذكر ابن عثيمين -رحمه الله- نوع هذا الاستفهام، فيقول: «وهذا الاستفهام للإنكار؛ لأن الواجب على من آمن بأنه ﴿تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الواقعة: ٨٠]، وأنه قرآن كريم، وأنه لا يمسه إلا المطهرون الواجب أن يصارح ويصرح ولا يدهن...»^(٤).

ومنه -أيضًا- قوله -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿أَأَلَّهُ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦٠]: «الاستفهام للإنكار، أو بمعنى النفي، وهما متقاربان، أي: هل أحد مع الله يفعل ذلك؟! الجواب: لا، وإذا كان كذلك؛ فيجب أن تصرف العبادة لله وحده، وكذلك الدعاء؛ فالواجب على العبد أن يوجه السؤال إلى الله تعالى، ولا يطلب من أحد أن يزيل ضرورته ويكشف سوءه وهو لا يستطيع»^(٥).

ومن الشواهد -أيضًا- ما قاله الشيخ عند قوله تعالى: ﴿أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى﴾ [النجم: ٣٥]: «وهذا الاستفهام استفهام استنكار بمعنى النفي، يعني ليس عنده علم الغيب، وهو يرى أنه سينتقل إلى دار أفضل من التي هو فيها، وعلى هذا فتكون الجملة جملة نفي،

(١) السابق.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم: ٤٢٤-٤٢٥، والإيضاح: ٣/ ٦٨، شرح: د. محمد خفاجي.

(٣) تفسير سورة الواقعة: ٣٤٩.

(٤) السابق.

(٥) القول المفيد على كتاب التوحيد: ١/ ٢٧٤.

وليست جملة إثبات، وليست جملة استخبار، بل هي جملة نفي واستنكار، إذ لا أحد عنده علم الغيب، ولولا ما أخبر الله به من النعيم في الجنة والجحيم لأهل النار، ما علمنا بهذا شيئاً^(١).

ويأتي الاستفهام ليفيد التقرير - لتقرير أمر حاصل - كما يراه ابن عثيمين - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]: «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الهمزة للاستفهام؛ والمراد به هنا التقرير، والتعجب؛ (التقرير) يعني: تقرير هذا الأمر، وأنه حاصل، و(التعجب) معناه: دعوة المخاطب إلى التعجب من هذا الأمر العجيب الغريب الذي فيه المحاجة لله **عَلَى**»^(٢).

ومثله قوله - رحمه الله - في تعالى: ﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا﴾ [البقرة: ٢٦٠]: «هذا الاستفهام للتقرير؛ وليس للإنكار، ولا النفي؛ فهو كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، يعني: قد شرحنا لك؛ فمعنى: ﴿أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا﴾: ألسنت قد آمنت؛ لتقرير إيمان إبراهيم **الْعَلَيْهِ**»^(٣).

والشيخ - رحمه الله - يقعد للاستفهام التقريري، فيما لو كان المخاطب عالماً بالأمر ثم وُجِّه له سؤال، وإذا ولي حرف الاستفهام نفي تعين في الكلام استفهام التقرير، وهذا ما قرره العلماء من قبله؛ إذ يقول في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى﴾ [البقرة: ٢٤٦]: «قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ [البقرة: ٢٤٦]:... والاستفهام هنا الظاهر أنه للتشويق - يعني يشوقنا أن ننظر إلى هذه القصة لنعتبر بها-؛ لأن التقرير إنما يكون في أمر كان معلوماً للمخاطب، فيقرَّر به، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]، وأما هذا فهو أمر ليس معلوماً للمخاطب إلا بعد أن يخبر به؛ فيكون هنا للتشويق، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرِفٍ﴾ [الصف: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْثِيَّةِ﴾ [الغاشية: ١]، وما

(١) تفسير سورة النجم: ٢٤٠.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٢٧٧.

(٣) السابق: ٣ / ٢٩٩ - ٣٠٠.

أشبهها؛ أما لو كان يخاطب من كان عالماً بها لقلنا: إن الاستفهام للتقرير»^(١). وأفادنا الشيخ -رحمه الله- أن التقرير قد يصاحبه غرض آخر كالتشويق.

ويعضى الشيخ -رحمه الله- مستعرضاً أغراضاً أخرى لخروج الاستفهام عن معناه الأصلي، فمن ذلك خروجه إلى معنى التشويق، حيث قال قوله تعالى: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَزَكَّىٰ﴾ [النازعات: ١٨]: «الاستفهام هنا للتشويق، تشويق فرعون أن يتزكى مما هو عليه من الشر والفساد، وأصل الزكاة النمو والزيادة، وتطلق بمعنى الإسلام والتوحيد...»^(٢).

ومن ذلك قوله -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ٤٠]: «الاستفهام هنا للتشويق، يعني هل أحد يدكر ويتعظ بما جرى للمكذابين للرسول من إهلاكهم وتدميرهم، وقيل: إن الاستفهام للأمر، وأن المعنى فادكروا، وسواء أقلنا: للتشويق أم للأمر؛ فإن الواجب علينا أن نتذكر وأن نحشى من عقاب الله تبارك وتعالى...»^(٣).

ويأتي الاستفهام ليخرج لمعنى الأمر، ويتضح ذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُمُ﴾ [آل عمران: ٢٠]: «﴿أَسَلَّمْتُمُ﴾، فيها قراءتان، أسلتم، وأسلتم، أي: بتحقيق الهمزتين وإدخال ألف بينهما. والاستفهام هنا يراد به الأمر؛ يعني: قل للذين أوتوا الكتاب والأمينين: أسلموا، فهو مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُهُ وَحْدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]»^(٤). وكان العلماء يمثلون على خروج الاستفهام للأمر بهذه الآية، أعني قوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَّمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسَلَّمْتُمُ﴾^(٥).

ومن أغراض الاستفهام ما يخرج لمعنى التفخيم والتعظيم، قال: «هذه الجملة بهذه الصيغة - أي صيغة ما أدراك - يستفاد منها التعظيم والتفخيم، وهي مطردة في القرآن الكريم، قال تعالى:

(١) السابق: ٢٠٦ / ٣.

(٢) تفسير جزء عم: ٤٦.

(٣) تفسير سورة القمر: ٢٧٢-٢٧٣.

(٤) تفسير سورة آل عمران: ١ / ١٣٣.

(٥) ينظر: معترك الأقران: ١ / ٤٣٦.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٧]، وقال تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة: ١ - ٣]، وقال تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١ مَا الْقَارِعَةُ ۝٢﴾ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١ - ٣]، فهذه الصيغة تعني التفخيم والتعظيم، فهنا قال: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ٢]، أي: ما أعلمك ليلة القدر، وشأنها وشرفها وعظمتها^(١).

ومن ذلك ما قاله الشيخ -رحمه الله- عند قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥]، قال -رحمه الله-: «أي كيف تكون حالهم في هذا الوقت ﴿إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾؟ والاستفهام للتعظيم، أي: ما أعظم ما تكون حالهم في ذلك اليوم! وما أشد حسرتهم إذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه! ...»^(٢).

ومن أغراض الاستفهام مجيئه بمعنى الاعتراض ومعنى الاستكشاف، ففي قوله تعالى: ﴿أَنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةَ مِنَ الْمَالِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، قال الشيخ -رحمه الله- عنه: «استفهام هؤلاء القوم يحتمل أن يكون المراد به الاعتراض؛ ويحتمل أن يراد به الاستكشاف والبحث عن السبب بدون اعتراض: كيف كان ملكا ونحن أحق بالملك منه، ولم يؤت سعة من المال؟

فإن كان الأول فإن حالهم تقتضي الذم؛ لأنهم كيف يعترضون وهو الذين طلبوا أن يبعث لهم ملكًا! ، وإن كان الثاني فلا اعتراض عليهم، ولا لوم عليهم»^(٣).

ويأتي الاستفهام ليفيد معنى الاستبعاد، كما في سؤال الرجل الذي استبعد إحياء الله وَجَلَّ للقرية بعد موتها: قال تعالى: ﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، يقول -رحمه الله-: «﴿أَنِّي﴾ اسم استفهام للاستبعاد؛ وسياق الآية يرجحها؛ أي إنه استبعد حسب تصويره أن الله وَجَلَّ يعيد إلى هذه القرية ما كان سابقًا، وقال: كيف يحيي الله هذه القرية بعد موتها؟ وقال

(١) تفسير جزء عم: ٢٧٤.

(٢) تفسير سورة آل عمران: ١ / ١٥١.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٢١٥.

بعضهم: إنه للاستعجال والتمني؛ كأنه يقول: متى يجيي الله هذه القرية بعد موتها وقد كانت بالأمس قرية مزدهرة بالسكان والتجارة، وغير ذلك؛ فمتى يعود عليها ما كان قبل؟»^(١).

وقد يأتي الاستفهام ليفيد معنى التهديد؛ ففي قوله تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الصفات: ٨٧]، يعلق ابن عثيمين -رحمه الله- على الآية قائلاً: «الاستفهام هنا استفهام تهديد على كلام المؤلف^(٢)، يعني ماذا تظنون أن الله فاعل بكم إذا عبدتم غيره؟ أتظنون أن يترككم؟»

والجواب: لا، ويحتمل أن المعنى إذا اتخذتم مع الله غيره لها فما ظنكم به؟ أتظنون أنه يقبل هذه الشركة، فالله وَجَّكَ لَنْ يَقْبَلَ، قال الله تعالى: ((أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه))^(٣)، أو ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾؟ فما ظنكم بعظمته وجلاله، لو كنتم عظمتموه حق تعظيمه ما أشركتم به غيره»^(٤).

ومن ذلك مجيء الاستفهام ليفيد معنى التحقير، قال تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصفات: ٩٢]، قال الشيخ: «الاستفهام هنا للتحقير، أي إنه يحقرها -أي الأصنام- لكونها لا تنطق، وخاطب هذه الأصنام مخاطبة العقلاء في قوله: ﴿مَا لَكُمْ﴾: ولم يقل: ما لكن، تنزلاً مع أصحابها الذين يجعلونها من ذوات العلم وذوات القبول والدفع عنهم ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ﴾ [الصفات: ٩٢]، يعني: أي شيء يمنعكم من النطق إن كنتم آلهة؟»^(٥).

ويأتي الاستفهام ليفيد معنى النفي، قال تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، «وهذا استفهام بمعنى النفي، يعني: لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، وإذا جاء النفي بصيغة الاستفهام صار أبلغ؛ لأنه في هذه الصيغة يتضمن معنى التحري، كأن المتكلم يقول: إذا كان يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون فأحبرني بهم. فإذا جاءك النفي

(١) السابق: ٣ / ٢٨٩.

(٢) يريد مؤلف تفسير الجلالين.

(٣) أخرجه: مسلم، ٤ / ٢٢٨٩، (٢٩٨٥).

(٤) تفسير سورة الصفات: ١٩٥.

(٥) السابق: ٢٠١.

بصيغة الاستفهام فإنه يكون أبلغ من النفي المجرد»^(١).

وهكذا يمضي - رحمه الله - في تفسيره مستعرضاً أغراضاً أخرى للاستفهام، فمما ذكره أنه يأتي: للتعجب^(٢)، وللتوضيح^(٣)، وللحث^(٤).

٤- التمني:

عرّف الشيخ - رحمه الله - التمني في أثناء تفسير الآيات، فقال: «والتمني هو أن الإنسان يطلب تقديرًا ما يصعب حصوله، هذا التمني أن يتمنى تقديرًا ما في قلبه يصعب حصوله سواء أكان يصعب ثم يحصل أم يصعب ولا يحصل، ولهذا يقع التمني على الأشياء المستحيلة، كقول الشاعر:

أَلَا لَيْتَ الشَّبَابَ يَعُودُ يَوْمًا فَأُخْبِرُهُ بِمَا فَعَلَ الْمَشِيبُ^(٥)

ولا يمكن أن يعود، ويكون في الشيء الذي فيه العسر، ولكنه قليل...»^(٦).

وهو - رحمه الله - يوافق تعريف مؤلفي دروس البلاغة؛ حين عرّفوا التمني بقوله - رحمه الله - التمني: «طلب شيء محبوب لا يُرجى حصوله؛ لكونه مستحيلًا أو بعيد الوقوع». ولا يتعد هذا التعريف عن تعريف البلاغيين؛ فهو عندهم: «توقع أمر محبوب في المستقبل»^(٧). وهم يفرقون بين نوعين من التمني:

الأول: توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه مستحيلًا.

الثاني: توقع الأمر المحبوب الذي لا يرجى حصوله لكونه ممكنًا غير مطموح في نيله»^(٨).

(١) شرح صحيح البخاري: ١ / ١٦٨.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢ / ١٦٩.

(٣) شرح التدمرية: ١ / ٢٩.

(٤) مجموع الفتاوى: ٩ / ٣١.

(٥) البيت لأبي العتاهية، ديوان أبي العتاهية: ٤٢٥، ديوان المعاني: ٢ / ١٥٥.

(٦) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٢٣٤.

(٧) ينظر: مفتاح العلوم: ٤١٤-٤١٥، الطراز: ٣ / ١٦٠.

(٨) ينظر: مفتاح العلوم: ١٤٧، الإيضاح: ٢ / ١٣١، شرح: د. محمد خفاجي، التلخيص: ١٥١، الطراز: ٣ / ٣٢١، معترك الأقران: ١ / ٤٤٤، الإتقان: ٢ / ٨٢، شرح عقود الجمان: ٤٨، حلية اللب: ٩٣، الروض المربع: ٧٧.

وللتمني أربع أدوات:

واحدة أصلية، وهي: (ليت). وثلاث غير أصلية، وهي: (هل) و(لو) و(لعل)^(١).

يقول -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]: «يتمنى أنه قدم حياته، وما هي حياته؟ أهي حياة الدنيا؟ لا والله، الحياة الدنيا انتهت وقضت، وليست الحياة الدنيا حياة في الواقع، الواقع أنها هموم وأكدار، كل صفو يعقبه كدر، كل عافية يتبعها مرض، كل اجتماع يعقبه تفرق، انظروا ما حصل؟ أين الآباء؟ أين الإخوان؟ أين الأبناء؟ أين الأزواج؟ الحياة هي ما بينه الله ﷻ: ﴿وَابْتَ الْدَارَ الْآخِرَةَ لِهِيَ الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، يعني لهي الحياة التامة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، يقول هذا: ﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٤]، يتمنى لكن لا يحصل ﴿وَأَنِّي لَهُ الذَّكْرَى﴾ [الفجر: ٢٣]»^(٢).

ومثله قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٣]، «أي: أتمنى أتي معهم ﴿فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾»^(٣).

وفي (لو) كما في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَا كَرَةً فَنَتَّبِرَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]: «(لو) هنا ليست شرطية؛ ولكنها للتمني؛ يعني: ليت لنا كرة فنتبرأ؛ والدليل على أنها للتمني أن الفعل نصب بعدها؛ وهو منصوب ب(أن) المضمر بعد الفاء السببية؛ و(لو) تأتي في اللغة العربية على ثلاثة أوجه: تكون شرطية؛ وتكون للتمني؛ وتكون مصدرية؛ ف(لو) في قوله تعالى: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [المتحنة: ٢]، مصدرية؛ و(لو) في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، شرطية؛ و(لو) في قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَا كَرَةً فَنَتَّبِرَ مِنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٦٧]، للتمني؛ ومثلها قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّا كَرِهْنَا لَنَا كَرَةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢]، و(الكرة) الرجوع إلى الشيء؛ والمراد هنا: الرجوع إلى الدنيا؛ فنتبرأ منهم في الدنيا إذا رجعنا كما تبرعوا منا هنا في الآخرة؛ فنجازيهم بما جازونا به؛ لكن أتي لهم ذلك! فهذا التمني لا ينفعهم؛ ولذلك

(١) ينظر: الإيضاح: ٣/ ٥٣-٥٤، شرح: د. محمد خفاجي، مفتاح العلوم: ٤١٨، الطراز: ٣/ ١٦٠.

(٢) تفسير جزء عم: ٢٠٣.

(٣) تفسير سورة النساء: ٢/ ٥٢٠-٥٢١.

قال الله ﷻ: ﴿كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]»^(١).

٥- النداء:

وهو: «طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة»^(٢). وأدواته ثمان: الهمزة، وأي، وآي، وآ (بمد الهمزة)، ويا، وأيا، وهيا، ووا^(٣).

وهو عند الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : «طلب الإقبال ب(يا) أو إحدى أخواتها»^(٤). ويشيد - رحمه الله - بالنداء من خلال تفسيره للآيات الكريمة؛ كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١]، فيذكر من فوائد هذه الآية: «بيان أهمية هذا الطلب وهو عبادة الله تعالى وحده، ووجه ذلك أنه لا يصدر الخطاب بالنداء إلا للعناية به؛ لأن النداء نوع من التنبيه، فأنت إذا ناديت المخاطب انتبه واتجه إليك»^(٥).

«وهي في الاستعمال قسمان:

الأول: الهمزة وأي، وهما موضوعتان لنداء القريب.

الثاني: باقي الأدوات، وهي موضوعة لنداء البعيد»^(٦).

وقد تخرج ألفاظ النداء عن معناها الأصلي وهو طلب الإقبال إلى معانٍ مجازية، تُفهم من السياق بمعونة القرائن، ومما ذكره الشيخ - رحمه الله -:

- الإغراء، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]، «فالخطاب يمثل هذا أولاً: تصديره بالنداء يدل على أهميته والتنبيه له. ثانياً: توجيهه إلى المؤمنين

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٢٣٠-٢٣١.

(٢) عروس الأفراح: ٢ / ٣٣٣.

(٣) الكتاب: ١ / ٣٢٥.

(٤) شرح دروس البلاغة: ٤٨.

(٥) أحكام من القرآن الكريم: ١٠٦.

(٦) ينظر: شرح الألفية لابن الناظم: ٥٦٥، أوضح المسالك: ٣ / ٧٠.

له ثلاث فوائد: الأولى: الإغراء على الامتثال، كأنه يقول: إن كنت مؤمناً فافعل كذا وكذا، وإن كنت مؤمناً فصدق بالخبر، ففيه توجيه وإغراء بالامتثال. الثانية: أن امتثاله من مقتضيات الإيمان؛ لأنه لا يخاطب الشخص بوصف ثم يوجه إليه حكم متعلق بهذا الوصف إلا كان ذلك دليلاً على أن امتثال هذا الحكم من مقتضيات الإيمان؛ لأنه لا يصح أن توجه لفاسق كلمة تتعلق بالمؤمن. الثالثة: أن الإخلال به نقص في الإيمان، إذا وجه الله الخطاب للمؤمنين فهذا دليل على أن الإخلال به نقص في الإيمان، ثم لا بد أن يكون هناك فائدة عظيمة إذا وجه الله الخطاب للمؤمنين، كما قال عبد الله بن مسعود^(١): ((إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا) فأرعاها سمعك يعني استمع إليها، فإما خير تؤمر به، أو شر تنهى عنه))^(٢).

ومثله أيضاً ما ذكره في توجيه النداء للمؤمنين في النهي عن أكل الربا، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]، يقول: «تصدير الخطاب بالنداء يدل على الاهتمام به؛ لأن النداء يوجب يقظة المخاطب وانتباهه، والخطاب الذي يعنى به يسبق بما يفيد الانتباه والاستيقاظ، وتوجيهه إلى المؤمنين ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ يدل على فوائد: الأولى: الإغراء، والحث على ما تضمنه الخطاب؛ لأن مناداة هؤلاء باسم الإيمان يدل على أن ذلك من أجل أن يثير همهم كما تقول للرجل تخاطبه: يا كريم أكرم ضيفك. فإنك إذا قلت: يا كريم؛ فإن هذا من باب الإغراء والحث، يعني: من أجل كرمك أكرم. وتقول: يا رجل أترك السفلة، أو يا حليم أترك السفه، وما أشبه ذلك، فالمقصود بمثل هذا الإغراء والحث، والثانية أن الالتزام بما دلَّ عليه الخطاب من مقتضيات الإيمان، فمثلاً ترك أكل الربا من مقتضيات الإيمان؛ لأن الخطاب وجه للمؤمنين، والثالثة أنه يستفاد أن المخالفة في هذا منقصة للإيمان وسبب لنقصانه»^(٣).

- التنبيه، كما في قوله تعالى: ﴿يُوَلِّئْنَا مَالٍ هَذَا الْكَتَبِ لَا يُعَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَنَاهَا﴾ [الكهف: ٤٩]، يقول الشيخ -رحمه الله- في هذه الآية: «(يا) حرف نداء (ويلتنا)

(١) أخرجه: ابن أبي حاتم في تفسيره: ١ / ١٩٦، وابن كثير في تفسيره: ١ / ٦١.

(٢) تفسير سورة آل عمران: ١٣٠-٩٥ / ٢.

(٣) السابق: ١٥٣ / ٢.

هي الهلاك ولكن كيف تنادى؟

الجواب: إما أن (يا) للتنبيه فقط؛ لأن النداء يتضمن الدعاء والتنبيه، وإما أن نقول: إنهم جعلوا ويلتهم بمنزلة العاقل الذي يوجه إليه النداء، ويكون التقدير (يا ويلتنا احضري)! لكن المعنى الأول أقرب؛ لأنه لا يحتاج إلى تقدير، ولأنه أبلغ^(١).
وهذان المعنيان اللذان ذكرهما الشيخ - رحمه الله - مما أورده العلماء من معاني النداء^(٢).

ثانياً: الإنشاء غير الطلبي:

أما الإنشاء غير الطلبي، فهو: ما لا يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب.
يقول العلامة التفتازاني: «فالإنشاء إن لم يكن طلباً كأفعال المقاربة وأفعال المدح والذم وصيغ العقود والقسم وربّ ونحو ذلك، فلا يبحث عنها هاهنا؛ لقلة المباحث البيانية المتعلقة بها، ولأن أكثرها في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء»^(٣).
ولم يهتم البلاغيون بهذا الأسلوب الإنشائي؛ لقلة الأغراض المتعلقة به، ولأن معظم أخباره نقلت عن معانيها الأصلية^(٤).

ومع ذلك فإن أساليب الإنشاء غير الطلبي لا تخلو من إشارات بلاغية إذا روعي السياق بأجمعه: «وهذا الحكم ليس على إطلاقه، إذ ليس معنى هذا أن تحمل أساليب الإنشاء غير الطلبي من البحث، وأن البلاغيين مصيرون تماماً في اطراحهم لهذه الأساليب بدعوى خلوّها من المعاني والأسرار البلاغية، كلا، فإن بينها أسلوباً خصباً حريّاً بالدراسة المتأنية التي تستجلي خصائصه وتستنبط أسرارها، ألا وهو أسلوب القسم»^(٥).

ويذكر الشيخ - رحمه الله -: «أن الإنشاء غير الطلبي يكون ب: التعجب، مثل: (ما أحسن زيداً!)، ومثل قوله تعالى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مریم: ٣٨]، وبالقسم؛ لأن القسم إنشاءً: (والله

(١) تفسير سورة الكهف: ٨٤.

(٢) ينظر: النداء في اللغة والقرآن: ١٦١.

(٣) مختصر السعد: ٢ / ٢٣٦، والبلاغة فنونها وأفنانها - علم المعاني - لفضل عباس: ١٠٢.

(٤) ينظر: الإيضاح: ١ / ٥١، شرح: د. محمد خفاجي، ومختصر السعد: ٢٣٦ (شروح التلخيص)، وأساليب بلاغية لأحمد مطلوب: ١١٠.

(٥) أسلوب الإنشاء في سور المفصل: ٤٠٠.

لأفعلن) هذا ليس خبراً عن قسم، بل هو إنشاء قسم. وصيغ العقود ك(بعث) (طلقت) (وقفت) (زنت)، هذه ليست أخباراً، هذه إنشاء؛ لأنها عقدٌ من الآن...»^(١).

وهو بذلك يتابع الجمهور على أن هذه الأساليب إنشائية لا خبرية.

وفي تناوله - رحمه الله - للآيات تكلم عن أساليب متعددة في الإنشاء غير الطلبي لكننا نجد له وقفات مع القسم دون غيره، ومن الصيغ التي أشار إليها:

١- القسم:

ويكون بالواو والباء والتاء وبغيرها؛ قال سيويه: «وأكثرها الواو ثم الباء يدخلان على كل محلوفٍ به ثم التاء»^(٢).

وقد أفرد الشيخ - رحمه الله - الحديث عنه في كتابه (أصول في التفسير) مبيناً تعريفه، قائلاً: «القسم: بفتح القاف والسين، اليمين، وهو: تأكيد الشيء بذكر مُعْظَم بالواو، أو إحدى أخواتها»^(٣).

ويذكر الشيخ - رحمه الله - أدوات القسم، وقد أورد الشواهد عليها، فقال: «وأدواته ثلاث:

١- (الواو)، مثل قوله تعالى: ﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ﴾ [الذاريات: ٢٣]، ويحذف معها العامل وجوباً، ولا يليها إلا اسم ظاهر.

٢- (الباء)، مثل قوله تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [القيامة: ١]، ويجوز معها ذكر العامل كما في هذا المثال، ويجوز حذفه كقوله تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ

عَلِمَ فِعْرَتِكَ لِأَعْيُنِهِمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، ويجوز أن يليها اسم ظاهر كما مثلنا، وأن يليها ضمير كما في قولك: الله ربي وبه أحلف لينصرن المؤمنين.

٣- (التاء): مثل قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَتَسْعُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]، ويحذف

(١) شرح دروس البلاغة: ٤٩.

(٢) الكتاب: ٣ / ٤٩٦.

(٣) أصول في التفسير: ٥٥، تفسير سورة البقرة: ١ / ٥٥.

معها العامل وجوباً، ولا يليها إلا اسم الله، أو تَرَبَّ، مثل: تَرَبَّ الكعبة لأحجن إن شاء الله^(١).

وهو يوافق - رحمه الله - العلماء في ذلك^(٢).

ويقول - رحمه الله -: «فالواو: أكثرها استعمالاً. والباء أكثرها صيغة، يعني أن الباء يُحَلَفُ بها مع وجود الفعل وحذفه، وتدخل على الظاهر وعلى المضمر، والتاء أخص من الواو. فإذا أعم حروف القسم بالنسبة للاستعمال الباء؛ لأنها تستعمل مع وجود الفعل فتقول: أحلف بالله لتفعلنَ كذا، ومع حذفه؛ فتقول: بالله لتفعلنَ كذا»^(٣).

ويمثل الشيخ - رحمه الله - للتاء بقوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَشَأْنُنَا عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٥٦]، يقول: «ويُحذف معها العامل وجوباً، ولا يليها إلا اسم الله، أو رَبَّ، مثل: تَرَبَّ الكعبة لأحجنَ إن شاء الله»^(٤).

وكانت وقفات الشيخ - رحمه الله - مع القسم إما تحديداً له بأنه قسم، أو ذكر المقسم عليه المحذوف، أو تفسيراً للقسم وبيان فائدته وأهميته، يقول: «في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ [الطارق: ١]، ابتداءً الله ﷻ هذه السورة بالقسم، أقسم الله تعالى بالسماء والطارق،... فهنا يقسم الله تعالى بالسماء، وأما قوله: ﴿وَالطَّارِقِ﴾ فهو قسم ثان، أي إن الله أقسم بالطارق، فما هو الطارق؟ ليس الطارق هو الذي يطرق أهله ليلاً بل فسره الله ﷻ بقوله: ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ [الطارق: ٣]، هذا هو الطارق»^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿لَا أُقِيمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾ [البلد: ١ - ٢]، «قيل: المعنى: أقسم بهذا البلد حال كونك حالاً فيه، لأن حلول النبي ﷺ في مكة يزيداها شرفاً إلى شرفها. وقيل: المعنى وأنت تستحل هذا البلد، فيكون إقسام الله تعالى بمكة حال كونها حالاً للرسول

(١) السابق.

(٢) الكتاب: ١ / ٥٩.

(٣) تفسير سورة ص: ٩.

(٤) أصول في التفسير: ٥٥-٥٦، تفسير سورة البقرة: ١ / ٥٥-٥٦.

(٥) تفسير جزء عم: ١٥٠-١٥١ بتصرف.

ﷺ»^(١).

ويقف - رحمه الله - وقفة أخرى عند قول الله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣﴾﴾ [الليل: ١ - ٣]: «فأقسم الله ﷻ بالليل إذا يغشى يعني حين يغشى الأرض ويغطيها بظلامه، لأن الغشاء بمعنى الغطاء، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ أي: إذا ظهر وبان، وذلك بطلوع الفجر الذي هو النور، والذي هو مقدمة طلوع الشمس،... فالله ﷻ أقسم بأشياء متضادة على أشياء متضادة^(٢): الليل ضد النهار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضاد صالح وسيئ، فتناسب المقسم به والمقسم عليه، وهذا من بلاغة القرآن»^(٣).

ويختتم الشيخ - رحمه الله - وقفاته وحديثه عن القسم بذكر فوائده، والمواطن التي يحسن القسم فيها: «وللقسم فائدتان: إحداهما: بيان عظمة المقسم به، والثانية: بيان أهمية المقسم عليه، وإرادة توكيده، ولذا لا يحسن القسم إلا في الأحوال التالية:

- الأولى: أن يكون المقسم عليه ذا أهمية.
- الثانية: أن يكون المخاطب مترددًا في شأنه.
- الثالثة: أن يكون المخاطب مُنْكَرًا له»^(٤).

٢- التعجب:

وله صيغتان قياسيتان هما: ما أفعلْهُ، وأفعل به.

ومثاله: «قول الحريري: (ما أغزر وبلك!)»^(٥). وله صيغ سماعية، كقولهم: (الله درك!).

ويشير - رحمه الله - لأثر التعجب في إظهار المعنى وإبرازه، فيقول: «قوله تعالى: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥]، (ما تعجبية مبتدأ؛ وجملة (أصبرهم) خبرها؛ والمعنى: شيء

(١) السابق: ٢١٥.

(٢) يشير إلى الطباق، وهو ما سأتناوله في المبحث الثالث من هذا الفصل - بإذن الله.

(٣) تفسير جزء عم: ٢٣٠-٢٣١.

(٤) تفسير سورة البقرة: ١ / ٥٦، أصول في التفسير: ٥٦.

(٥) مقامات الحريري: ٣٢.

عظيم أصبرهم؛ أو ما أعظم صبرهم على النار»^(١).

ويوضح ما تحتمله الآية من معانٍ، في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾ [عبس: ١٧]، فيقول: «﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾» قال بعض العلماء، إن (ما) هنا استفهامية، أي: أي شيء أكفره؟ وما الذي حمله على الكفر؟ وقال بعض العلماء: إن هذا من باب التعجب يعني ما أعظم كفره! «^(٢). ثم يبين -رحمه الله- الفرق بين القولين؛ قائلاً: «إنه على القول الأول تكون (ما) استفهامية، أي: ما الذي أكفره؟ وعلى القول الثاني تكون تعجبية؛ يعني عجباً له كيف كفر مع أن كل شيء متوفر لديه في بيان الحق والهدى والكفر والإيمان!»^(٣).

٣- أسلوب المدح والذم:

ومنه: (نعم) التي للمدح، و(بئس) التي للذم، وما جرى مجراها مثل (حبذا) و(لا حبذا). وقد اختلف النحاة في هاتين الصيغتين، فذهب الكوفيون إلى أنهما اسمان، والبصريون إلى أنهما فعلان ولكل من الفريقين أدلة وشواهد^(٤).

ومعلوم أن هاتين الكلمتين - نعم وبئس - جامدتان غير متصرفتين، لازمتان لإنشاء المدح والذم على سبيل المبالغة^(٥).

والشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يتابع البصريين في أن (نعم) و(بئس) فعلان لا اسمان؛ ففي قوله تعالى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ [البقرة: ٩٠]، يقول: «(بئس) فعل ماضٍ لإنشاء الذم؛ يقابلها (نعم): فهي فعل ماضٍ لإنشاء المدح؛ و(بئس)، و(نعم) فعلان جامدان لا يتصرفان. أي لا يتحولان عن صيغة الماضي؛ و(ما) اسم موصول بمعنى الذي. أي بئس الذي اشتروا به أنفسهم؛ أو أنها نكرة موصوفة، والتقدير: (بئس شيئاً اشتروا به أنفسهم)»^(٦).

(١) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٢٢٦.

(٢) تفسير جزء عم: ٦٤.

(٣) السابق.

(٤) ينظر: الإنصاف: ١ / ٩٧-٩٨، أوضح المسالك: ٣ / ٢٧٠.

(٥) ينظر: شرح التصريح: ٢ / ٩٤.

(٦) تفسير سورة البقرة: ١ / ٢٩٠.

ويشير -رحمه الله- إلى موضع المدح والذم في الآيات؛ وأنها من جمل الإنشاء، قال: «(بئس) جملة إنشائية لإفادة الذم، و(نعم) جملة إنشائية لإفادة المدح، و(بئس) و(نعم) يحتاجان إلى شيئين: إلى فاعل ومخصوص»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَابِ بئسُ الِاسْمُ الِفْسُوقُ بَعْدَ الِإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١١]، يذكر: «أن هذه الجملة إنشائية تفيد الذم، وما أفاد الذم فإنه منهي عنه بلا شك...»^(٢).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَبئسُ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦]؛ قال -رحمه الله-: «(بئس) فعل ماضٍ جامد إنشائي يراد به الذم؛ و﴿الْمَصِيرُ﴾ فاعل (بئس)؛ والمخصوص بالذم محذوف تقديره: هي، أي وبئس المصير هي»^(٣).

ومن شواهد في (نعم) قوله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦]؛ «الجملة هنا إنشائية للمدح والثناء، الثناء على هذا الأجر العظيم و﴿أَجْرُ الْعَمِلِينَ﴾ أي: ثوابهم...»^(٤).

وكقوله تعالى: ﴿إِن بُدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾ [البقرة: ٢٧١]، قال -رحمه الله-: «في قوله تعالى: ﴿إِن بُدُوا الصَّدَقَاتِ﴾ أي تظروها، ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾: جملة إنشائية للمدح...»^(٥).

وهو في الشواهد السابقة يذكر أن (نعم) و(بئس) من الجمل الإنشائية دون أن يحدد في كونها طلبية أو غير طلبية، ومشيراً إلى أنهما للمدح والذم.

(١) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٣٩٤.

(٢) تفسير سورة الحجرات: ٤١.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٥٤.

(٤) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ١٩٤.

(٥) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٣٥٧.

٤- الجمل المصدرية بـ(رُبَّ) و(كم) الخبرية:

وقد وردت (كم) الخبرية في القرآن الكريم في ثلاثة عشر موضعاً^(١)، وقد عدت من الأساليب الإنشائية لدلالاتها على إنشاء التكثير^(٢)، ومما تناوله الشيخ -رحمه الله- قوله تعالى: ﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩]،: «(كم) للتكثير، أي: ما أكثر ما تغلب الفئة القليلة فئة كثيرة»^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مَن بَعَدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦]، يعلق -رحمه الله- على الآية قائلاً: «(كم) تكثيرية؛ لأنها تأتي تكثيرية، وتأتي استفهامية، فإذا قلت: كم مالك؟ فهي استفهامية، وهنا: ﴿وَكَمْ مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ﴾ يعني كثير من الملائكة في السموات لا تغني شفاعتهم»^(٤).

وذكر الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في (رُبَّ) أنها تأتي للتقليل أو التكثير؛ فقال: «يرى بعض النحاة أنها - أي ربَّ - للتقليل، والبعض يرى أنها للتكثير، والصحيح أنها بحسب السياق، فقد تكون للتقليل، وقد تكون للتكثير حسب السياق. فقوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢]، هذه للتكثير؛ لأنهم يتمنون دائماً لو كانوا مسلمين. و(ربَّ) مبلغ أوعى من سامع) هذا للتقليل؛ لأن الغالب أن السامع يكون أوعى من المبلغ؛ لأنه يشاهد المتكلم، والمشاهد للمتكلم أبلغ في الوعي من السامع»^(٥).

٥- الترجي:

والحرف الموضوع له (لعل) وهناك أفعال تستعمل في هذا الأسلوب، وهي: عسى، حَرَى، اخلولق.

(١) ينظر: الإسراء: ١٧، مريم: ٣، ٧٤، ٩٨، الشعراء: ٧، البقرة: ٢٤٩، الأعراف: ٤، الأنبياء: ١١، الدخان: ٢٥،

القصص: ٥٨، ق: ٣٦، النجم: ٢٦.

(٢) ينظر بغية الايضاح: ٩١/١.

(٣) تفسر سورة البقرة: ٢٢٢ / ٣.

(٤) تفسير سورة النجم: ٢١٩.

(٥) شرح صحيح البخاري: ١ / ١٦٢.

وذكر الدسوقي أن: «الترجي ليس بطلب بل هو ترقب الحصول»^(١).
 وواضح أن هذا التعريف يُخرج الترجي من الطلب. وقد اشترطوا الإمكان في المرجو^(٢)،
 وأدخلوا في الارتقاب: الطمع والإشفاق، وحدوا الطمع بأنه: ارتقاب المحبوب، والإشفاق بأنه:
 ارتقاب المكروه^(٣).

ومن شواهد الشيخ - رحمه الله - على مجيء (عسى) للترجي؛ قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقَرَبٍ مِنْ هَذَا شَدْناً﴾ [الكهف: ٢٤]: «(عسى) بمعنى الرجاء إذا وقعت من المخلوق، فإن كانت من الخالق فهي للوقوع، فقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾^(٤) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨ - ٩٩]، نقول: (عسى) هنا واقعة، وقال الله: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ ءَامِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]. أما من الإنسان فهي للرجاء، كقوله: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي﴾ [الكهف: ٢٤]، هذه للرجاء»^(٤). فهنا يتضح تمام الوضوح أن (عسى) التي تكون للرجاء إنما هي في حق المخلوق لا في حق الخالق ﷻ.

ويورد الشيخ - رحمه الله - ما تحتمله (عسى) في الآية الكريمة: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَنُصِيعًا ذَلْقًا﴾ [الكهف: ٤٠]، يقول: «قوله تعالى: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي﴾ هذه الجملة هي جواب الشرط. وهل هي للترجي أم للتوقع؟ الجواب: فيها احتمالان:

الأول: أنها للترجي وأن هذا دعا أن يؤتيه الله خيراً من جنته، وأن ينزل عليها حُسباناً من السماء؛ لأنه احتقره واستذله فدعا عليه بمثل ما فعل به من الظلم، ولا حرج على الإنسان أن

(١) حاشية الدسوقي على مختصر السعد: ٤٠٥ / ٢.

(٢) ينظر: مواهب الفتاح: ٢ / ٢٣٩.

(٣) ينظر: المطول: ٢٢٦.

(٤) تفسير سورة الكهف: ٤٨-٤٩.

يَدْعُو عَلَى ظَالِمه بِمِثْلِ مَا ظَلَمه، وَيَحْتَمِل أَنه دَعَا عَلَيْهِ مِنْ أَجْلِ أَن يَعْرِفَ هَذَا الْمُفْتَخِرَ بِهِ وَيَدْعُو الْإِعْجَابَ بِالْمَالِ، وَهَذَا مِنْ مَصْلِحَتِهِ. فَكَأَنَّهُ دَعَا أَن يُؤْتِيَهُ اللهُ مَا يَسْتَأْثِرُ بِهِ عَلَيْهِ، وَأَن يَتَلَفَ هَذِهِ الْجَنَّةَ حَتَّى يَعْرِفَ هَذَا الَّذِي افْتَخَرَ بِجَنَّتِهِ وَعِزَّةِ نَفْسِهِ أَن الأَمْرُ أَمْرُ اللهِ، فَكَأَنَّهُ دَعَا عَلَيْهِ بِمَا يَضُرُّهُ لِمَصْلِحَةٍ هِيَ أَعْظَمُ. فَكُونَ الْإِنْسَانَ يَعْرِفُ نَفْسَهُ وَيَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِ خَيْرَ لَهُ مِنْ أَن يَفْخَرَ بِمَالِهِ وَيَعْتَرِ بِهِ، هَذَا إِذَا جَعَلْنَا عَسَى لِلتَّرْجِي «^(١)».

ويوضح - رحمه الله - معنى (عسى) في شاهد آخر، قائلاً: قوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]؛: «(عسى) تأتي لأربعة معانٍ: للرجاء؛ وللإشفاق؛ وللتوقع؛ وللتعليل؛ والظاهر أنها هنا للتوقع، أو للترجية - لا الترجي -؛ فإن الله وَعَجَّلَ لا يَتَرَجَى؛ كل شيء عنده هين؛ لكن الترجية بمعنى: أنه يريد من المخاطب أن يرجو هذا؛ أي افعلوا ما أمركم به عسى أن يكون خيراً»^(٢).

ومن خلال الشاهد السابق، وبعد البحث - حسب اطلاعي - فإني لم أجد من استخدم هذا الإطلاق - الترجية - قبل الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -.

ويذكر - رحمه الله - القاعدة في (لعل)، في قوله تعالى: ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾ [غافر: ٣٦]، يقول: «(لعل) هنا للتعليل، وهي تأتي للتعليل وللترجي وللإشفاق؛ ومن مجيئها للتعليل هذه الآية، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ٢]، هذه للتعليل، فكلما جاءت (لعل) في القرآن في حق الله وَعَجَّلَ لا يَتَرَجَى؛ إذ إن كل شيء عليه هين، وتأتي للإشفاق مثل قولك: (لعل الحبيب هالك)، يعني: أخشى أن يكون هالكاً، وتأتي للترجي، مثل: (حضرت إلى الدرس فلعلي أفهم) فإن قلت: لعلي أفهم صارت للتعليل. وإن قلت: فلعلي: صارت للترجي، وتكون أيضاً للتوقع، كقولك لشخص: (لعلك فاهم)؟ هذه المعاني التي تأتي في الحروف والأسماء والأفعال فإذا كانت متعددة فالذي يعينها السياق وقرائن الأقوال»^(٣).

(١) السابق: ٧٣-٧٤.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٤٨-٤٩، وينظر: شرح صحيح البخاري: ٢ / ٢٢٨.

(٣) تفسير سورة غافر، آية: ٣٦، وينظر: شرح رياض الصالحين: ٥ / ١٦٣.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي﴾ [عبس: ٣]، «أي: أي شيء يدريك أن يتركى هذا الرجل ويقوى إيمانه. (لعله) أي: لعل ابن مكتوم ﴿يَزَكِّي﴾ أي يتطهر من الذنوب والأخلاق التي لا تليق بأمثاله، فإذا كان هذا هو المرجو منه فإنه أحق أن يلتفت إليه»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦]، قال - رحمه الله -: «لعل هنا للتعليل: لأجل أن تشكروا الله وَعَلَىٰ على نعمته، ولا يمكن أن تأتي (لعل) في كلام الله المضاف إليه للترجي؛ لأن الرجاء طلب ما في حصوله عُسرٌ ومشقة فكلما وجدت (لعل) في كتاب الله فهي للتعليل، أو التوقع حسب السياق»^(٢).

(١) تفسير جزء عم: ٦٠.

(٢) شرح صحيح البخاري: ١ / ٤٣٤.

٢) التقديم والتأخير:

التقديم من (قدم) أي وضعه أمام غيره، والتأخير نقيض ذلك^(١). قال سيبويه (١٨٠هـ)، وهو يذكر الفاعل والمفعول: «كأنهم يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم بشأنه أعنى، وإن كانا جميعاً يُهماثهم ويعنياهم»^(٢). وذكر الزركشي (٧٩٤هـ) أن التقديم والتأخير هو: «أحد أساليب البلاغة، فإنهم أتوا به دلالة على تمكنهم في الفصاحة وملكتهم في الكلام وانقياده لهم، وله في القلوب أحسن موقع وأعذب مذاق»^(٣).

ويقف عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) مشيداً بهذا الفن - التقديم والتأخير - قائلاً: «هو باب كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتنُّ لك عن بدیعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قدّم فيه شيء، وحوّل اللفظ عن مكان إلى مكان»^(٤).

وبذلك يتضح فضل التقديم والتأخير من خلال كلام أهل البلاغة؛ إذ هو من دقائقها وكنوزها.

في حين أن ابن عثيمين - رحمه الله - يقف على نصوص القرآن الكريم مشيراً إلى أن الأصل في الكلام أن يراعى نظمه حسب وروده؛ فيكون الاعتبار للمتقدم، ومن ذلك ما جاء في شرحه لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، فقال: «قوله ﷺ: ((أبدأ بما بدأ الله به))^(٥)؛ لأن الله بدأ بالصفاء، فقال: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ﴾ [البقرة: ١٥٨]، وفيه إشارة إلى أن الله إذا بدأ بشيء

(١) اللسان: (قدم) و(أخر).

(٢) الكتاب: ١ / ١٥.

(٣) البرهان: ٣ / ٢٣٣.

(٤) دلائل الإعجاز: ١٠٦.

(٥) أخرجه: مسلم: ٢ / ٨٨٦، (١٢١٨).

كان دليلاً على أنه مُقَدَّم إلا بدليل»^(١).

ويقول: «التقديم والتأخير - من حيث الكلمات - ليست هذه الكلمة بأولى بالتقديم من هذه الكلمة، هذا من حيث الكلمات نفسها، لكن من حيث التركيب لا شك أن بعضها أولى بالتقديم...»^(٢).

وفي موضع آخر يقول: «تقديم الشيء يدل على الترتيب في الأصل، ولهذا لما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَابِرِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، قال النبي ﷺ: ((أبدأ بما بدأ الله به))^(٣)، وكذلك قال الفقهاء في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾ [التوبة: ٦٠]، قالوا: يُبدأ بالفقراء؛ لأنهم أشد حاجة، فعليه نقول: إن الله وإن ذكر هذه المراتب الثلاث بالواو، فإن المعنى يقتضي الترتيب؛ لأن الواو لا تمنع الترتيب، كما أنها لا تستلزمه»^(٤).

وقال - رحمه الله -: «إن الفقراء أشد حاجة من المساكين؛ لأن الله بدأ بهم، وإنما يُبدأ بالأهم فالأهم»^(٥).

كذلك يذكر الشيخ - رحمه الله - أن تقديم المهاجرين على الأنصار في قوله تعالى: ﴿وَالسَّبِيحُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [التوبة: ١٠٠]، من العناية في تدبر القرآن بتقديم ما قدم، وتأخير ما أخر: «وبذلك نعرف أن المهاجرين أفضل من الأنصار...؛ لأن الله قَدَّمهم، ولأن المهاجرين ﷺ جمعوا بين الهجرة والنصرة، فهم نصرُوا النبي ﷺ وهاجروا من ديارهم إلى رسول الله ﷺ»^(٦).

ويقول - رحمه الله - عن آية الوضوء: «إن الله تعالى أدخل الممسوح بين المغسولات، والممسوح هو الرأس والطريقة في البلاغة أن تذكر الأشياء المتجانسة بعضها إلى بعض، فلما

(١) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٨ / ١٨٩، وينظر: ١ / ٢٦١-٣٢٢.

(٢) شرح دروس البلاغة: ٥٩.

(٣) أخرجه: مسلم: ٢ / ٨٨٦، (١٢١٨).

(٤) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ١٢ / ٤٤٤.

(٥) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ١ / ٣٢٢.

(٦) السابق: ١ / ٣٢٣.

فُرق بين المغسولات بإدخال عضو مسموح عُلم أن الترتيب واجب، وإلا لكان مخالفاً لمقتضى البلاغة، وهذا دليلٌ من حيث المعنى والسياق؛ إذن الترتيب واجبٌ في الوضوء»^(١).

وقد سئل الشيخ - رحمه الله -: عن حكم الترتيب بين أعضاء الوضوء؟

فأجاب بقوله: «الترتيب من فروض الوضوء. قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦]، ووجه الدلالة من الآية:

أولاً: إدخال المسموح بين المغسولات، وهذا خروج عن مقتضى البلاغة، والقرآن أبلغ ما يكون من الكلام، ولا نعلم لهذا الخروج عن قاعدة البلاغة فائدة إلا الترتيب»^(٢).

ومما سبق يتضح لنا من كلام الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - أن الترتيب من مقتضى البلاغة؛ فما كان مقدماً فهو دليل على أهميته والعناية به، وهذا ما قاله البلاغيون وما وجدته في كتاب سيبويه، وذكرته آنفاً.

وقد أشار الشيخ - رحمه الله - إلى الأغراض التي يخرج إليها التقديم والتأخير؛ عند وقوفه على الآيات الكريمة، وتحدث عن دواعيها موضحاً ذلك بالأمثلة في شرحه لدروس البلاغة^(٣). فتارة يكون لغرض واحد وتارة يكون لعدة أغراض؛ ومن تلك الدواعي والأغراض التي يقع التقديم والتأخير من أجلها، ما يأتي:

أولاً: التقديم للعلية:

ومن فوائد الآية ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]: «تقدم ما يفيد العلية؛ لقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، المسؤول عنه القتال في الشهر الحرام؛ لكنه قدم الشهر الحرام؛ لأنه العلة في تحريم القتال؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا نَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾

(١) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ١ / ٢٦١، وينظر: شرح صحيح البخاري: ١ / ٢٧٤.

(٢) مجموع الفتاوى: ١١ / ١٤٢.

(٣) ينظر: شرح دروس البلاغة: ٥٩-٦١.

[البقرة: ٢٢٢]؛ فقدم العلة على الحكم لتنفر النفوس من الفعل قبل الحكم به؛ فيقع الحكم وقد تهيأت النفوس للاستعداد له، وقبوله»^(١).

ثانياً: لإفادة الحصر:

وإفادة الحصر من الأغراض التي وقف الشيخ -رحمه الله- عندها في كثير من الشواهد القرآنية، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، يقول -رحمه الله-: «﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ أي: كافيي، والحسب: الكفاية، وحسبي: مبتدأ، ولفظ الجلالة خبر، وهذا أبلغ.

وقيل العكس، والراجح الأول؛ لوجهين:

الأول: أن الأصل عدم التقديم والتأخير.

الثاني: أن قولك: حسبي الله فيه حصر الحسب في الله، أي حسبي الله لا غيره؛ فهو كقولك: لا حسب لي إلا الله، بخلاف قولك: الله حسبي؛ فليس فيه الحصر المذكور؛ فلا يدل على حصر الحسب في الله»^(٢). وبذلك نعلم أن الأصل في الكلام هو عدم التقديم والتأخير وأنه أفاد الحصر؛ وهو الغرض الذي من أجله بقي الكلام على ترتيبه.

ومن ذلك أيضاً تقديم المفعول به في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ﴾ [الزمر: ١٤]، «فاسم الجلالة مفعول به لأعبد، وقدم المفعول به للحصر؛ يعني لا أعبد غيره، ونظيره من حيث التركيب، قوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فقدم المفعول به هنا ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ﴾... لإفادة الحصر ثم أكد هذا بقوله: ﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، يعني لا أعبد غير الله، وفي عبادتي له أيضاً أكون مخلصاً له لا يشوب عبادتي إياه شيء من الشرك»^(٣). فهنا أفاد التقديم في الآية الكريمة حصر العبادة لله وحده دون غيره.

وكما في تقديم الخبر في قوله تعالى: ﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزمر: ٤٤]، إفادة الحصر، حيث ذكر الشيخ -رحمه الله- أن: «هذه الجملة فيها حصر وهو

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٥٨.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: ١ / ١٦٧.

(٣) تفسير سورة الزمر، آية: ١٤.

تقديم ما حقه التأخير، فهنا قدم الخبر: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يعني: لا غيره...»^(١).

ثالثاً: لبيان أهمية المقدم وعظم أمره:

ويذكر - رحمه الله - أهمية الخبر في الآية الكريمة والتأكيد لعظم أمره، لذا قُدم على المبتدأ: هذه الصفة: «وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ» [النور: ١١]، أتى بالجملة على هذه الصفة للمبالغة، لم يقل: (لمن تولى كبره منهم له عذاب عظيم) بل قال: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ جعلها في الحقيقة جملتين في جملة؛ لأن (الذي) مبتدأ، و(له) خبر مقدم و(عذاب عظيم) مبتدأ ثانٍ، فكأن الجملة صارت جملتين لبيان الأهمية والتأكيد، والإشارة إلى أن توليه لهذا الشيء أمر عظيم»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّى مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥]، قال - رحمه الله - «سلام هي: مبتدأ وخبر، الخبر مقدم يعني: هي سلام، ففيها السلامة من كل شر... وعلى هذا فينبغي أن نعظم هذه الليلة، وأن نعرف قدرها»^(٣).

رابعاً: مراعاة الفاصلة:

فتقديم الجار والمجرور في قوله: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: ٤٢]، «الجار والمجرور متعلق بـ(تكذبون) ولكنه قُدم للحصر أو للفواصل؟ للفواصل لا شك هذا من جهة، وللحصر»^(٤). فالتقديم - أيضاً - يكون لمراعاة الفواصل - كما في الشاهد السابق - وهو غرض من أغراض التقديم والتأخير.

خامساً: لشدة الحكم ومراعاة اللفظ:

ويظهر الغرض - رحمه الله - في تقديم المفعول به في الجملة الأولى وتأخيره في الجملة الثانية كما في قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [الأحزاب: ٢٦]، وتأخيره فيما بعدها: ﴿وَتَأْسِرُونَ﴾

(١) السابق، آية: ٤٤.

(٢) تفسير سورة النور، آية: ١١.

(٣) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٧ / ٥٤٧ - ٥٤٨.

(٤) تفسير سورة سبأ: شريط: ١٠، الوجه الأول.

فَرِيقًا ﴿ [الأحزاب: ٢٦]، قائلاً: «قُدِّم المفعول في الحكم لأنه أشد، والثاني دون ذلك؛ لأن الأسير قد يُمنُّ بإطلاقه هذا مع مراعاة اللفظ، لذا قُدِّم المفعول»^(١).

سادساً: للاستبشار والتبرك بلفظ الجلالة:

ويقف في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، على الأمور التي لأجلها جاء التقديم والتأخير في هذه الآية، وما قبلها، وقد برع - رحمه الله - في تبيانه وتوضيحه؛ فيقول: «إذا تأملت هذه الجملة، والتي قبلها تجد فرقاً بين التعبيرين في الترتيب: ففي الجملة الأولى قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ٢٥٧]، لأمور ثلاثة؛ أحدها: أن هذا الاسم الكريم إذا ورد على القلب أولاً استبشر به؛ ثانيًا: التبرك بتقديم ذكر اسم الله عَلَيْهِ؛ ثالثًا: إظهار المنة على هؤلاء بأن الله هو الذي امتن عليهم أولاً، فأخرجهم من الظلمات إلى النور؛ أما الجملة الثانية: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولِيَاءُ لَهُمُ الطَّغُوتُ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، ولو كانت الجملة على سياق الأولى لقال: (والطاغوت أولياء الذين كفروا)؛ ومن الحكمة في ذلك: أولاً: ألا يكون الطاغوت في مقابلة اسم الله؛ ثانيًا: أن الطاغوت أهون، وأحق من أن يُبدأ به، ويُقدِّم؛ ثالثًا: أن البداءة بقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أسرع إلى ذمهم مما لو تأخر ذكره»^(٢).

سابعاً: لشدة التحذير والتنبيه:

ففي قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، يؤكد الشيخ - رحمه الله - على أن التقديم في الآية إنما جاء للحصر الإضافي في حق الله عَلَيْهِ، فيقول: «وقدَّم ﴿تَعْمَلُونَ﴾، على متعلِّقها لقوة التحذير، وشدته؛ فكأنه حصر علمه فيما نعمل؛ فيكون هذا أشد في بيان إحاطته بما نعمل؛ فيتضمن قوة التحذير؛ وليس مقتضاه حصر العلم على ما نعمل فقط»^(٣).
ويبين - رحمه الله - الفائدة من التقديم في هذه الآية، قائلاً: «إذا قال قائل: ما فائدة التقديم

(١) تفسير سورة الأحزاب، آية: ٢٦.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣ / ١٠١.

(٣) السابق: ٣ / ٤٢٧.

هنا؟

فالجواب: الفائدة شدة التحذير، والتنبيه، كأنه يقول: لو لم يعلم شيئاً - وحاشاه من ذلك - لكان عالماً بعملنا؛ فمن قوة التحذير والإنذار جاء الكلام على وجه الحصر الإضائي^(١). وهكذا فالشيخ - رحمه الله - يوضح لنا أن الأصل في الكلام أن يُراعى نظمه حسب وروده، وبقاؤه على أصل ترتيبه أولى؛ وإنما يقدم لأهميته وللعناية به - كما ورد ذلك عند البلاغيين^(٢)، وكذلك تنوع الأغراض التي لأجلها جاء التقديم والتأخير؛ فالتقديم والتأخير في أجزاء الكلام لا يأتي اعتباطاً، وإنما يكون لأغراض بلاغية مقصودة، وهو ما وقف عليه الشيخ - رحمه الله - في الشواهد السابقة تارة مشيراً لها، وتارة مفصلاً الحديث عنها.

(١) السابق: ٣ / ٤٣١ - ٤٣٢.

(٢) ينظر: الكتاب: ١ / ٣٤، مفتاح العلوم: ٢٩١.

٣) الذكر والحذف:

الحذف والذكر من المباحث التي عُني بها علماء البلاغة، وكانت عناية المتقدمين منهم أخصّ بإبراز الحذف، أما الذكر فلأنه الأصل في الكلام، وأكثر من عني به هم المتأخرون. يقول الجرجاني مشيداً بالحذف، ومبيناً مزاياه وأسراره: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجذك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بياناً إذا لم تُبن»^(١). ومن المعلوم أن للحذف أغراضه كما أن للذكر أغراضه التي لا يغني الحذف غناءه فيها، والبلاغة مراعاة المقامات والأحوال.

وقد يذكر المسند إليه في الكلام وهو الأصل ويحذف المسند، وقد يحذف المسند إليه، ويذكر المسند ولا يعدل إلى حذف أحدهما إلا بقرائن، ولكل منهما أغراض ودواعٍ ترجح ذكرهما، وقد يحذف المفعول به.

وقد عرض الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - إلى هذا الفن أثناء وقوفه على الآيات الكريمة؛ ويبدو فيما كتبه الشيخ أنه انحاز للحذف على حساب الذكر لكون «الحذف خلاف الأصل»^(٢)، وقد كانت للشيخ - رحمه الله - وقفات في إبراز أسرار هذا الفن، كما يُلاحظ عدم ربط الذكر والحذف بالمسند والمسند إليه؛ غير أنه يشير إلى مواطن الذكر والحذف غالباً، والغرض منه أثناء تناوله للشاهد. وفي شرحه لدروس البلاغة يتناول دواعي الذكر والحذف وفق ما تناوله مؤلف الكتاب الذي يشرحه^(٣).

ويذكر - رحمه الله - أن الأصل فيما يُراد إفهامه: «الذِّكْر؛ لأن المحذوف الأصل فيه عدم العلم فالأصل الذِّكْر، وإذا كان ذكر الشيء لا فائدة منه فالأصل الحذف، ولا يذكر إلا لفائدة. يعني: إذا كان معلوماً من السياق فالأصل حذفه ولا يُذكر إلا لفائدة؛ وذلك لأن ذكره مع

(١) دلائل الإعجاز: ١٤٦.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ١٧٦/٣.

(٣) شرح دروس البلاغة: ٥٣-٥٥.

العلم به تطويل بلا فائدة»^(١).

أولاً: أغراض الذكر:

وقد كانت الأغراض عامة لا تنطلق من أصول المسند إليه أو المسند، بل يذكر -رحمه الله- الأغراض التي لأجلها جاء الذكر أيًا كان المذكور، ومن أغراض الذكر:

١- الأهمية:

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِّنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩]، فلاهمية التجارة وهي التي يقع فيها المشاحة ذكرت دون غيرها من المعاملات، فيورد الإشكال -رحمه الله- قائلاً: «في مدلول الآية إشكال: وهو أنه إذا كانت المعاملات بغير قصد التجارة أكثر من التجارة، فلماذا لم يذكرها؟

فقيل: إنها لم تذكر لأن الغالب في تعامل الناس هو التجارة، وهي التي يقع فيها المشاحة، وأما غيرها: فالإهداء يصدر عن طيب نفس من المهدي، وكذلك العارية، وكذلك الرهن، ومن اشترى للحاجة فالغالب أنه لا يحصل فيه تشاحن؛ لأن الإنسان يقصد به دفع الحاجة لا حصول الربح، فلهذا ذكرت التجارة، وإلا فمن المعلوم أن العقود التي تقع عن تراضٍ أكثر من عقود التجارة»^(٢).

٢- العموم:

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [الغاشية: ١٧] ولم يذكر سواها من الحيوان كالغنم والبقر والظبي وغيرها؛ لأنها أعم الحيوانات نفعًا وأكثرها مصلحة للعباد»^(٣).

٣- الظهور والبيان:

قال تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

(١) السابق: ٥٣.

(٢) تفسير سورة النساء: ١/ ٢٥٠-٢٥٣.

(٣) تفسير جزء عم: ١٨١.

الْأَخْرِ وَالْمَلَيْكَةِ وَالْكَتَبِ وَالْتَّيِّنِ وَعَاتَى الْمَالِ عَلَى حُبِّهِ ذَوَى الْقُرْبِ وَالْتَّمَى وَالْمَسْكِينِ
وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿البقرة: ١٧٧﴾
[١٧٧]: «وجاءت الآية بذكر المشرق والمغرب؛ لأن أظهر وأبين الجهات هي جهة المشرق
والمغرب»^(١).

٤- الفخر:

وقوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، فلما جرت العادة في
الجاهلية بفخر الناس بالبنين ذكروا دون البنات، يقول: «ذكر البنين دون البنات؛ لأنه جرت
العادة أنهم لا يفتخرون إلا بالبنين، والبنات في الجاهلية مهانات بأعظم المهانة»^(٢).

٥- العظم والتنوع:

قال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ۝٣١ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ [النبا: ٣١ - ٣٢]، ﴿حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾ هذا
نوع المفاز، ﴿حَدَائِقَ﴾ أي بساتين أشجارها عظيمة وكثيرة ومنوعة، ﴿وَأَعْنَابًا﴾ الأعناب جمع
عنب، وهي من جملة الحدائق لكنه خصها بالذكر^(٣).

ثانيا: الحذف:

وفي الحذف اهتم الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- بتحديد موطن الحذف - غالبًا- في
الآيات، وإبراز المضمرة فيه مع العناية بسر حذفه والغرض من ذلك، ويتضح ذلك من خلال
الشواهد التي وقف عليها، ومن تلك الأغراض:

١- إفادة العموم:

عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦]،

(١) السابق: ٢ / ٢٧٤.

(٢) تفسير سورة الكهف: ٧٨.

(٣) تفسير جزء عم: ٣٤.

ذكر - رحمه الله - أن من فوائد الآية: «بلاغة القرآن؛ لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾؛ فحذف المفعول للعموم ليشمل من لم يجد الهدى، أو ثمنه؛ فاستفيد زيادة المعنى مع اختصار اللفظ»^(١).
وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]، من فوائد الآية: «عموم علم الله عَلَيْكَ؛ لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾؛ فحذف المفعول يفيد العموم، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦ - ٨]: كلها محذوفة المفاعيل: آواك، وآوى بك أيضًا؛ وأغناك، وأغنى بك؛ وهداك، وهدى بك»^(٢).

وقال تعالى: ﴿عَلَى الْأَرْأْيِكِ يَنْظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٣]، قال - رحمه الله -: «فإن المفعول به هنا محذوف، ولم يذكر ماذا ينظرون، ومن القواعد المقررة في الأصول والبلاغة: أن حذف المعمول يفيد العموم، أي: ينظرون إلى كل ما لهم من النعيم، ومنه: النظر إلى وجه الله عَلَيْكَ»^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، قال: «يمكن أن تُقَدَّرَ (في) وتُقَدَّرَ (عن)؛ أي: ترعبون في نكاحهن، وهذا من بلاغة القرآن وإيجازه؛ لأنه قد يكون راعبًا عنها لكنه لا يُريد أن تكون لغيره، وقد يكون راعبًا فيها فلا يُريد أن تكون لغيره، فتكون الآية شاملة للأمرين جميعًا»^(٤).

٢- العلم به:

قال تعالى: ﴿قَالُوا طَبَّرَكُم مَّعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ﴾ [يس: ١٩]، «ومن فوائد الآية: جواز حذف ما علم بالسياق، ولا يُعد نقصًا في الكلام وبلاغته؛ لأن جواب الشرط محذوف لدلالته

(١) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٤٠٩.

(٢) السابق: ٣ / ٤٧ - ٥٠.

(٣) شرح صحيح البخاري: ٢ / ٤٥٩.

(٤) تفسير سورة النساء: ٢ / ٧٠٦.

عليه، وربما يكون الحذف أبلغ»^(١) وجواب الشرط المحذوف، تقديره: تطيرتم وكفرتم^(٢).

وقال تعالى: ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا لَا يَخْفَى عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦٢]، أي لا يخففه الله ﷻ؛ وحذف الفاعل للعلم به»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٤]، من دواعي الحذف العلم به، قال -رحمه الله-: «قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا﴾ فعل أمر حذف مفعوله للعلم به؛ والتقدير: قاتلوا في سبيل الله الكفار الذين يقاتلونكم، كما في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٠]»^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِّن رَّأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٌ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦]، «وهذه الجملة قد حذف منها ما يدل عليه السياق؛ والتقدير: فمن كان منكم مريضاً، أو به أذى من رأسه، فحلق رأسه فعليه فدية»^(٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]، يقول: «الحذف هنا من البلاغة؛ حيث حذف جواب الشرط لدلالة ما قبله عليه، (لو) هنا شرطية، وفعل الشرط فيها، قوله: (كنتم)، ولم نجد جواب الشرط في (لو)، فقليل: إن جواب الشرط محذوف يدل عليه ما قبله، والتقدير: (ولو كنتم في بروج مشيدة لأدرككم الموت)، وقيل: إنها في مثل هذا السياق لا تحتاج إلى جواب، وهذا اختيار ابن القيم -رحمه الله- في كتابه (أقسام القرآن)، بل لو جيء بالجواب لكان الكلام ركيكاً ليس ببليغ، وهذا الحذف يوجد في القرآن كثيراً، فتجد جملة شرطية عائدة على ما سبق؛ أي: إن جوابها يفهم مما سبق، وحينئذ نقول: لا تحتاج إلى جواب، وتقدير الجواب يجعل الكلام ركيكاً». ثم يقول - رحمه الله - من فوائد هذه الآية: «جواز حذف ما

(١) تفسير سورة يس: ٧٠-٧١.

(٢) ينظر: السابق: ٦٧.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٢٠٤.

(٤) السابق: ٣ / ١٩٨-١٩٩.

(٥) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٣٩٣.

يعلم ولا يُعد ذلك خللاً في الكلام، لقوله: ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]»^(١).
والشيخ -رحمه الله- فيما سبق لم يخرج عن الأغراض التي ذكرها علماء البلاغة قبله.

(١) تفسير سورة النساء: ٢ / ٥٦٠، وينظر: شرح صحيح البخاري في حذف ما علم من السياق: ١ / ٣٨٩.

٤) خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

الأصل في الكلام أن يكون على مقتضى الظاهر، ولكنه قد يخرج على خلاف ذلك لدواعٍ من الدواعي البلاغية ذات التأثير في النفوس والأفكار، ولهذا الخروج طرق مختلفة منها: «الالتفات، ووضع المضمرة موضع المظهر، ووضع المظهر موضع المضمرة، والقلب، والأسلوب الحكيم، والتغليب، وغيرها»^(١).

أولاً: الالتفات:

جاء في اللسان: «لفت وجهه عن القوم: صرفه، والتفت التفاتاً؛ والتفت أكثر منه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه صرف وجهه إليه، ويقال: لفتُ فلاناً عن رأيه؛ أي: صرفته عنه، ومنه الالتفات»^(٢).

والمشهور من تعريفه أنه: «التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها»^(٣). والمقصود بالطرق الثلاثة عند القزويني، هي: (التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة).

والالتفات من الأساليب الأصلية العريقة في اللغة العربية، وهو صورة لخروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، وهي من الشجاعة الأدبية التي يستطيع فيها البليغ أن يفاجئ المتلقي بالتنقل بين طرق الكلام الثلاثة: (التكلم - الخطاب - والغيبة)؛ لأغراض بلاغية يريد التنبيه عليها بذلك؛ لذا جعل بعض البلاغيين الالتفات من (شجاعة العربية)^(٤)، «وإنما سُمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام، وذلك أن الرجل الشجاع يركب ما لا يستطيعه غيره ويتورّد ما لا يتورّده سواه...»^(٥).

وتناول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - الالتفات بتعريفه وصوره، وفوائده في تفسيره للقرآن

(١) ينظر: شرح عقود الجمان: ٢٧، وحلية اللب: ٧٠.

(٢) اللسان: (لفت).

(٣) الإيضاح: ٢ / ٨٦، شرح: د. محمد خفاجي.

(٤) ينظر: المثل السائر: ٢ / ٤.

(٥) المثل السائر: ٢ / ١٨١.

الكريم، وأولاه عناية خاصة حتى جعله أحد مواضيع كتابه (أصول في التفسير)^(١). ويرى أن يسمى انتقالاً بدلاً من الالتفات؛ قائلاً: «من البلاغيين من يُسمونه التفاتاً، ولو قيل: إنه انتقال لكان أحسن»^(٢).

ويعرف - رحمه الله - الالتفات بقوله: «تحويل أسلوب الكلام من وجه إلى آخر»^(٣).

وقد قسم فوائد الالتفات إلى قسمين:

القسم الأول: الفوائد العامة، وذكر منها:

- ١- حمل المخاطب على الانتباه لتغير وجه الأسلوب عليه.
 - ٢- حمله على التفكير في المعنى، لأن تغيير وجه الأسلوب، يؤدي إلى التفكير في السبب.
 - ٣- دفع السامة والملل عنه، لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد، يؤدي إلى الملل غالباً.
- وهذه الفوائد عامة للالتفات في جميع صورته، أما الفوائد الخاصة فتتبع في كل صورة، حسب ما يقتضيه المقام»^(٤).

وهذه الفوائد توافق ما ذكره الزركشي والسيوطي^(٥).

ويوضح الشيخ - رحمه الله - في موضع آخر معنى الالتفات وفوائده، فيقول: «والالتفات معناه: أن ينتقل الإنسان في أسلوبه من خطاب إلى غيبة أو من غيبة إلى خطاب، أو من تكلم إلى غيبة، المهم أن تختلف الضمائر، وفائدة ذلك الالتفات: أنه يشد ذهن السامع، وبينما الكلام على نسق واحد إذا به يختلف، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [المائدة: ١٢]، وبعده: ﴿وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]، ولم يقل: وبعث. وانظر إلى الفاتحة التي نقرأها كل يوم في كل ركعة من صلواتنا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ] ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٢ - ٤]، بعده: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

(١) ينظر: أصول في التفسير: ٦٩.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: ١ / ٤٥٢.

(٣) تفسير سورة البقرة: ١ / ٦٩، أصول في التفسير: ٦٩-٧٠.

(٤) السابق، وتفسير سورة النور، آية: ١٢.

(٥) ينظر: البرهان: ٣ / ٣٧٤، والإتقان: ٢ / ٩٠٢.

نَسْتَعِينُ ﴿ [الفاحة: ٥]، ولم يقل: إياه نعبد، وسياق الآيات السابقة للغائب: (الحمد لله...)
وليست للمخاطب، (الحمد لك يا رب). فالمهم أن الالتفات أسلوب من أساليب اللغة العربية
وفائدته: شد ذهن السامع لما يلقي إليه من الكلام»^(١).

ويشير-رحمه الله- أن من حكمة القرآن الالتفات، فقد فسّر قوله تعالى: ﴿وَالْقُرْآنَ
الْحَكِيمَ﴾ [يس: ٢]، بذكر صفات القرآن، ومنها أن القرآن: «حكيم في أسلوبه يشد في
مواضع الشدة، ويلين في مواضع اللين، ويأتي بأساليب غريبة ما كانت معروفة في أساليب
العرب، فبينما الآية سياقها خبري إذا بها تنتقل إلى سياق إنشائي من استفهام، أو نهي، أو
أمر، أو ما أشبه ذلك، وكل هذا من الحكمة، وبينما القرآن يتحدث بصيغة الغائب إذا به
ينتقل إلى صيغة الحاضر، فينتقل من أسلوب إلى آخر، وهو ما يسمى بالالتفات، وأنواع هذا
كثيرة في القرآن»^(٢).

وصور الالتفات التي تحدث عنها الشيخ -رحمه الله- هي:

١- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب:

يرى الشيخ -رحمه الله- أن قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاحة: ٥]، فيه
«دليل على أنه ينبغي للمتكلم أن يأتي بالأشياء التي تثير فطنة المخاطب وتنبهه، وذلك لأن
الآيات الأولى الثلاث كلها بصيغة الغائب، أو كلها في سياق الغيبة، حيث قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ ١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ [الفاحة: ١ - ٤]، ولكن
في الآية الرابعة قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ التفت من الغيبة إلى الخطاب، والالتفات بلا
شك يوجب استيقاظ المخاطب؛ لأن الكلام إذا كان على نسق واحد انساب الإنسان وغفل،
ولم يحصل له انتباه، فإذا تغير الأسلوب، فإن الذهن ينصدم بهذا التغير، ثم ينتبه فكأنه صوت
منبه ينبه الإنسان على ما سيخاطب به، ولهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾، ولم يقل: (إياه نعبد) وفي
هذه الآية دليل مبني على الالتفات الذي ذكرناه وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وهو

(١) لقاءات الباب المفتوح: ٦.

(٢) تفسير سورة يس: ١١.

دليل على أهمية العبادة والاستعانة وإخلاصهما لله، كأن هذا الذي أثبت عليه - وهو الله ﷻ - فيما سبق من الآيات الثلاث، كأنه - لقوة إيمانك به - أمامك، تُخاطبه»^(١).

ومما فيه انتقال من الغيبة إلى الخطاب أيضاً، الآيات التي نزلت على رسول الله ﷺ معاتباً فيها الربُّ ﷻ نبيّه ﷺ وهو أفضل الخلق حين حصل له ما حصل مع عبد الله بن أم مكتوم ﷺ مع أن ما حصل للرسول ﷺ اجتهادٌ منه، فقال الله تعالى في ذلك: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يُزَيِّجُ ۚ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۚ (٤) أَمَّا مَنْ أَسْتَعْتَى ۖ (٥) فَأَنَّ لَهُ تَصَدَّى ۖ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَيِّجَ ۚ (٧) وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۖ (٨) وَهُوَ يَخْتَشَى ۖ (٩) فَأَنَّ عَنْهُ نُلَهَّى ۖ﴾ [عبس: ١ - ١٠]، «كلمات عظيمة لكنها مع ذلك خففها الله ﷻ بأن بدأها بضمير الغيبة فقال: ﴿عَبَسَ﴾ كأنما يتحدث عن شخص آخر لا عن الرسول ﷺ، ولم يقل: عبست وتوليت؛ لأنه كما مر علينا كثيراً بأن المخاطب بصيغة الخطاب أعظم وأشد من التحدث بضمير الغيبة»^(٢).

٢- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩]: «هذه الجملة موقعها مما قبلها لتأكيد وقوع ذلك اليوم. ووجه ذلك: أن الله وعد به وهو لا يخلف الميعاد، أي: لا يخلف ما وعد به ﷻ من وقوع هذا اليوم، وهذه الجملة أيضاً إذا تأملتها وجدت أنها تخالف ما قبلها في السياق؛ لأن ما قبلها السياق فيه للمخاطب قال تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ إِنَّكَ﴾، وأما السياق هنا فهو للغائب: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ﴾، ولم يقل: إنك لا تخلف الميعاد»^(٣)، ثم يأتي - رحمه الله - بعدة تساؤلات قد تطرأ على ذهن القارئ ناصراً قوله بالأدلة ومرجحاً اختياره، يقول: «فهل هذا من باب الالتفات والكلام من متكلم واحد؟ أو هذا من باب الاستئناف وهو من الله لا من قول الراسخين في العلم؟ على قولين للمفسرين:

١- منهم من قال: إن قوله تعالى: ﴿لَا يُخَلِّفُ الْمِيعَادَ﴾ من كلام الله، وليس فيه التفات

(١) أحكام من القرآن الكريم: ٢٦.

(٢) تفسير سورة الصافات: ١٨٤، شرح صحيح البخاري: ٢ / ٦٢٢.

(٣) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٥٩-٦١.

على هذا التقدير.

٢- ومنهم من قال: إنه من كلام الراسخين في العلم، وعلى هذا التقدير يكون فيه التفات.

ولكل منهما مرجح، فمن رجَّح الأول، قال: إن الالتفات خروج بالكلام عن المؤلف، والأصل عدمه، وعليه فيكون الكلام من كلام الله. ومن قال: إنه من كلام الراسخين، وفيه التفات، قالوا: لأن الأصل أن الكلام من متكلم واحد، لا سيما وأن بعضه مرتبط ببعض ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾، ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ فهو مرتبط ببعضه ببعض، وهذا القول عند التأمل أرجح^(١). ثم يذكر فائدة الالتفات في هذه الآيات:

«أولاً: تنبيه المخاطب، لأنه إذا كان الكلام على نسق واحد بقي الإنسان منسجماً معه لا يتفطن، وتمر به الأشياء، فإذا اختلف أسلوب الكلام وتغيّر عليه الأسلوب فإنه حينئذ ينتبه. ثانياً: أما من حيث المعنى فلأن بجيئه بصيغة الغائب أبلغ في التعظيم، كأنّ الرب ﷻ الذي هو الله، وهو ملك عظيم ﷻ يتحدث عنه بصيغة الغائب تعظيماً وتفخيماً، كما يقول الملك الذي يعظم نفسه للجنود، إن الملك يأمركم بكذا وكذا، أو يقول القائد: إن القائد يأمركم بكذا وكذا، بدل أن يقول: إني آمركم»^(٢).

٣- الالتفات من الغيبة إلى التكلم:

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلُّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]؛ «هنا التفات من الغيبة إلى التكلم؛ ومقتضى السياق لو كان على نهج واحد لقال: (لا يفرقون بين أحدٍ من رسله)؛ ولكنه تعالى قال: ﴿لَا نُفَرِّقُ﴾؛ وفائدة الالتفات هي التنبيه؛ لأن الكلام إذا كان على نسق واحد فإن الإنسان ينسجم معه، وربما يغيب فكره؛ وأما إذا جاء الالتفات فكأنه يقرع الذهن، يقول: انتبه! فالالتفات هنا من الغيبة إلى التكلم له فائدة

(١) السابق.

(٢) السابق.

زائدة على التنبيه - وهي أن يقول هؤلاء المؤمنون: ﴿لَا تُفَرِّقُ﴾ بقلوبنا، وألسنتنا ﴿بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾؛ فالكل عندنا حق»^(١).

٤- الالتفات من التكلم إلى الغيبة:

ومن أمثلته، قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، قال: «وفي هذه الآية التفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ...﴾، وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾؛ ولم يقل: (نلعنهم)؛ ولالتفات فائدتان: الأولى: تنبيه المخاطب؛ لأنه إذا تغير نسق الكلام أوجب أن ينتبه المخاطب لما حصل من التغيير.

والفائدة الثانية: تكون بحسب السياق: ففي هذه الآية: ﴿أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ الفائدة: التعظيم؛ لأن قوله: ﴿يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ﴾ أبلغ في التعظيم من (أولئك نلعنهم)؛ لأن المتكلم إذا تحدث عن نفسه بصيغة الغائب صار أشد هيبة، مثل قول الملك: إن الملك يأمركم بكذا، وكذا؛ وأمر الملك بكذا، وكذا، ويعني نفسه»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَعَذَّبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ [آل عمران: ٥٦ - ٥٧]، قال: «ومن فوائد الآية: التنوع في الأسلوب وهو الانتقال من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة: ﴿فَعَذَّبْنَاهُمْ﴾ وهنا قال: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ﴾ فهل هناك فرق من حيث المعنى؟

الجواب: نعم هناك فرق من حيث المعنى، أما اللفظ فظاهر، ففيه التفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة، لكن نريد أن نعرف الفرق في المعنى. الفرق في المعنى أن العذاب عقوبة

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٤٤٤ - ٤٤٦.

(٢) السابق: ٢ / ١٩٧، أصول في التفسير: ٦٩.

تستدعي سلطة وقهرا وعزة، فكان الأنسب التعبير بـ(أُعذَّب) الدالة على قوة السلطان... وهناك فرقٌ بين أن تخاطب الإنسان بالتعبير عن فعلك به بضمير التكلم، وأن تعبر بضمير الغيبة؛ لأن المواجهة أشد من الغيبة... فصار في تغيير الأسلوب في الآيتين فائدتان: لفظية ومعنوية، اللفظية هو الالتفات الذي يوجب الانتباه، والمعنوية هو إظهار السلطة والعظمة والعزة في باب التعذيب، وإظهار الفضل والإحسان للعالمين في باب المثوبة»^(١).

والشيخ -رحمه الله- لم يتعرض لصورتين من صور الالتفات؛ وهما:

١- الالتفات من التكلم إلى الخطاب. وهو يتفق مع المفسرين في أن هذه الصورة لا تصدر في حق الله ﷻ^(٢).

٢- الالتفات من الخطاب إلى التكلم. ولعدم وجود هذه الصورة في القرآن الكريم لم يتعرض -رحمه الله- لها، كما ذكره السيوطي، قائلاً: «الالتفات من الخطاب إلى التكلم لم يقع في القرآن»^(٣).

ومما يذكر من جهود الشيخ -رحمه الله- هنا أنه يتلمس السر في الانتقال من الخطاب بالثنوية إلى الخطاب بالجمع ومن خطاب بالجمع تارة، وتارة أخرى بالمفرد، وهذا النوع من الانتقال لا يسميه الجمهور التفاتاً، والذي يسميه بذلك هو السكاكي^(٤)، فمذهبه أن كل تغيير من صيغة إلى صيغة يسمى التفاتاً، أما الجمهور فإنهم يحصرون الالتفات في الصور الست المذكورة آنفاً فقط.

ويتناول الشيخ -رحمه الله- سر الانتقال من الجمع إلى الأفراد في قوله تعالى: ﴿إِنْ

تَمَسَّكُمُ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ [آل عمران: ١٢٠]: «الخطاب للمؤمنين، وهنا أتى بصيغة الجمع، وأتى

بصيغة المفرد في قوله: ﴿قُلْ مُؤْتُوا يَغِيظَكُمُ﴾ [آل عمران: ١١٩]، وسبق أن جاء بصيغة الجمع،

وهذا من التنفن في الخطاب، ومن فوائده الانتباه، لأن الإنسان إذا اختلف الأسلوب عنده

(١) تفسير سورة آل عمران: ٢/٣٤٨ - ٣٤٩.

(٢) ينظر: البرهان: ٣/٣١٥، الإتيان: ٢/٩٠٢.

(٣) الإتيان: ٢/٩٠٣.

(٤) مفتاح العلوم: ١١٨.

انتبه، بخلاف ما إذا كان الأسلوب على وتيرة واحدة»^(١).

ونخلص مما سبق:

أن الشيخ -رحمه الله- يفضل تسمية الالتفات بالانتقال؛ فقد انفرد بهذه التسمية، ولم يعرف عند البلاغيين بهذه التسمية، فقد عُرف بالالتفات وعرف بالصرف^(٢)، وكذلك بالاعتراض^(٣)، وحين يقف على شواهد فإنه يسميه وفق تسمية البلاغيين له (التفاتاً) عدا شواهد يسيره يشير لتسميته بالانتقال، كذلك أورد -رحمه الله- أنواعه وصوره وفوائده وأسراره، ولم يتعرض لصورتين من صورته، الأولى: الالتفات من التكلم إلى الخطاب فهي لا تصدر في حق الله ﷻ، والثانية: الالتفات من الخطاب إلى التكلم لعدم ورود هذه الصورة في القرآن، وهو في هذا الفن يتفق اتفاقاً تاماً مع علماء البلاغة من حيث مفهوم الالتفات وصوره وفوائده.

ثانياً: الأسلوب الحكيم:

وهو من صور خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر، ويُعرف بأنه: «تلقي المخاطب بغير ما يتقرب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهاً على أنه الأولى بحاله أو المهم له»^(٤).

وفي كلام الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- ما يصرح إلى معرفته به، وقد تعرض لاسمه الاصطلاحي وتعريفه؛ حين رد على من يقول: إن هناك أسلوباً حكيماً في قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ [البقرة: ١٨٩]، قال: «يعني: الحكمة فيها، بدليل الجواب: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ وأما ما ذكره أهل البلاغة من أنهم سألوا النبي ﷺ عن السبب في كون الهلال يبدو صغيراً ثم يكبر؛ فأجاب الله ﷻ ببيان الحكمة؛ وقالوا: إن هذا من أسلوب الحكيم أن يجاب السائل بغير ما يتوقع إشارة إلى أنه كان ينبغي أن يُسأل عن هذا؛ فالصواب أنهم لم يسألوا الرسول عن هذا؛ ولكن سألوه عن الحكمة من الأهلة، وأن الله ﷻ خلقها على هذا

(١) تفسير سورة آل عمران: ١٠٣ / ٢.

(٢) ينظر: البرهان في وجوه البيان لابن وهب: ١٥٢.

(٣) ينظر: حلية المحاضرة في صناعة الشعر لأبي علي الحاتمي: ١ / ١٥٧، العمدة: ٢ / ٤٥.

(٤) الإيضاح: ٢ / ٧٩، شرح: د. محمد خفاجي.

الوجه؛ والدليل: الجواب؛ لأن الأصل أن الجواب مطابق للسؤال إلا أن يثبت ذلك بنص صحيح^(١).

وذكر الشيخ -رحمه الله- العلة في ردّ الشاهد؛ فقال: «...القول بأن الصحابة سألوا النبي ﷺ عن أحجام الأهلة: لماذا تبدو صغيرة ثم كبيرة؟ هذا لا سند له، وإنما ينقله علماء البلاغة، وليس في الآية ما يدل عليه! الصحابة سألوا عن الأهلة: ما الحكمة من وجود الأهلة؟ فبين الله تعالى أنها مواقيت للناس والحج، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِئَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥] هذا هو الذي وقع السؤال عنه وهو مطابق تمامًا للجواب، لكنّ البلاغيين يقولون: هذا من باب الأسلوب الحكيم، كأن الله عدل عن إجابة سؤالهم إلى الأهم والأفصح، وبناءً على ذلك نقول: يجب على هذا الذي تكلم بهذا الكلام في حق الصحابة يجب عليه أن يثبت، أولاً: هل صحيح أنهم سألوا: لماذا يبدو الهلال صغيراً ثم يكبر، أم سألوا عن الحكمة من إيجاد هذه الأهلة؟ أما أن يهاجم الصحابة هذه المهاجمة دون أن ينظر إلى صحة القصة فلا شك أن هذا خطأ من الناحية العلمية والمنهجية، وإساءة إلى الصحابة ﷺ، والآية معناها: أنهم سألوا الرسول عن الحكمة في هذه الأهلة فأجيبوا ببيان الحكمة... غلط من الناحية المنهجية وخطأ من ناحية القدح في الصحابة، الصحابة ما سألوا هذا السؤال الذي قصد^(٢).

والشيخ أجاب عن كون هذه الآية قد تضمنت فنّاً من فنون البلاغة وهو الأسلوب الحكيم على ما سار عليه البلاغيون؛ فيجيب من وجهين:
الأول: في قول الشيخ - رحمه الله-: (لا سند له)؛ أي: ليس له سندٌ صحيح يعول عليه من وجود الأسلوب الحكيم في هذه الآية، والشيخ -رحمه الله- يشير إلى ضعف الإسناد الوارد في سبب نزول الآية، وهو ما جاء من طريق محمد بن مروان السدي،

(١) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٣٦٨.

(٢) لقاءات الباب المفتوح: ٧٣.

عن محمد بن السائب الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس به.
قال السيوطي: «وأوهى طريقه - أي ابن عباس - طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب»^(١).

وهو كما قال في «الكلبي والسدي متروكان متهمان بالكذب؛ ولذا جزم الحافظان ابن حجر والمناوي بوهاء سند الخبر.

وقد تعجب ابن حجر^(٢) من الكثير الذين يوردون هذا الخبر مع سقوطه، فقال: قد توارد من لا يد لهم في صناعة الحديث على الجزم بأن هذا كان سبب النزول مع وهاء السند فيه، ولا شعور عندهم بذلك، بل كاد يكون مقطوعاً به لكثرة من ينقله من المفسرين وغيرهم»^(٣).

والثاني: في تنزيه الصحابة ﷺ عما سألوا النبي ﷺ عنه؛ فهم سألوا عن الحكمة في إيجاد هذه الأهلة؛ لا عن حجمها في الصغر والكبر، وهو غلط من الناحية المنهجية وخطأ من ناحية القدح في الصحابة.

وعليه فإن الشيخ - رحمه الله - يرى أن الجواب مطابق للسؤال إلا أن يثبت ذلك بنص صحيح؛ وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين^(٤).

ويصرح الشيخ إلى هذا الفن البلاغي من خلال تفسيره للقرآن، ومن ذلك في قوله تعالى:
﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥]، يقول: «والسؤال هنا عن المنفق؛ لا على المنفق عليه؛ أي يسألونك ماذا ينفقون من أموالهم جنساً، وقدراً، وكيفاً؟ وقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا

(١) الإتيان: ٢ / ١٨٩.

(٢) العجاب في بيان الأسباب: ١ / ٤٥٥.

(٣) إصلاح الإيضاح للدكتور: عبد المحسن العسكر: ٤١.

(٤) ينظر: قول قتادة في جامع البيان: ٢ / ١٨٥.

أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ ﴿﴾؛ (ما) شرطية، فعل الشرط: (أنفقتم)؛ وجوابه؛ ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾؛ قد يبدو للإنسان في أول وهلة أن الله إنما أجابهم عن محل الإنفاق - لا عن (ماذا ينفقون)؛ لكن من تأمل الآية تبين له أن الله أجابهم عما ينفقون؛ وعما ينفقون فيه؛ لقوله تعالى: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾؛ ففي هذا بيان ما ينفقون؛ وفي قوله تعالى: ﴿فَلِلْوَالِدَيْنِ﴾ بيان ما ينفقون فيه»^(١).

ويشيد - رحمه الله - بهذا الأسلوب في فوائد الآية؛ قائلاً: «إن من حسن الإجابة أن يزيد المسؤول على ما يقتضيه السؤال إذا دعت الحاجة إليه؛ فإنهم سألوا عما ينفقون، وكان الجواب عما ينفقون، وفيما ينفقون؛ ونظير ذلك أن النبي ﷺ سئل عن الوضوء بماء البحر فقال: ((هو الطهور ماؤه الحل ميتته))»^(٢)»^(٣).

ولم أجد - في المطبوع من تفاسير الشيخ - رحمه الله - غير هذين الشاهدين، وبذلك تتضح معرفة الشيخ - رحمه الله - بهذا الفن^(٤)، معرّفًا له وموضحًا شاهده وفق قول أهل البلاغة.

ثالثاً: التغليب:

التغليب لغة: الترجيح، يقال: غلبه: أي قهره، وغلب على صاحبه: حكم له عليه بالعلبة، وتغلب على بلد كذا استولى عليه قهراً، وغلبته أنا عليه تغليباً^(٥). وهو كما عرفه الزركشي بقوله: «وحيقيقته إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل: ترجيح أحد

(١) السابق: ٣ / ٤٣.

(٢) أخرجه: النسائي في السنن الكبرى: ١ / ٧٥، (٥٨)، وأحمد في مسنده: ٢ / ٣٦١، (٨٧٢٠) والدارمي في سننه: ١ / ٢٠١، (٧٢٩). وأبو داود في سننه: ١ / ٢١، (٨٣)، وابن ماجه في سننه: ١ / ١٣٦، (٣٨٦)، وصححه: البخاري كما في العلل الكبير للترمذي: ١ / ١٣٦، ونقل الحافظ بن حجر في ترجمة المغيرة بن أبي بردة من: تهذيب التهذيب: ١٤ / ١٠٠، تصحيح هذا الحديث عن ابن خزيمة، وابن حبان، وابن المنذر، والخطابي، والطحاوي، وابن بنده، والحاكم، وابن حزم، والبيهقي، وعبد الحق الإشبيلي، وآخرين، وصححه أيضاً ابن عبد البر في التمهيد: ١٦ / ٢١٨.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٤٥-٤٦.

(٤) ينظر: شرح صحيح البخاري: ٣ / ٧٧.

(٥) اللسان: (غلب).

المغلوبين على الآخر أو إطلاق لفظه عليهما إجراء للمختلفين مجرى المتفقين»^(١).

وهو أنواع؛ لذا قال القزويني: «التغليب باب واسع يجري في فنون كثيرة»^(٢).

ومنه: «تغليب المذكر على المؤنث، وتغليب المتكلم على المخاطب، والمخاطب على الغائب، وتغليب العاقل على غيره، وتغليب المتصف بالشيء على ما لم يتصف به، وتغليب الأكثر على الأقل، وتغليب الأشهر...»^(٣).

والشيخ -رحمه الله- تعرض لهذا الفن في معرض تفسيره للآيات، فمن ذلك قوله عند قوله

تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ [الرحمن: ٢٢]: «أي: يخرج من البحرين العذب والمالح

اللؤلؤ والمرجان، وهو قطع من اللؤلؤ أحمر جميل الشكل واللون مع أنها مياه، وقوله تعالى:

﴿مِنْهُمَا﴾ أضاف الخروج إلى البحرين العذب والمالح، وقد قيل: إن اللؤلؤ لا يخرج إلا من المالح

ولا يخرج من العذب، والذين قالوا بهذا اضطربوا في معنى الآية، كيف يقول الله ﴿مِنْهُمَا﴾ وهو

من أحدهما؟ فأجابوا: بأن هذا من باب التغليب، والتغليب أن يغلب أحد الجانبين على

الآخر، مثلما يقال: العمران، لأبي بكر وعمر، ويقال: القمران، للشمس والقمر، فهذا من

باب التغليب، ف ﴿مِنْهُمَا﴾ المراد واحد منهما»^(٤).

ومما سبق يتضح مفهوم التغليب عند الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- وهو: «أن يغلب

أحد الجانبين على الآخر...»^(٥).

وكذلك ما جاء في تغليب الكثير على القليل، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا

مِّنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَأِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ

﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧١ - ٧٤]. فقد ذكر الملائكة دون ذكر من

(١) البرهان: ٣ / ٣٠٢.

(٢) الإيضاح: ٩١، التخليص: ١١٢، شروح التلخيص: ٥١ / ٢، ٤٧٣ / ٤، المطول: ١٥٨، الأطول: ١٧٩ / ١.

(٣) الإيضاح: ٩٢، التلخيص: ١١٣، وينظر: شروح التلخيص: ٥٢ / ٢، ٤٧٤ / ٤، المطول: ١٥٩، والأطول: ١٨٠ / ١.

(٤) تفسير سورة الرحمن: ٣٠٩.

(٥) السابق، وينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢ / ٢٠٢، والشرح الممتع على زاد المستقنع: ٥ / ١٦٢.

كان معهم من الجن على سبيل تغليب الكثير على القليل، فمن كان مع الملائكة من الجن داخلون في عموم الأمر بالسجود لآدم، يقول الشيخ -رحمه الله-: «ومن فوائد الآية: جواز توجه الأمر (الخطاب) إلى العموم، وإن كان فيهم من غير جنسهم، لقوله: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ فإن إبليس بلا شك من غير الملائكة أصلاً ونهاية، لكنه كان فيهم، فصح أن يتوجه الخطاب إليه، وهذا ظاهر. فلو أنك أمرت جماعة بالسجود، وفيهم من ليس منهم، ولكنه على صفتهم، ويعمل بعملهم، فتخلف لا بد أن تلومه، لأن الخطاب موجه للجميع»^(١).

وجاء التغليب في قوله تعالى: ﴿لَمَّا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، حيث قال الشيخ -رحمه الله-: «(هنا) المقصود تغليب المعنى على الشخصية؛ لأن كون الله خلقه بيده أمر لا يشاركه فيه أحد، لكن مجرد أنه مخلوق يشاركه جميع الخلق»^(٢).

ومن خلال ما سبق يتضح أن الشيخ -رحمه الله- يتابع البلاغيين في مفهوم التغليب وأنواعه، فقد وقف على الكثير من شواهد وأشار إليه، وإلى أنواعه.

رابعاً: وضع الظاهر موضع المضمرة:

وهو من أساليب خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر. يقول العلوي: «واعلم أن هذا وإن كان معدوداً من علم الإعراب لكن له تعلق بعلم المعاني، وذلك أن الإفصاح بإظهاره في موضع الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة، وهو تعظيم حال الأمر المظهر والعناية بحقه»^(٣).

وهو كما يذكر: «أنه يخرج لنكتة بلاغية، ولغرض في سياق الكلام يريد المتكلم زيادة تقريره، أو تعميمه، أو تعظيمه، أو الاعتناء به، أو العناية بما أسند إليه، أو لغرض آخر يُسهم في تحديده سياق الحديث، وقرائن الأحوال، ويُدرك ذلك من أوتي حظاً من البصر بأساليب البيان، وكان ذا حسن بلاغي مرهف»^(٤).

(١) تفسير سورة ص: ٢٤٦.

(٢) شرح التدمرية: ١٥٣.

(٣) الطراز: ٧٩ / ٢.

(٤) النظم القرآني في آيات الجهاد للدكتور: ناصر الخنين: ١٢٣.

والشيخ - رحمه الله - تناول هذا الأسلوب ووقف على كثير من الآيات مبيناً فيها مواضعه وفوائده، بل أفرد الحديث عنه في كتابه (أصول في التفسير)، حيث قال عنه: «الأصل أن يؤتى في مكان الضمير بالضمير؛ لأنه أبين للمعنى وأكثر اختصاراً للفظ، ولهذا ناب الضمير بقوله تعالى ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥]، عن عشرين كلمة المذكورة قبله، وربما يؤتى مكان الضمير بالاسم الظاهر وهو ما يسمى (الإظهار في موضع الإضمار)، وله فوائد كثيرة، تظهر بحسب السياق منها:

١- الحكم على مرجعه بما يقتضيه الاسم الظاهر.

٢- بيان علة الحكم.

٣- عموم الحكم لكل متصف بما يقتضيه الاسم الظاهر»^(١).

ومن الشواهد التي وقف عليها الشيخ - رحمه الله - في تفسيره للآيات، ما يأتي:

في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢]. «أظهر مقام الإضمار، وكان مقتضى السياق أن يقول: (أليس في جهنم مثوى له) والإظهار في مقام الإضمار له فوائد:

١- فائدة العموم، يعني مثوى له ولغيره من الكافرين.

٢- إفادة التعليل، لو قال: (أليس في جهنم مثوى له) لم نستفد ما هي العلة في أن مثواه

جهنم، لكن إذا قال: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ عرفنا أن العلة كفرهم ففيه

بيان العلة؛ فصار الإظهار في موضع الإضمار»^(٢).

ومثله قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٢٩]، «ولم يقل (لكنن)، بل

قال: (للمحسنات) فأظهر في موضع الإضمار ليتبين أن هذه الإرادة أنها إحسان، وأنهن إذ

أردن الله ورسوله فإن ذلك من الإحسان، وأن الله أعد للمحسنات منهن أجراً عظيماً»^(٣).

(١) ٦٧-٦٨، وينظر: تفسير سورة البقرة: ٦٧-٦٨.

(٢) تفسير سورة الزمر، آية: ٣٢.

(٣) تفسير سورة الأحزاب، آية: ٢٩.

وقوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، قال: «وهنا أظهر في موضع الإضمار لفائدتين؛ إحداهما: لفظية؛ والثانية: معنوية؛ أما الفائدة اللفظية: فمناسبة رؤوس الآي؛ وأما الفائدة المعنوية فهي تتضمن ثلاثة أمور: الأول: الحكم على أن من كان عدوًّا لله ومن دُكر بأنه يكون كافرًا، يعني: الحكم على هؤلاء بالكفر، الثاني: أن كل كافر سواء أكان سبب كفره معاداة الله، أم لا، فالله عدو له، الثالث: بيان العلة. وهي في هذه الآية: الكفر...»^(١). فقد أظهر في قوله: ﴿عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾، ولم يضمّر ويقل: (عدو لهم)، وقد اجتمع هنا في هذه الآية شاهدان بلاغيان؛ لفظي: وهو مناسبة الفاصلة القرآنية، ومعنوي: وهو الإظهار في موضع الإضمار.

ومثله قوله تعالى: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ﴾ [النساء: ٦١]، «هنا نكتة بلاغية، وهي: الإظهار في موضع الإضمار؛ لأن مقتضى السياق أن يقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ﴾ (رأيتهم)، هذا مقتضى السياق، لكن قال: ﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾، وإذا جاء الإظهار في موضع الإضمار فإن له ثلاث فوائد: الفائدة الأولى: عليّة الحكم؛ لأن هذا المظهر يفيد العلة في هذا الشيء، فالعلة في صدهم: هو النفاق. الفائدة الثانية: التسجيل على مرجع الضمير بهذا الوصف؛ أي: إن مرجع الضمير متصف بهذا الوصف. وهو: النفاق - لكن لو قال: (رأيت) لم نعرف أنهم كانوا منافقين. الفائدة الثالثة: العموم؛ أي: إنه يعم هؤلاء وغيرهم من المنافقين، ولو قال: (رأيتهم) فقط لم يشمل غيرهم»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الْكُفْرُونَ﴾ [ص: ٤]، يقول رحمه الله: «فيه وضع الظاهر موضع المضمّر، ويكون الكلام لو أُتي بالمضمّر: (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقالوا هذا ساحر كذاب)، لكن قال: ﴿وَقَالَ الْكُفْرُونَ﴾»^(٣).

(١) تفسير سورة البقرة: ١ / ٣١٥.

(٢) تفسير سورة النساء: ١ / ٤٦٥-٤٦٦.

(٣) تفسير سورة ص: ٢٤.

وكما في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكَتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُنْضِعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، قال فيها - رحمه الله - : « ولم يقل إنا لا نضيع أجرهم؛ فأفاد ثلاثة أمور:

١- الحكم بالإصلاح للذين يمسكون الكتاب، ويطعمون الصلاة.

٢- أن الله أجرهم؛ لإصلاحهم.

٣- أن كل مصلح فله أجر غير مضاع عند الله تعالى»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿ رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴾ [النساء: ٦١]، يذكر الشيخ

- رحمه الله - الفوائد المستنبطة من الإظهار في موضع المضمرة؛ فيقول: «في قوله تعالى: ﴿ رَأَيْتَ

الْمُنْفِقِينَ ﴾: إظهار في موضع الإضمار لثلاث فوائد:

الأولى: أن هؤلاء الذين يزعمون الإيمان كانوا منافقين.

الثانية: أن هذا لا يصدر إلا من منافق؛ لأن المؤمن حقا لا بد أن ينقاد لأمر الله ورسوله

بدون صدود.

الثالثة: التنبيه؛ لأن الكلام إذا كان على نسق واحد فقد يغفل الإنسان عنه، فإذا تغير،

حصل له انتباه»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿ أَنْ تَضَلَّ إِحْدَهُمَا فِتْنَكَرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، قال:

«من البلاغة: الإظهار في موضع الإضمار؛ لأنه لم يقل: فتذكرها الأخرى؛ لأن النسيان قد

يكون متفاوتاً، فتنسى هذه جملة، وتنسى الأخرى جملة؛ فهذه تذكر هذه بما نسيت؛ وهذه

تذكر هذه بما نسيت؛ فلهذا قال تعالى: ﴿ فَتَذَكَّرَ إِحْدَهُمَا الْأُخْرَى ﴾؛ لئلا يكون المعنى قاصراً

على واحدة هي الناسية، والأخرى تذكرها»^(٣).

والخلاصة: أن الشيخ - رحمه الله - يشيد - في مواضع عديدة من تفسيره - بهذا الفن،

ويوضح فوائده في الآيات وأسراره؛ مستضيئاً بما قاله علماء البلاغة، متوسعاً في بيان الأسرار

(١) أصول في التفسير: ٦٧، وتفسير سورة البقرة: ١ / ٦٧.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد: ١٦٩ / ٢.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٤٠٧ / ٣.

واللطائف.

٥) القصر:

القصر: الحبس، وفي القرآن الكريم: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ﴾ [الرحمن: ٧٢]، محبوسات فيها^(١).

قال السعد عن القصر: إنه: «تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص»^(٢). والقصر هو الحصر^(٣).

والقصر من الأساليب البليغة في لسان العرب، وتكمن بلاغته في كونه يفيد الإيجاز مع التأكيد وتقرير الأمر المراد.

وللقصر طرق كثيرة، وأشهرها استعمالاً^(٤) أربعة، هي:

١- النفي والاستثناء.

٢- القصر بإنما.

٣- القصر بتقديم ماحقه التأخير.

٤- القصر بالعطف ب(لا) و(بل) و(لكن).

وينقسم القصر إلى ثلاثة أقسام^(٥)، هي:

الأول - القصر باعتبار الحقيقة والإضافة، وهو نوعان:

أ- القصر الحقيقي.

ب- القصر الإضافي.

الثاني - القصر باعتبار الطرفين، وهو قسمان:

أ- قصر الموصوف على صفة.

(١) اللسان: (قصر).

(٢) مختصر السعد على التلخيص: ١٦٦ / ٢.

(٣) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٥٢، مفتاح العلوم: ١٣٨، الإيضاح: ١١٨، التلخيص: ١٣٧، شروح التلخيص:

١٦٦ / ٢، المطول: ٢٠٤، الأطول: ٢١٣ / ١، معترك الأقران: ١ / ١٨١.

(٤) ينظر: الإيضاح: ٢١-٢٨، شرح: د. محمد خفاجي.

(٥) ينظر: الإيضاح: ١٢٢، وبغية الإيضاح: ٣ / ٢، ومواهب الفتاح: ١٦٩ / ٢.

ب- قصر الصفة على الموصوف.

الثالث- القصر باعتبار المخاطب، وهو ثلاثة أقسام:

أ- قصر الأفراد.

ب- قصر القلب.

ج- قصر التعيين.

وعرفه الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- بقوله: «والحصر: إثبات الحكم في المذكور، ونفيه عما سواه، كما لو قلت: (إنما القائم زيد)؛ أثبتَّ القيام لزيد، ونفيته عن سواه»^(١).
والملاحظ أن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - يسمي القصر بالحصر، وهذه تسمية بعض الفقهاء والأصوليين^(٢).

وقد أسهم ابن عثيمين - رحمه الله - في الحديث عن القصر، وطرقه الأربعة عند وقوفه على بعض الآيات؛ ومن هذه الوقفات التي تحدث فيها - رحمه الله - عن القصر: ما ذكر في سورة آل عمران: «والحصر عند العلماء إثبات الحكم للمحصور فيه، ونفيه عما سواه، إذن فهو بمنزلة نفي وإثبات، وله طرق: منها (إنما)، ومنها تقديم ماحقُّه التأخير، ومنها النفي والإثبات مثل: (لا قائم إلا زيد) ومنها إذا كانت الجملة اسمية معرَّفًا طرفاها، وهذا معروف في كتب البلاغة»^(٣).

أولاً: القصر بالنفي والإثبات:

قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [التوبة: ١٨]، يقول رحمه الله: «في هذه الآية حصر، طريقه الإثبات والنفي، ﴿لَمْ يَخْشَ﴾ نفي، ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ إثبات. والمعنى: أن خشيته انحصرت في الله وَعَلَىٰ فلا يخشى غيره»^(٤).

ومثله قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، يقول رحمه الله: «في

(١) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٢٣٧.

(٢) الآيات البيئات على شرح المحلي على جمع الجوامع للعبادي: ٢ / ٤٢، البحر المحيط للزركشي: ٥ / ١٩٠.

(٣) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٤٥٣.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢ / ٧٢.

هذه الآية يخبر الله بأنه منفرد بالألوهية، وذلك من قوله: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾؛ لأن هذه الجملة تفيد الحصر، وطريقه النفي والإثبات وهذه من أقوى صيغ الحصر^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحِيدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، «هذا حصر من أقوى أنواع الحصر؛ لأنه مبني على النفي والإثبات، النفي المؤكد ب(مِنْ) ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ لأن (مِنْ) حرف جر زائد، والزائد يفيد زيادة المعنى في القرآن الكريم، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ﴾ أي: ما من معبود حق إلا الله، وإلا فهناك آلهة تعبد لكن ليست بألهة حقًا، بل هي أسماء سماها أصحابها ما أنزل الله بها من سلطان^(٢).

ثانياً: القصر بانما:

وقد اختلف علماء البلاغة في إفادة (أنما) بالفتح للقصر، فمنهم من رد إفادتها للقصر^(٣)، ومنهم من يرى جواز إفادتها للقصر^(٤)، وهو الراجح؛ وقد اختار الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- هذا القول -من خلال ما أتضح لي من شوهده-

ففي قوله تعالى: ﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]، يقول -رحمه الله-: «هذه الجملة حصر، كأنه قال: لا إله إلا واحد، واستفدنا أنها للحصر من (أنما)؛ لأن (أنما) من أدوات الحصر، تقول: أنما زيد قائم، يعني ليس له وصف غير القيام، وتقول: أنما العلم بالتعلم، وليس هناك طريق للعلم إلا بالتعلم^(٥)».

ثالثاً: القصر بطريق التقديم والتأخير:

وهو كثير في القرآن الكريم؛ فقد أشار الشيخ -رحمه الله- إلى اشتماله على القصر من خلال تحليله، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾

(١) شرح العقيدة الواسطية: ١ / ١٦٥.

(٢) تفسير سورة ص: ٢٢٦.

(٣) ينظر: الإيضاح: ١ / ٢٤، شرح: د. محمد خفاجي، عروس الأفراح: ١ / ٥٠٨، البحر المحيط: ٧ / ٢٣٣.

(٤) ينظر: الكشاف: ٣ / ١٣٩، التحرير والتنوير: ٢ / ٢٠٣، ٧ / ٣١، اللباب في علوم الكتاب: ١٦ / ٦٢٣، بغية

الإيضاح: ١ / ٧٤.

(٥) تفسير سورة الكهف: ١٥٢.

[آل عمران: ١٠٩]، فقد اختص الله ﷻ بملكية السموات والأرض وما فيهن، فقال -رحمه الله -: «الخبر هنا مقدم لفائدة وهي الحصر، يعني التخصيص؛ لأنك إذا قدمت ما حقه التأخير كان ذلك حصراً، فكلما قدمت شيئاً حقه التأخير كان هذا حصراً، سواءً أكان المقدم خبراً أم مفعولاً به أم جاراً ومجروراً؛ فمثلاً: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قدّم المفعول به لإفادة الحصر، أي لا نعبد إلا إياك، ولا نستعين إلا إياك، وهنا ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: لا غيره. فقدّم الخبر لأجل الحصر»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [يس: ٣٠]، يذكر أن تقديم المفعول هنا لفائدتين قائلاً: «قدم المفعول وهو (به) لإفادة الحصر، ولمناسبة رؤوس الآيات فقدم لفائدتين: فائدة لفظية، وهي مراعاة الفواصل، وفائدة معنوية، وهي: الحصر، كأنه قال: (إذا أتاهم الرسول فكأنهم لا يستهزئون بأحد سوى هذا الرسول)، وهم يستهزئون بغيره، ولكن لما كان هؤلاء قد أمعنوا في الاستهزاء بالرسول صاروا كأنهم لا يستهزئون إلا بالرسول والاستهزاء هو السخرية والهزاء»^(٢). وها هنا اجتمع شاهدان بلاغيان؛ الحصر وطريقة التقديم والتأخير، ومناسبة رؤوس الآيات.

وقد اجتمع طريقتان من طرق القصر بأية واحدة؛ إذ يقول الرب ﷻ: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِزْقٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَةٍ أَرْضٍ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، «﴿وَعِنْدَهُ﴾: أي: عند الله وهو خبر مقدم ﴿مَفَاتِحُ﴾ مبتدأ مؤخر. ويفيد هذا التركيب الحصر والاختصاص، عنده لا عند غيره مفاتيح الغيب، وأكد هذا الحصر بقوله: ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾، ففي الجملة حصر بأن علم هذه المفاتيح عند الله بطريقتين: إحداهما: بطريقة التقديم والتأخير والثانية: طريقة النفي والإثبات»^(٣).

(١) تفسير سورة آل عمران: ٣/ ٣٨، وينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ١/ ٢٢.

(٢) تفسير سورة يس: ١٠٧ - ١٠٨.

(٣) شرح العقيدة الواسطية: ١/ ١٩٣.

ومنه تقديم الجار والمجرور، ففي قوله تعالى: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٣]، يقول -رحمه الله-: «(بذلك): الجار والمجرور متعلق بـ ﴿أُمِرْتُ﴾ فيكون دالا على الحصر والتخصيص، وإنما خص بذلك، لأنه أعظم المأمورات، وهو الإخلاص لله تعالى ونفي الشرك، فكأنه ما أمر إلا بهذا، ومعلوم أن من أخلص لله تعالى، فسيقوم بعبادة الله ﷻ في جميع الأمور»^(١).

ومنه أيضًا تقديم الحال على صاحبها، يقول -رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْقَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]: «قوله: ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ حال من الرزق، وقدم الحال مع أن موضعها التأخير عن صاحبها لإفادة الحصر؛ إذ إن تقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر، أي: فابتغوا الرزق حال كونه عند الله لا عند غيره»^(٢).

وكما جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، «قوله: ﴿لِلَّهِ﴾ اللام للاختصاص؛ لأن هذا يجب فيه الإخلاص، وفي قوله: ﴿لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾ الإشارة إلى وجوب القنوت لله تعالى؛ ولهذا قدم الإخلاص على العمل؛ فقال: ﴿وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ﴾؛ لأنه إذا كان الإنسان قانتا لله فإنه سوف يقنت»^(٣).

رابعاً: القصر بتعريف الطرفين:

يتناول الشيخ -رحمه الله- القصر بتعريف الطرفين المسند إليه والمسند؛ إذ يذهب إلى إفادته القصر في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، يقول -رحمه الله-: «مثل هذه الجملة التي طرفاها معرفتان تفيد الحصر؛ فهو وحده العلي؛ أي ذو العلو المطلق، وهو الارتفاع فوق كل شيء، و﴿الْعَظِيمُ﴾ أي ذو العظمة في ذاته، وسلطانه، وصفاته»^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، يقول -رحمه الله-: «الجملة هنا خبرية مكونة من مبتدأ، وخبر كلاهما معرفة؛ وقد قال علماء البلاغة: إن الجملة المكونة من مبتدأ،

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد: ١ / ٢١٨.

(٢) السابق: ١ / ٢٦٨.

(٣) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٢ / ٣٦٨.

(٤) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٢٥٦.

وخبير كلاهما معرفة تفيد الحصر؛ والمراد: متولي أمورنا»^(١).

كما أفاد التعريف بالقصر قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ [الزمر: ١٥]، «الجملة فيها تأكيد وفيها حصر، أين التأكيد؟! ﴿إِنَّ الْخٰسِرِينَ﴾، الحصر في أن طرفي الجملة معرفتان ﴿الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾؛ فكأنه قال: إن الخاسرين هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؛ فإذن فيها تأكيد وحصر»^(٢).

والحقيقة أن هذا التحليل من الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- لآيات القصر يدل على استيعابه لهذا الأسلوب وأثره في الكلام.

وهناك طرق وأساليب أخرى أشار إليها ابن عثيمين -رحمه الله- وأوضح أثرها في التخصيص، ومنها: ضمير الفصل:

أما القصر بضمير الفصل فيدرك وقوعه في إثبات الحكم للمقصود، ونفيه عما سواه؛ كما جاء في التنزيل: ﴿إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ [البقرة: ١٢٠]، يقول -رحمه الله-: «وهو ما كان عليه محمد ﷺ، وفي قوله: ﴿هُوَ الْهُدَى﴾، ضمير فصل، وضمير الفصل يفيد إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه، لأنه - أعني ضمير الفصل - من أدوات الحصر»^(٣).

وكثيراً ما كان يؤكد -رحمه الله- على أهمية ضمير الفصل وفوائده، وأن من فوائده الحصر، ففي قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]، يقول الشيخ -رحمه الله-: «جملة اسمية مؤكدة بضمير الفصل: ﴿هُمُ﴾؛ لأن ضمير الفصل له ثلاث فوائد؛ الفائدة الأولى: التوكيد؛ والفائدة الثانية: الحصر؛ والفائدة الثالثة: إزالة اللبس بين الصفة، والخبر»^(٤).

ثم يوضح الحصر بمثال قائلاً: «والفائدة الثالثة: الحصر؛ فإنك إذا قلت: (زيد هو الفاضل) فقد حصرت هذا الوصف فيه دون غيره؛ وضمير الفصل ليس له محل من الإعراب، كما في

(١) السابق: ٣ / ٤٥٣.

(٢) تفسير سورة الزمر، آية: ١٥.

(٣) أحكام من القرآن الكريم: ٤٣٣.

(٤) تفسير سورة البقرة: ١ / ١٠٣.

قوله تعالى: ﴿لَعَلَّنَا نَتَّبِعَ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ أَغْلَبِينَ﴾ [الشعراء: ٤٠]، ولو كان له محل من الإعراب لكانت: (هم الغالبون)؛ وربما يضاف إليه اللام، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢]، فيكون في إضافة اللام إليه زيادة توكيد...»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾ [البقرة: ١٢]، يقول: «﴿أَلَا﴾: أداة تفييد التنبيه، والتأكيد؛ و﴿إِنَّهُمْ﴾: توكيد أيضاً؛ و﴿هُمْ﴾: ضمير فصل يفيد التوكيد أيضاً؛ فالجملة مؤكدة بثلاثة مؤكدات: (ألا)، و(إن)، و(هم)، وهذا من أبلغ صيغ التوكيد؛ وأتى ب(أل) الدالة على حقيقة الإفساد، وأنهم هم المفسدون حقاً؛ ووجه حصر الإفساد فيهم أن (هم) ضمير فصل يفيد الحصر. أي هم لا غيرهم المفسدون؛ وهذا كقوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾ [المنافقون: ٤]، أي هم لا غيرهم؛ فلا عداً أبلغ من عداً المنافقين للمؤمنين؛ ولا فساد أعظم من فساد المنافقين في الأرض...»^(٢).

وقد أفرد -رحمه الله- الحديث عن ضمير الفصل في مقدمة أصول التفسير^(٣)، فذكر أنه: «حرف بصيغة ضمير الفصل يقع بين المبتدأ والخبر إذا كانا معرفتين؛ ويكون بضمير المتكلم... وبضمير المخاطب...، وبضمير الغائب، وله ثلاث فوائد:
الأول: التوكيد.

الثانية: الحصر، وهو اختصاص ما قبله بما بعده، فإن قولك: المجتهد هو الناجح يفيد اختصاص المجتهد بالنجاح.

الثالثة: الفصل...»^(٤).

وكما عرض -رحمه الله- إلى طرق القصر، فكذلك تناول بعض أقسامه إشارة دون بحث؛ فذكر انقسامه إلى قصر حقيقي وإضافي أثناء تفسيره الآيات دون أن يعرض لهما، من ذلك في

(١) السابق.

(٢) السابق: ٤٧ / ١.

(٣) ينظر: ٦٨، والمرجع السابق: ٦٨ / ١.

(٤) السابق، بتصرف.

قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٦]: «﴿إِنَّهُ﴾»، أي: الله الذي يراك حين تقوم:

﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾، وفي الآية هنا ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾، ومن فوائده الحصر، فهل الحصر

هنا حقيقي، بمعنى: أنه لا يوجد شيء من المحصور في غير المحصور فيه، أو هو إضافي؟

الجواب: هو إضافي من وجه، حقيقي من وجه، لأن المراد بـ ﴿السَّمِيعُ﴾ هنا: ذو السمع

الكامل المدرك لكل مسموع، وهذا هو الخاص بالله ﷻ، والحصر بهذا الاعتبار حقيقي، أما

مطلق السمع، فقد يكون من الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ

أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، فجعل الله تعالى الإنسان سمعياً بصيراً.

وكذلك ﴿عَلِيمٍ﴾، فإن الإنسان عليم، كما قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:

٢٨]، لكن العلم المطلق - أي: الكامل - خاص بالله ﷻ، فالحصر بهذا الاعتبار حقيقي»^(١).

ويظهر ذلك - أيضاً - في قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [يس: ١٧]،

«هذا حصر حقيقي، أي: ما عليهم في جانب الرسالة إلا البلاغ المبين في جانب الرسالة»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ [يس: ١٥]، «قوله: (إن)

بمعنى (ما) ففي الجملة حصر طريقة: النفي والإثبات ﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾، يعني ما أنتم إلا تكذبون،

وهذا الحصر - والعياذ بالله - حصرٌ هُم يرونه إضافياً، بمعنى (ما أنتم إلا تكذبون فيما تدعون

من الرسالة)»^(٣).

ومما سبق يتضح من خلال ما وقفت عليه من كلام الشيخ - رحمه الله - حول هذا الفن

أنه يشيد به في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وعند وقوفه على شواهد يذكر ما هو القصر

وما طرقه وأنواعه، مما يدل على معرفته - رحمه الله تعالى - للقصر وأقسامه، وفق ما عليه أهل

البلاغة، لكن الملاحظ أن الشيخ - رحمه الله - لم تستوقفه الفروق الدقيقة بين أدوات القصر

على نحو ما يذكره البلاغيون في التفرقة بين (إنما) والنفي والاستثناء. إذ كلا الأسلوبين يدلان

(١) شرح العقيدة الواسطية: ١ / ٣٢٨.

(٢) تفسير سورة يس: ٦٠.

(٣) السابق: ٥٨.

عنده دلالة واحدة، ويستخدمان استخدامًا واحدًا في القصر، حيث لم أعر على إشارة يفرق فيها بين الصيغتين.

٦) الإيجاز والإطناب:

لقد جمع الخطيب القزويني هذه الأقسام في مقولة واحدة، وهي: «أن المقبول من طرق التعبير عن المعنى: هو تأدية أصل المراد بلفظ مساوٍ له^(١)، أو ناقص عنه وافٍ، أو زائد عليه لفائدة»^(٢).

وقد تحدث العسكري في كتابه الصناعتين عن بلاغة الإيجاز والإطناب، قائلاً: «القول القصد أن الإيجاز والإطناب يحتاج إليهما في جميع الكلام وكل نوع منه ولكل واحد منهما موضع، فالحاجة إلى الإيجاز في موضعه كالحاجة إلى الإطناب في مكانه. فمن أزال التدبير في ذلك عن جهته واستعمل الإطناب في موضع الإيجاز واستعمل الإيجاز في موضع الإطناب أخطأ»^(٣).

ولم أجد للشيوخ شواهد في تفسيره عن المساواة، عدا الإيجاز والإطناب.

أولاً- الإيجاز:

الإيجاز في اللغة: «الاختصار والتقصير والتقليل، يقال: أوجز في كلامه: قلله واختصره. ويقال: أوجز فلان إيجازاً في كل أمر، وكلام وجيز: خفيف مقتصر...»^(٤).
وأسلوب الإيجاز من أهم خصائص اللغة العربية، فهو ذو محاسن جمّة، وفوائد كثيرة، ومنزلة عالية، قال الجاحظ: «وأحسن الكلام ما كان قليلاً يغنيك عن كثيره»^(٥).
وقد عرّفه السكاكي، بقوله: «فالإيجاز هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط»^(٦).

وقد جعل العلماء الإيجاز نوعين، هما: إيجاز الحذف، وإيجاز القصر وهذا ما سار عليه

(١) يقصد: المساواة.

(٢) الإيضاح: ٢٨١.

(٣) كتاب الصناعتين: ١٩٠.

(٤) اللسان: (وجز).

(٥) البيان والتبيين: ١ / ٨٣.

(٦) مفتاح العلوم: ١٣٣.

البلاغيون^(١).

ويشيد الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بمكانة الإيجاز وأهميته، وأنه من البلاغة التي يأتي فيه الكلام مطابقاً لمقتضى الحال؛ وذلك من خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ [الزمر: ١٩]، قال: «من فوائد هذه الآية بلاغة القرآن وشدة زواجره؛ حيث يأتي يمثل هذا الأسلوب الشديد الذي يسلم القلب الواعي الحي: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ أسلوب شديد جداً؛ ولا شك أن الأسلوب الشديد في موضعه يعتبر من البلاغة؛ لأن البلاغة أن يأتي الكلام مطابقاً لمقتضى الحال أي لما تقتضيه الحال من لين وشدة وتطويل وإيجاز»^(٢).

ويقول - رحمه الله - في قسمة الإيجاز: «والإيجاز عندهم - يقصد البلاغيين - نوعان: ١- إيجاز قصر. ٢- إيجاز حذف»^(٣). ثم يوضح الفرق بينهما من خلال التعريف: «إيجاز القصر: أن تكون العبارات القصيرة تتضمن معاني كثيرة، وإيجاز الحذف: أن تكون العبارة الموجودة قد حذف منها ما هو معلوم، مثل قوله تعالى:

﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾^(٤) فجاءته إحداهما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكِ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٢٤ - ٢٥]، «هذه الآية حذف منها شيء كثير، لأن تقديره: أن المرأتين ذهبتا إلى أبيهما وأخبرتا الخبر، ثم أرسل إحداهما إلى موسى فجاءته تمشي على استحياء؛ فالإيجاز عندنا نوعان: إيجاز قصر، وإيجاز حذف؛ وكلاهما فصيح عربي»^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكُحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧]، «فأي الحرفين نقدر هنا (في)

(١) ينظر: بغية الإيضاح: ١/٢١٠، وثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ٧٦، والبحث البلاغي عند ابن قتيبة، للدكتور محمد الصامل: ٣٢٧.

(٢) تفسير سورة الزمر، آية: ١٩.

(٣) تفسير سورة الأعراف، آية: ٩٩، وينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٧/٤٠٥.

(٤) تفسير سورة الزمر، آية: ٢٤-٢٥.

أم (عن)، بمعنى: ترغبون في نكاحهن، أو عن نكاحهن؟ نقول: الآية محتملة، وهذا من بلاغة القرآن وإيجازه؛ لأنه قد يكون راغبًا عنها فلا يريد لها، لكنه لا يريد أن تكون لغيره، وقد يكون راغبًا فيها فلا يريد أن تكون لغيره، فتكون الآية شاملة للأمرين جميعًا»^(١).

وقد يصرح الشيخ بمصطلح إيجاز القصر، وهذا قليل، ففي قوله تعالى: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ [النساء: ١٢٣]، ذكر نوع الإيجاز في الآية قائلاً: «هذا إيجاز قصر لأنك لو أردت أن تبسط هذه الجملة ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ وهما تشملان كل ما يدخل في هذه الجملة من التفاصيل...»^(٢).

ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، «ففي قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، أشكل على الصحابة رضي الله عنهم، فصاروا يجعلون طعامهم على حدة، وطعام اليتامى على حدة؛ ثم ما جعلوه لليتامى إما أن يفسد، ولا يصلح للأكل؛ وإما أن يصلح للأكل، ولكن ليس على الوجه الأكمل؛ فتخرجوا من ذلك، وأشكل عليهم فيما لو خلطوا طعامهم بطعام اليتامى؛ فأجابهم الله ﷻ بجواب في غاية ما يكون من البلاغة والاختصار والوضوح؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]»^(٣).

أما إيجاز الحذف عند الشيخ فقد تم استعراض بعض صورته عند تناولي للحذف في هذا المبحث، وسأورد بعض الصور هنا التي عليها إيجاز الحذف، ومن ذلك ما وقف عنده الشيخ - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾ [النساء: ١٥٧]، قال: «القتل موجود، فهم قالوا: ﴿قَتَلْنَا الْمَسِيحَ﴾ [النساء: ١٥٧]، لكن أين الصلب؟ يقولون: هذا من باب حذف المعلوم بالسياق، وهنا هم قالوا: قتلنا وصلبنا، لكن طوى ذكره اكتفاءً بما سيذكر»^(٤).

(١) تفسير سورة النساء: ٢ / ٢٧٧.

(٢) السابق.

(٣) السابق: ٣ / ٧١.

(٤) تفسير سورة النساء: ٢ / ٤٣٧-٤٣٨.

على أنه -رحمه الله- كثيراً ما يذكر أن الحذف جائز لما كان معلوماً من سياق الجملة، فمن فوائد الآية الكريمة: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، يقول: «جواز حذف ما كان معلوماً، وأنه لا ينافي البلاغة؛ وهو ما يسمى عند البلاغيين بإيجاز الحذف؛ لقوله تعالى: ﴿مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾؛ والتقدير: (فماتوا ثم أحياهم)؛ وهذا كثير في القرآن، وكلام العرب»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]، قال -رحمه الله-: «وفي الآية إيجاز بالحذف، أي فتحيون فتأتون أفواجاً؛ فوجاً مع فوج أو يتلو فوجاً»^(٢).

ويدرك الشيخ -رحمه الله- الغرض البلاغي لحذف جواب الشرط، ويكاد يذكر الغرض نفسه الذي يذكره البلاغيون، وهو ما يظهر في تحليله للآية الكريمة: ﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ دُكْرُكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [يس: ١٩]، يقول: «فمن فوائدها: جواز حذف ما علم بالسياق، ولا يعد هذا نقصاً في الكلام وبلاغته؛ لأن جواب الشرط محذوف لدلالته عليه، وربما يكون الحذف أبلغ»^(٣)، والمحذوف تقديره (تطيرتم).

وقد يكون الحذف للمقابل المذكور في السياق للعلم به، أي من باب الاكتفاء بأحد الوصفين عن الآخر، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُّنذِرِينَ﴾ [الصافات: ٧٢]، يذكر -رحمه الله-: «أنه ينبغي في الخطاب أن يذكر ما يناسب المقام، وأن يحذف ما تكون الفصاحة في حذفه، وجهه أنه اقتصر هنا على ذكر الإنذار بالنسبة للرسول مع أن الرسل عليهم السلام حالهم الإنذار والتبشير، قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]»^(٤).

ومثله قوله تعالى: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، «ولم يقل الله عَجَبٌ (تقاتل في سبيل كذا)، وهذا من باب الاكتفاء بذكر أحد الوصفين عن الآخر، الأولى: قال: ﴿فَعَةً تُقَاتِلُ

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ١٩٧.

(٢) تفسير جزء عم: ٦.

(٣) تفسير سورة يس: ٧١.

(٤) تفسير سورة الصافات: ١٦٥.

﴿فَسَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٣]، ولم يقل: فئة (مؤمنة) تقاتل في سبيل الله. والأخرى قال: ﴿كَافِرَةٌ﴾، ولم يقل: تقاتل في سبيل الطاغوت. فحذف من الأولى مقابل ما ذكر في الثانية. حذف من الأولى (مؤمنة) التي تقابلها ﴿كَافِرَةٌ﴾، وحذف من الثانية ضد ما ذكر في الأولى؛ فحذف (في سبيل الطاغوت)، وذكر في الأولى: ﴿فَسَبِيلِ اللَّهِ﴾، وهذا من باب الاكتفاء بذكر أحد الوصفين عن الآخر، وهو من البلاغة الإيجازية^(١).

وهذا الشاهد من الاحتباك؛ وهو: «أن يجتمع في الكلام متقابلان فيحذف من واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه»^(٢)، وقد انفرد الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- بوصفه بالاكْتفاء دون غيره، وأشار إلى هذا الفن في حاشية الجمل على تفسير الجلالين؛ حيث ذكر أن «في الكلام شبه احتباك تقديره: فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان، فحذف من الأول ما يفهم من الثاني ومن الثاني ما يفهم من الأول»^(٣).

ومنه حذف المفعول كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ لَيْمَنِ السَّخِرِينَ﴾ [الزمر: ٥٦]، قال: «الساخر بمعنى المستهزئ، ساخرين بمن يدعو إلى الله، كما قال تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ [ص: ٦٣]، ساخرين بدين الله، ساخرين برسول الله: ﴿قُلْ أَيْلَهُ وَعَايُنُهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]، ولهذا حذف المفعول في الساخرين لإفادة العموم؛ أي: الساخرين بالله وآياته ورسوله وأوليائه، فهو عام»^(٤).
ومما سبق يتضح فهم الشيخ -رحمه الله- لمبحث الإيجاز ومعرفته لقسميه؛ وهو يُصرح بتسميتهما.

وقد أجاد -رحمه الله- في بيان الأغراض البلاغية للحذف في الآيات الكريمة.

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٧٩.

(٢) البرهان: ٣ / ١٢٩.

(٣) الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية المعروف بالجمل للأزهري: ١ / ٣٦٣.

(٤) تفسير سورة الزمر، آية: ٥٦.

ثانياً- الإطناب:

الإطناب هو: «زيادة اللفظ على المعنى لفائدة»^(١). «والتقييد بقولهم: (لفائدة) ليخرج التطويل الذي هو زيادة اللفظ من غير فائدة»^(٢).

ومما يدخل في مفهوم الإطناب: التكرار، والزيادة، والإتباع، والتذييل، وذكر الخاص بعد العام وعكسه، وقد درس العلماء تلك الأساليب على أنها مظهر من مظاهر إطالة الكلام أو الإطناب فيه، ثم أصبحت تلك الأساليب - فيما بعد - من أنواع الإطناب الكثيرة^(٣).
والشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - يتناول أنواع الإطناب من خلال وقوفه على الآيات القرآنية، مبرزاً الغرض من كل نوع وأثره في الكلام، ومن أبرز تلك الأنواع التي تناولها الشيخ في باب الإطناب:

١- ذكر الخاص بعد العام والعكس:

ينص الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - على هذا الغرض أو يشير إليه، ويقرن ذلك غالباً بإبراز السر البلاغي من ذكر الخاص بعد العام، أو ذكر العام بعد الخاص على عادته - رحمه الله - في التحليل والتعليل.

فيقف على قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ٢١]، ويذكر أن: «الذين يأمرون بالقسط من الناس يشمل الرسل وغير الرسل من أهل العلم والخلفاء الراشدين، فحينئذ عطفه على النبيين من باب عطف العام على الخاص، ولكنه خصّ الأنبياء؛ لأن قتلهم أعظم من قتل غيرهم»^(٤).

ثم يوضح السر في ذكر الخاص بعد العام والغرض منه؛ قائلاً: «وذكر الخاص بعد العام من باب ذكره مرتين: مرة بطريقة العموم، ومرة بطريقة الخصوص. ولكن خصّ من بين سائر الأفراد، وأعيد الحكم عليه من بين سائر الأفراد للاعتناء به والاهتمام به»^(٥).

(١) المثل السائر: ٢ / ٣٩٣.

(٢) التلخيص: ٢١١.

(٣) ينظر: البحث البلاغي عند ابن قتيبة: ٣٣٦.

(٤) تفسير سورة آل عمران: ١ / ١٤٠.

(٥) السابق.

وفي ذكره لفوائد الآية الكريمة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، يقول: «ومن فوائد هذه الآية الكريمة: تعظيم شأن الدماء، ولهذا خصتها الملائكة بالذكر، في قولهم: ﴿مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾، وإلا فمن المعلوم أن سفك الدماء من الفساد في الأرض، لكن لما عطف على العام وهو خاص دل ذلك على أهميته، وأنه من أعظم الفساد في الأرض»^(١).

ومثله قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]، قال: «وقوله تعالى: ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ عطفها على ﴿صَلَوَاتٌ﴾ من باب عطف العام على الخاص؛ لأن الثناء عليهم في الملاء الأعلى من الرحمة»^(٢).

كما أشار - رحمه الله - إلى ذكر الخاص بعد العام في عدة شواهد، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، يقول - رحمه الله -: «﴿وَالْفَتْحُ﴾ معطوف على النصر، وعطفه على النصر مع أن الفتح من النصر تنويه بشأنه، وهو من باب عطف الخاص على العام، كقوله تعالى: ﴿نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا﴾ [القدر: ٤]، أي في ليلة القدر، فحبريل من الملائكة، وخصه لشرفه»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ [الحج: ٢٨]، قال في توضيح الآية - رحمه الله -: «قد ظن بعض الناس أن المنافع التي تحصل في الحج مقدمة على ذكر الله في الحج؛ لأن الله قدم ذكرها فقال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ﴾ وفي هذا نظر، بل إن قوله: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ﴾ من جملة المنافع المشهودة في هذا المشعر، وعلى هذا فيكون عطفها على شهود المنافع، من باب عطف الخاص على العام، الدال على العناية به، فيكون ذكر الله تعالى أهم من هذه المنافع»^(٤).

(١) أحكام من القرآن الكريم: ١٥٥، وينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٧ / ٤٣٢.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٢ / ١٨٣، وينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ١ / ٢٥.

(٣) تفسير جزء عم: ٣٤٣.

(٤) مجموع الفتاوى: ٢٤ / ٢٧.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة: ٩٨]، معطوف على قوله تعالى: ﴿وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: ٩٨]، من باب عطف الخاص على العام؛ وعطف الخاص على العام يدل على شرف الخاص؛ فجبريل موكل بالوحي من الله إلى الرسل؛ و﴿وَمِيكَالَ﴾ هو ميكائيل الموكل بالقطر، والنبات...»^(١).

ويتضح لنا مما سبق أن الشيخ -رحمه الله- يوافق البلاغيين في وقوفه على تلك الشواهد، مبرزاً السر البلاغي له، وموضحاً فائدته.

٢- الإيضاح بعد الإبهام:

وهو أن يذكر المعنى مرتين؛ مرة مبهمًا ومرة موضحًا، وهو فن له أثر في النفس عظيم، لأن المعنى يظهر في صورتين مختلفتين، «فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والأيضاح، فتتوجه إلى ما يرد بعد ذلك فإذا ألقى كذلك تمكن فيها فضل تمكن وكان شعورها به أتم أو لتكمل اللذة بالعلم به فإن الشيء إذا حصل كمال العلم به دفعة لم يتقدم حصول اللذة به ألم، وإذا حصل الشعور به من وجه دون وجه تشوقت النفس إلى العلم بالمجهول فيحصل لها بسبب المعلوم لذة وبسبب حرمانها عن الباقي ألم، ثم إذا حصل لها العلم به حصلت لها لذة أخرى واللذة عقيب الألم أقوى من اللذة التي لم يتقدمها ألم، أو لتفخيم الأمر وتعظيمه»^(٢).

ولقد عدّ الشيخ -رحمه الله- الإيضاح بعد الإبهام، أو كما يسميه في كثير من الأحيان التفصيل بعد الإجمال نوعًا من أنواع البلاغة.

يقول: «والتفصيل بعد الإجمال من أساليب البلاغة، ومن المعلوم أن القرآن اشتمل على أعلى أنواع البلاغة»^(٣).

ويعبر عنه بقوله: «إن التفصيل بعد الإجمال من البلاغة، يعني أن تأتي بقول مجمل ثم تفصله؛ لأنه إذا أتى القول مجملًا تطلعت النفس إلى بيان هذا المجمل، فيأتي التفصيل والبيان واردًا على

(١) تفسير سورة البقرة: ١ / ٣١٥.

(٢) الإيضاح: ٣ / ١٩٧، شرح: د. محمد خفاجي.

(٣) تفسير سورة النساء: ٢ / ٥٢٥، وينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٧ / ٩٣.

نفس مشرّبة مستعدة، فيقع منها موقعاً يكون فيه ثبات الحكم»^(١). وفي موضع آخر يوضح - رحمه الله - هذا الفن من خلال قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِنْبُ أَجْلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، قائلاً: «ومن فوائد الآية: المخاطبة بالمحمل، وأنها أسلوب من أساليب البلاغة؛ لقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِنْبُ أَجْلَهُ﴾؛ ومن فوائد الإجمال أن النفس تتطلع إلى بيانه، وتحرص عليه حتى تدركه؛ فإذا أدركت البيان بعد الإجمال كان ذلك أحرى بأن يبقى العلم في نفس الإنسان، ولا ينساه»^(٢).

ولا يزال الشيخ - رحمه الله - يُخرج الفوائد والنكت من مجيء التفصيل بعد الإجمال، ومن ذلك ما ذكره عند قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧]، قال - رحمه الله -: «من فوائد الآيتين: ذكر التفصيل بعد الإجمال؛ لقوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝١﴾ وهذا مجمل؛ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: وهذا مفصل؛ لأن الإجمال، ثم التفصيل فيه فائدة: فإن النفس إذا جاء المحمل تترقب وتتشوف للتفصيل والبيان؛ فإذا جاء التفصيل ورد على نفس مستعدة لقبوله متشوقة إليه؛ ثم فيه فائدة ثانية هنا: وهو بيان أن الذين أنعم الله عليهم على الصراط المستقيم»^(٣).

ويشير إلى شيء آخر في هذا الباب، وهو مجيء القرآن تارة مجملاً، وتارة أخرى مفصلاً؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣١]، يذكر - رحمه الله - أن من فوائد الآية: «أن لكل طلاق أجلاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبِنَ أَجَلَهُنَّ﴾؛ الأجل هنا مجمل؛ ولكنه مبين في قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَرَئِبْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]، وغيرها من الآيات الدالة على العدة. ويتفرع على هذه الفائدة: أن القرآن يأتي مجملاً أحياناً، ومفصلاً أحياناً؛ ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿الرَّكْنُ أَكْرَمُ مِنْهُ ثُمَّ قُضِيَ﴾ [هود: ١]، وفائدة الإتيان بالإجمال، ثم التفصيل: أنه إذا ورد النص مجملاً فإن النفس تتطلع إلى معرفة ذلك

(١) التلخيص المعين على شرح الأربعين: ١٨٨.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣ / ١٦٤.

(٣) تفسير سورة البقرة: ١ / ١٩.

المجمل، وبيان ذلك المبهم؛ فيكون في ذلك شدة الاشتياق إلى العلم به»^(١).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمَنُ ابْنُ لِي صِرَاحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧]، يقول: «الأسباب: جمع سبب، وهو كل ما يوصل إلى المقصود، فالسبب وسيلة، والمسبب غاية، ومعنى أسباب هنا بينها، بقوله: ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾، فمحلها عما قبلها عطف بيان تبين الإبهام الموجود في الأسباب، فإن قال قائل: لماذا لم يقع الكلام مبيناً من أول الخطاب؟ فيقال: لعلني أبلغ أسباب السماوات؟ «قلنا: إن الإبهام أولاً ثم التفصيل والبيان ثانياً؛ أوقع في النفس؛ لأن الشيء إذا جاء مبهماً ثم بين صار للبيان وقع عند تشوق النفس لمعرفة هذا المبهم، لأن النفس تكون مستعدة لقبوله ومتشوقة إلى معرفة أسباب السموات»^(٢).

ويشير - رحمه الله - إلى التساؤلات التي يثيرها السائل عند وقوفه على المجمل من الآيات؛ فيقول: «ما الفائدة من ذكر المجمل ثم البيان؟ ولماذا لم يكن الأمر بياناً من أول وروده؟
نقول: لذلك فائدتان:

الفائدة الأولى: تهيؤ النفوس لهذا الحكم، واستعدادها له، فمثلاً ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]، الآن تقبل النفس هذا الأمر وتتهيأ له.
الفائدة الثانية: قوة الحاجة إلى البيان، فيرد على النفس وهي في أشد ما تكون شوقاً إليه، وحينئذ يكون له أثر في الرسوخ والبقاء»^(٣).

ويوضح - رحمه الله - الإجمال وما يعقبه من تبيين، وأثره لدى السامع، وفائدته، قائلاً: «ولهذا إذا حدثت بحديث، وقلت: يأتيني الليلة رجل، فإن المخاطب يبحث عن هذا الرجل الذي نُوه وأعلن عنه، ويتشوق لمعرفة، فإذا أعلمته به، فكأنه غيث نزل بعد جذب، فهذه من

(١) السابق: ٣ / ١٢٥ - ١٢٦.

(٢) تفسير سورة غافر، آية: ٣٦ - ٣٧.

(٣) شرح الأصول: ٣٤٢ - ٣٤٣.

فائدة المجلد والمبين»^(١).

وهكذا يقف - رحمه الله - مع هذا الفن مبيِّناً وموضحاً أثره وفائدته وهو يتناول الشاهد البلاغي، ويسميه تارة بالتبيين بعد الإجمال، وتارة بالتفصيل بعد الإجمال، والإيضاح بعد الإبهام؛ وهي مصطلحات استعملها البلاغيون، وبذلك لم يخرج عما قاله علماء البلاغة من حيث تعريفه وفائدته ومصطلحاته.

٣- التكرار:

من أنواع الإطناب التكرار لفائدة، وقد عرّفه العرب منذ القدم، وقال عنه ابن قتيبة: «وللعرب مجازات في الكلام، ومعناها: طرق القول وماآخذه. ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار...»^(٢).

وذكر ابن فارس: «من سنن العرب: التكرار والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر»^(٣).

وقد أفاض ابن عثيمين - رحمه الله - في حديثه عن التكرار وفوائده، وذلك لتوافر عدد من الشواهد القرآنية جاءت على هذا الأسلوب، ففي قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا نُنْخِرُنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٤]، يوضح الشيخ - رحمه الله - الغرض الذي جاء لأجله تكرار المنادى، حيث قال: «انظر إلى التكرار في قوله: ﴿رَبَّنَا﴾ لأنهم يتلذذون بهذا التعبير أن يكون الله بهم، وإذا كان الله فهم عبده، وتلذذ الإنسان بعبوديته لله ﷻ دليل على كمال إيمانه؛ لأنه كلما كان الإنسان أذل لله كان أكمل إيماناً، ولهذا يكررون ﴿رَبَّنَا﴾ تلذذاً بهذا الاسم الكريم»^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩]، يذكر الفائدة أو الغرض من تكرار الأمر، قائلاً: «تكرار الأمر الهام لتثبيته، والثبات عليه، ودفع

(١) السابق.

(٢) تأويل مشكل القرآن: ٢٠.

(٣) الصاحبي: ٣٤١.

(٤) تفسير سورة آل عمران: ٥٦٤ / ٢.

المعارضة فيه؛ لأنه كلما كرر كان مقتضاه أن الأمر ثابت محكم يجب الثبوت عليه؛ وكون المسلمين ينقلون من وجهة إلى وجهة في القبلة أمر هام له شأن عظيم؛ ولهذا ارتد من ارتد من الناس حين حوّلت القبلة»^(١).

ويذكر أيضاً: «أنه ينبغي التكرار في المقام الهام^(٢)؛ لقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]، مع أنه قال في الأول: ﴿قَدْ جِئْتَكُمْ بِآيَةٍ﴾ [آل عمران: ٤٩]، وذلك لأن الأمور الهامة^(٣) ينبغي تكرارها أولاً من أجل أن يتبين للمخاطب أهميتها عند المتكلم وأنه ذو عناية بها، والثاني من أجل أن ترسخ في الذهن؛ لأنه كلما تكرر الشيء ازداد رسوخاً»^(٤).

وقد ذكر - رحمه الله - أن التوكيد جار مجرى التكرار؛ فقال: «التوكيد في اللغة العربية جار مجرى التكرار، كما لو قلت: جاء زيد نفسه، كأنك قلت: جاء زيد زيد»^(٥).
وبهذا يوافق - رحمه الله - ما ذكره البلاغيون في أن التكرار نوع من أنواع الإطناب، ويوافقهم في الأغراض التي جاء بها التكرار.

٤- الاعتراض:

الاعتراض هو: «أن يؤتى في أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين معنى، بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب، لنكتة سوى دفع الإبهام»^(٦).
وعده ابن المعتز من محاسن الكلام، يقول: «ومن محاسن الكلام أيضاً اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه في بيت واحد»^(٧).
وذكر ابن جني الاعتراض قائلاً: «اعلم أن هذا القبيل من هذا العلم كثير، قد جاء في

(١) تفسير سورة البقرة: ٢ / ١٥١.

(٢) الصواب: المهم.

(٣) الصواب: المهمة.

(٤) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٢٩١، وينظر: شرح صحيح البخاري: ١ / ٢٠٧.

(٥) شرح الأصول: ١٣٤.

(٦) الإيضاح: ٢٠٦، وينظر: عروس الأفراح: ١ / ٨٧.

(٧) البديع: ٥٩.

القرآن وفصيح الشعر ومنتور الكلام»^(١).

ويقف الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - على شواهد الاعتراض في القرآن، منها:

قوله تعالى: ﴿ تَرْجَى مِنْ تَشَاءُ مِنْهُمْ وَتَعْوَى إِلَيْكَ مِنْ تَشَاءُ وَمِنْ أَبْغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنَهُمْ وَلَا يَحْزَنَ وَلَا يَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُنَّهِنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥١]. «(ويرضين) هذه الواو حرف عطف، و(يرضين) معطوف على ماذا؟

على (تقر) وليس على (يحزن)، لأنه لو كان معطوفاً على يحزن لكان المعنى: ولا يحزن ولا يرضين، والمراد خلاف ذلك، فالمراد: ﴿ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَ أَعْيُنَهُمْ وَلَا يَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ ﴾ فإن قلت: ما الفائدة من اعتراض الجملة الثانية (ولا يحزن)؟ نقول: لأن صلتها بقوله ﴿ أَنْ تَقْرَ أَعْيُنَهُمْ ﴾ أقوى، فإن قوله: ﴿ وَلَا يَحْزَنَ ﴾ يزداد به كمال قرار العين، يعني: أن تقر أعينهن حتى لا يبقى فيهن حزن إطلاقاً؛ فلهذا اعتراض هذه الجملة بين المعطوف والمعطوف عليه»^(٢).

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ١٠١]، ففي قوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾: هذه جملة اعتراضية، وهي من أحسن ما يكون في هذا الموضع، والمعنى أن تبديلنا للآية ليس سفهاً وعبثاً، بل هو صادر عن علم بما يصلح الخلق، فبديل آية مكان آية؛ لعلنا أن ذلك أصلح للخلق وأنفع لهم، وفيها أيضاً فائدة أخرى، وهي أن هذا التبديل ليس من عمل الرسول ﷺ. بل هو من الله، أنزله بعلمه، وأبدل آية مكان آية بعلمه، وليس منك أيها الرسول»^(٣).

وقوله: ﴿ قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُدَى اللَّهِ ﴾ [آل عمران: ٧٣]، «وهذه الجملة معترضة، لكنها في محل

(١) الخصائص: ١ / ٣٣٥.

(٢) تفسير سورة الأحزاب، آية: ٥١.

(٣) شرح العقيدة الواسطية: ١ / ١٥، مجموع الفتاوى: ٨ / ٣٧٥.

موافق تمامًا؛ لأنه لما كان الغرض من هذا العمل الماكر أن يضلوا الناس عن دينهم صار من المناسب تمامًا أن يفسد هذا المكر ببيان أن الهدى هدى الله، والتوفيق بيد الله بأن يقول: لن ينفعكم هذا المكر والخداع، فإن الهدى هدى الله حتى لو علمتم هذه الطريقة الماكرة الخادعة، فإن ذلك لن يضر المسلمين شيئًا؛ لأن الهدى هدى الله»^(١).

وقد يأتي الاعتراض بين القسم والمقسم عليه لفائدة، يقول - رحمه الله - : «والمهم أن الله تعالى أقسم بمواقع النجوم على أمر من أعظم الأمور، وهو قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾^(٧٦) إِنَّهُ لَقَرَأَ أَنْ كَرِيمٌ ﴿ [الواقعة: ٧٦ - ٧٧]، لكن الله بين عظم هذا القسم قبل أن يبين المقسم عليه، فقال: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لِّوَتَّعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة: ٧٦]، وأتى بالجملة الاعتراضية في قوله: ﴿لَوَتَّعْلَمُونَ﴾ إشارة على أنه يجب أن نتفطن لهذا القسم وعظمته؛ حتى نكون ذوي علم به»^(٢).

فهاهنا يوضح - رحمه الله - مواضع الاعتراض في الآيات الكريمة، والسرّ الجمالي في مجيئها بهذه الصورة، كما تناوله البلاغيون، ويزيد على ما قالوا ببيان الأسرار البلاغية.

٥- الاحتراز أو الاحتراس:

وهو: «أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه»^(٣). ويسمى بالتكميل أيضًا: قال ابن يعقوب: «أما تسميته التكميل فلتكميله المعنى بدفع خلاف المقصود عنه، وأما تسميته الاحتراس فهو من باب حرس الشيء (حفظه)، وهذا فيه حفظ المعنى ووقايته من خلاف المقصود؛ لأن ما أتى به يحترز به عن خلاف المقصود»^(٤).

وقد وقف الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - على شواهد الاحتراس، ومن ذلك: في قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾ [آل

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٤٠٨.

(٢) تفسير سورة الواقعة: ٣٤٧.

(٣) الإيضاح: ٢٠٢، التلخيص: ٢٢٩، المطول: ٤٩٨.

(٤) مواهب الفتاح: ٣ / ٢٣١ ضمن (شروح التلخيص).

عمران: ٣٦]، قال: «**وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ**» تكون الجملة من باب الاحتراس، حتى لا يظن بها أنها تعتقد أن الله لم يعلم. فقالت: «**رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ**»، فلست أخبر الله بأمر يخفى عليه، بل إني أؤمن بأنه عالم بما وضعت... ومن تمام البلاغة الاحتراز عن كل موهم لأمر خطأ، سواء أكان في المقال أم في الفعل»^(١).

وفي ذكر فوائد الآيات الكريمات لسورة البقرة^(٢)، يقول -رحمه الله-: «ومن فوائد الآيات الكريمة: أنه إذا ذُكرت أوصافٌ في شخص يُخشى منها أن يتوهم المخاطب شيئاً خلاف الواقع فإنه لا بد من ذكر قيد يرفع هذا التوهم، وذلك في قوله تعالى: «**لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ**» [البقرة: ٧١]، قد يقول قائل إن فيها عيباً؛ لأنها لا تقدر على أن تثير الأرض أو تسقي الحرث فبين الله تعالى أنها: «**مُسَلَّمَةٌ لَا شَيْءَ فِيهَا**»، وهذا يسمى بالاحتراز أو بالاحتراس في علم البلاغة، وقد جاء ذلك في القرآن في مواقع منها قوله - تبارك وتعالى - «**وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ**»^(٧٨) **فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ**» [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩]، فلما ذكر الله تعالى أنه فهم الحكم الصحيح سليمان، وكان ذلك يُخشى منه أن تحبط منزلة داود عليه السلام بين الله تعالى أنه أتى داود وسليمان حكماً وعلماً، وأن الله سخر لداود الجبال تسبح معه والطير... إلخ الآيات، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: «**لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّتِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلِ الْوَكَلَاءِ وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**» [الحديد: ١٠] قد يؤدي إلى انحطاط كبير في رتبة الآخرين الذين أنفقوا من بعد ما قاتلوا فرفع الله ذلك في قوله: «**وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**» ومن ذلك أيضاً، قوله تعالى: «**لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ**» [النساء: ٩٥]، فلما ذكر تفضيل المجاهدين على القاعدين، قال:

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٢١٥-٢٢٨.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٧١/١.

﴿وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ لئلا يتوهم متوهم نزول رتبة الآخرين نزولاً فاحشاً^(١).

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾ [قريش: ٣]، يقول: «رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ»، وإضافة الربوبية إليه على سبيل التشريف والتعظيم ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ﴾ [الحج: ٢٦]، أضاف الله البيت إليه تشريفاً وتعظيماً، إذًا خصص البيت بالربوبية مرة، وأضافه إلى نفسه مرة أخرى تشريفاً وتعظيماً، وفي آية ثانية قال: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَذِهِ الْبَلَدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ [النمل: ٩١]، وبعدها قال: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾ احتراز من أن يتوهم واهم بأنه رب البلدة وحدها فقال: ﴿وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ﴾^(٢).

ومما سبق مما تناولته من وقوف الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- على شواهد الإطناب وصوره؛ يتضح مدى عمق تصوره -رحمه الله- لهذا الفن، ومعرفته لأنواعه وصوره، ومصطلحاته، وقد ينوع في ذكر المصطلح وفق ما وقف عليه البلاغيون كما في التفصيل بعد الإجمال فيذكر أنه توضيح بعد إبهام، والاحتراز فيذكر الاسم الآخر له، وهو الاحتراز، ولم أجد أحداً من البلاغيين سماه بهذا الاسم، كذلك يذكر فوائد مجيء الإطناب في الآيات الكريمة.

(١) أحكام من القرآن الكريم: ٢٨٨-٢٨٩، وينظر: سورة النساء: ٢ / ١٠٥.

(٢) تفسير جزء عم: ٣٢٦.

(٧) الفصل والوصل:

الفصل في اللغة هو: البون بين الشيئين، والفصل من الجسد موضع المفصل، والفصل: الحاجز بين الشيئين، يقال: فصل بينهما يفصل فصلا فانفصل، وفصلت الشيء فانفصل، أي: قطعتة فانقطع.

والوصل خلاف الفصل، يقال: وصل الشيء بالشيء يصله وصلا، وصلة. واتصل الشيء بالشيء لم ينقطع^(١).

وهو من أبواب البلاغة المهمة، لذا ركّز البلاغيون على ما يقع منه بين الجمل، أما ما يتصل بالمفردات فلم تكن له تلك العناية^(٢)؛ فالوصل عندهم: عطف بعض الجمل على بعض بالواو، والفصل تركه^(٣)، وقد ذكر الدسوقي: «أن العطف يكون بين الجملتين كما يكون بين المفردين»^(٤). وقد عدّ العلماء هذا الفن من الفنون العظيمة حتى قصر بعضهم البلاغة على بعضه؛ فقد ذكر الجاحظ في عرضه لتعريفات الأمم للبلاغة قائلا: «قيل للفارسي: ما البلاغة؟ فقال: معرفة الفصل من الوصل»^(٥)، وجعلوه حدًّا للبلاغة^(٦) «وما ذلك إلا لغموضه ودقة مسلكه»^(٧). وقد قيد البلاغيون العطف بالواو خاصة في مباحث الفصل والوصل^(٨).

وقد فصلّ البلاغيون في مواضع الفصل والوصل، ويمكن إيجاز مواضعهما فيما يلي:

أولاً: مواضع الفصل، وهي:

١- كمال الاتصال بين الجملتين:

وذلك بأن يكون بين الجملتين اتحاد تام؛ بأن تكون الثانية بمنزلة التأكيد للأولى، أو

(١) ينظر: اللسان: (فصل) و(وصل).

(٢) ينظر: قضية الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيين، للدكتور: محمد الصامل: ١٧.

(٣) ينظر: الإيضاح: ١٥١، شرح التلخيص للبايرقي: ٣٧١.

(٤) حاشية الدسوقي: ٨ / ٣.

(٥) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٢، وروضة الفصاحة: ٣٣١.

(٦) ينظر: البيان والتبيين: ٨٨ / ١.

(٧) روضة الفصاحة: ٣١١.

(٨) ينظر: الإيضاح: ١٥١، مغني اللبيب: ٣٥٤ / ٢.

بمنزلة البدل أو عطف البيان.

٢- شبه كمال الاتصال بينهما:

بأن تكون الثانية جواباً عن سؤال يفهم من الأولى؛ فتفصل الثانية عن الأولى كما يُفصل الجواب عن السؤال لما بينهما من الاتصال. ويسمى ذلك الفصل استثنافاً، والجملة المفصولة مستأنفة.

٣- كمال الانقطاع بينهما:

بأن يكون بين الجملتين تباين تام؛ وله صورتان:

الأولى: أن تختلف الجملتان خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى.

الثانية: أن تتفق الجملتان خبراً أو إنشاء لفظاً ومعنى.

٤- شبه كمال الانقطاع:

بأن تكون الثانية بمنزلة المنقطعة عن الأولى، لكون عطفها عليها موهماً لعطفها على

غيرها، ويسمى الفصل لذلك قطعاً^(١).

ثانياً: مواضع الوصل، وهي:

١- أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإيهام بخلاف ذلك: بأن تكون إحداها خبرية

والأخرى إنشائية، ولو فصلت لأوهم الفصل بخلاف المقصود.

٢- التوسط بين الكمالين، أي بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال: بأن تكون

الجملتان متفتحتين خبراً وإنشاء لفظاً ومعنى، أو معنى فقط؛ وكان بينهما تناسب تام في

المعنى، وليس هناك سبب يقتضي الفصل^(٢).

والشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - تعرض للفصل والوصل، وحديثه وإن كان قليلاً فإنه

مهم، ولقد وقف على شواهد الفصل، ومما ذكره من الشواهد على كمال الاتصال، ما يأتي:

في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٩]، يقول الشيخ - رحمه الله -: «يدبحون، الفعل مضعّف

(١) ينظر: دلائل الإعجاز: ٢٢٧، الإيضاح: ١٥٩، شروح التلخيص: ٣ / ٤-٦.

(٢) ينظر: بغية الإيضاح: ٨٥ / ٢.

للمبالغة؛ لكثرة من يذبحون، وعظم ذبحهم؛... وعلى كلِّ فالجملة بيان لقوله تعالى:
﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ﴾؛ هذا وجاء في سورة إبراهيم: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ وَيَدَّبِحُونَ
أَبْنََاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٦]، بالواو عطفاً على قوله تعالى:
﴿يَسْأَلُونَكَ﴾؛ والعطف يقتضي المغايرة؛ فيكون المعنى أنهم جمعوا بين سوم العذاب. وهو
التنكيل، والتعذيب. وبين الذبح^(١). فقد فصل بينهما؛ لأن الجملة الثانية وهي قوله تعالى:
﴿يَدَّبِحُونَ أَبْنََاءَكُمْ﴾ بدلٌ من الجملة الأولى وهي قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ سَاءَ الْعَذَابِ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾
اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠ - ٢١]، أشار الشيخ -رحمه الله- إلى أن
في الآية فصلاً، فقال: «﴿قَالَ﴾» هذه جملة مفصولة عما قبلها، أي إنها أتت بدون حرف
العطف، كأنها جواب عن سؤال مقدر، تقديره فماذا قال حين جاء؟!!

﴿قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾... اتبعوهم بما يدعوكم إليه من الإيمان والعمل
الصالح... ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ كرر الأمر بالاتباع من باب التوكيد ﴿اتَّبِعُوا
الْمُرْسَلِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ ولو حُذِفَت (اتبعوا) الثانية وقيل: اتبعوا المرسلين
من لا يسألكم أجراً، لصح الكلام لكن كررت للتأكيد؛ لأنها هي المقصود الأول بالخطاب أن
يتبعوا المرسلين^(٢).

وفي الآيات موضعان للفصل؛ فجاءت الأولى لشبه كمال الاتصال، وجاءت الآية الثانية
لكمال الاتصال.

والجملة الثانية توكيدا للأولى، فقوله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا﴾ توكيد لقوله
تعالى: ﴿اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾.

أما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقْلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ

(١) تفسير سورة البقرة: ١ / ١٧٥.

(٢) تفسير سورة يس: ٧٢-٧٣، بتصرف.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَكَنُتُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿النساء: ٧٥ - ٧٦﴾، فقد أشار الشيخ -رحمه الله- إلى أن الآية الثانية جاءت بيانا للآية الأولى؛ حيث قال: «لما وَبَّخَ اللهُ ﷻ وتعجب من الذين لا يقاتلون في سبيل الله، بيَّن أن المقاتلين ينقسمون إلى قسمين، فقال: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وهذه جملة مكونة من مبتدأ وخبر... قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقِنُّونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾ هذه الجملة أيضًا مكونة من مبتدأ وخبر...»^(١). فقد جاءت الآيات السابقة في موضع كمال الاتصال.

ومن شواهد على شبه كمال الاتصال، الآتي:

قال تعالى: ﴿وَمَا أُبْرِيئُ نَفْسِي٤١ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ٤٢﴾ [يوسف: ٥٣]، فجاءت الجملة الثانية جوابًا عن سؤال نشأ من الجملة الثانية، قال -رحمه الله-: «كلتا الجملتين خبرٌ، لكن الثانية تعليل للأولى، فالجملة التعليلية بينها وبين الأولى فصل؛ فيجب الفصل لأنها تعليلٌ لها»^(٢).

ومن شواهد على كمال الانقطاع، الآتي:

عند قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ٦٤]، قال -رحمه الله-: «هذه الجمل عن شجرة الزقوم بينها انقطاع بلاغي؛ لأن الاتصال هو العطف بالواو، وهنا كل جملة مستقلة، والحكمة من ذلك من أجل أن يعلم الإنسان عن هذه الشجرة من كل آية بصفة مستقلة، كأن كل صفة مستقلة تغني عن بقية الصفات. فكونها فتنة للظالمين؛ هذا من أعظم ما يكون من الأوصاف التي يخاف منها عند إنكار هذه الشجرة»^(٣).

ويقف -رحمه الله- عند شواهد الوصل كما في قوله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ

(١) تفسير سورة النساء: ١ / ٥٣١-٥٣٢.

(٢) شرح دروس البلاغة: ٧٥.

(٣) تفسير سورة الصفات: ١٤٦.

وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴿٩٧﴾ [آل عمران: ٩٧]، فيخبر - رحمه الله - أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا﴾، على قولين لأهل العلم: «فمنهم من قال: إن هذه الجملة تابعة لما سبق، أي: تابعة لقوله: ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، فتكون من الآيات البينات، وهي أمنٌ مَنْ دخله حتى في زمن الجاهلية، ومن العلماء من قال: إنها جملة مستأنفة، وهي خبرية لفظاً إنشائية معنى، أي: من دخله فليكن آمناً، ولا يُتعرض له»^(١).

ويتضح موضع الوصل في التوسط بين الكمالين، أي بين حالتي كمال الانقطاع وكمال الاتصال.

في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣]، فقد تحقق الوصل بين الجملتين المتفتحتين في الخبر، حيث قال: «يتولى فريق منهم لا كلهم؛ لأن بعضهم قد هدي. هؤلاء الذين أوتوا نصيباً من الكتاب قد هداهم الله، وهم كثير، لكن تولى فريق منهم، ومع توليهم فإنهم معرضون - والعياذ بالله - ليس عندهم إقبال، لا في الظاهر ولا في الباطن، بل هم متولون معرضون. وإنما قال: ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ الآية - وهي جملة حالية من ﴿فَرِيقٌ﴾ وصحَّ مجيء الحال منها لأنها وصفت - إنما قال ذلك - لأن الإنسان قد يتولى لسبب طارئ، لكن في قلبه شيء من الإقبال. أما هؤلاء فإنهم متولون، وهم قد امتلأوا إعراضاً عن كتاب الله»^(٢).

لقد جاء تناول الفصل والوصل عند ابن عثيمين - رحمه الله - من خلال الآيات القرآنية بصورة لم يلتزم بها طريقة البلاغيين من حيث التوسع في ذكر المصطلحات، لكنه تناول ينم عن عمق وفهم لخصائص الأساليب وأسرار التعبير بها.

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٥٥٠.

(٢) السابق: ١ / ١٤٤ - ١٤٥.

٨) التعريف والتكبير:

التعريف والتكبير من الأساليب التي يجب أن يراعيها البليغ في الكلام. فلكل من التعريف والتكبير موضعه في كلمة دون أخرى، وما يحسن تعريفه لا يحسن تنكيهه، ولكل منهما إفادته التي يفيدها دون الآخر، فالأسباب التي تدعو لتعريف الكلمة غير تلك الأسباب التي تدعو لتكبيرها، وهو ما اعتمده عبد القاهر الجرجاني - رحمه الله - في دلائل الإعجاز.

والمعرفة ما دلّ على شيء بعينه، والنكرة ما دلّ على شيء لا بعينه، وأقسام المعرفة: المضمّر، والعلم، واسم الإشارة، والاسم الموصول، والمعرّف بالألف واللام، والمعرّف بالنداء، والمضاف إلى واحد منها إضافة معنوية. وتتفاوت النكرات أيضًا في مراتب التكبير، وكلما ازدادت النكرة عمومًا زادت إبهامًا في الوضع^(١).

وكثيرًا ما يشيد الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بالتعريف والتكبير باعتبارهما من الأساليب البلاغية التي تقتضيهما أحوال المخاطبين، ويقصدها المتكلم، حيث يقف - أحيانًا - على الأغراض التي يقتضيهما التعريف والدواعي التي يتطلبها التكبير، فكان حديثه دقيقًا في إصابته للأغراض واستنباطه للأسرار، وكان حديثه بالطبع وفق ما تناوله من الآيات القرآنية في أثناء تفسيره لها.

وسأسوق شواهد - رحمه الله - وفق تقسيم البلاغيين للتعريف والتكبير.

أولاً: التعريف:

لم تكن إشارة الشيخ - رحمه الله - إلى ما يتعلق بالمسند والمسند إليه وتوضيحهما بل كان حديثه عامًا.

١- التعريف بالإشارة:

يشير الشيخ أحيانًا إلى التعريف الموجود في الآية دون ذكره للنكتة البلاغية، وتارة أخرى يشير إلى تلك النكات البلاغية في الآية.

ومما أشار إليه - رحمه الله - للتعريف باسم الإشارة:

(١) ينظر: البرهان الكاشف: ١٣٣، التبيان: ٥٠، الطراز: ١ / ١١.

التشريف بالمشار إليه وعلو مكانته:

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [غافر: ٤٠]، «ففي قوله تعالى ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ (أولئك) باسم الإشارة الموضوع للبعيد إشارة لعلو منزلتهم وكأنك تنظر إليهم وهم فوق^(١)».

فاسم الإشارة (أولئك) أفاد العلو والتشريف للمشار إليه وهم من يدخلون الجنة.

- ومثله قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، «وهنا قال: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ ولم يقل: ولباس التقوى هو خير؛ لأن اسم الإشارة جيء به للبعيد إشارة إلى علو مرتبة هذا اللباس كما قال تعالى: ﴿الْمَعْرَىٰ ۚ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١ - ٢]، ولم يقل هذا الكتاب؛ إشارة إلى علو مرتبة القرآن كذلك قوله: ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ﴾ إشارة إلى علو مرتبة لباس التقوى، فينبغي للإنسان أن يعتني بهذا اللباس بأن يتقي الله عز وجل وأن يفكر دائما في سيئاته ومعاصيه، وتنظيف السيئات والمعاصي أسهل من تنظيف الثياب الظاهرة، الثياب الظاهرة تحتاج إلى عمل وتعب وأجرة وتحضير ماء ومنظف، لكن الأمر سهل جدا^(٢).

التحقير بالمشار إليه:

كما في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۗ فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَىٰ فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، «﴿فَأُولَٰئِكَ﴾: أتى باسم الإشارة الدال على البعد؛ وذلك لسفوله - أي هوى بعيدا؛ ﴿أَصْحَابُ النَّارِ﴾ أي أهلها الملازمون لها؛ وأكد ذلك بقوله تعالى: ﴿هُم فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٣). فالمشار إليه الذي تحققت فيه هذه الأوصاف حريٌّ بأن يدخل النار.

(١) تفسير سورة غافر، آية: ٤٠.

(٢) شرح رياض الصالحين: ١ / ٨٧٣.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٣٧٦.

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّوْلَاءٌ هَتُّوْلَاءٌ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ۗ ﴾ (٥١) أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿ [النساء: ٥١ - ٥٢]، «قوله: ﴿أَوْلَيْكَ﴾ المشار إليه هؤلاء الذين أوتوا نصيبًا وقالوا للكفار: أنتم خير فأنتم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً. وقوله: ﴿أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ هذه الجملة تفيد الحصر ﴿الَّذِينَ﴾ طرفاها المبتدأ والخبر، فالمبتدأ (أولاء) وهو اسم إشارة معرفة، والخبر: ﴿الَّذِينَ﴾ وهو اسم موصول معرفة»^(١).

وكقوله تعالى: ﴿ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ أَشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ [البقرة: ١٦]، «(أولاء) اسم إشارة؛ والمشار إليهم المنافقون؛ وجاءت الإشارة بصيغة البعد؛ لبعد منزلة المنافق سفولاً»^(٢).

الإشارة إلى تبين الأحكام:

٢- التعريف بالموصول:

أشار - رحمه الله - إلى بعض من الأغراض التي يؤتى من أجلها بالاسم الموصول، منها:

إفادة العموم والشمول:

قوله: ﴿ وَأَحِلَّ لَكُم مَّا وَرَاءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ [النساء: ٢٤]، «و (ما) اسم موصول يفيد العموم، فأى إنسان يقول: هذه المرأة حرام، نقول له: ائت بدليل»^(٣).

وكقوله: فقوله: ﴿ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ﴾ [التحريم: ١]، «(ما) اسم موصول يفيد العموم فهو شامل للزوجة، وللأمة، وللطعام، والشراب، واللباس»^(٤).

وكقوله: وقال تعالى: ﴿ إِنَّكَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [الحج: ٧٣]، «(ف) الذين: اسم موصول يشمل كل من يُدعى من دون الله، ﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾

(١) تفسير سورة النساء: ١ / ٤١٠.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١ / ٦٠.

(٣) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ١٢ / ١٢٥.

(٤) السابق: ١٣ / ٧٩.

[الحج: ٧٣]»^(١).

الإبهام:

قال تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦] ﴿مَا يَغْشَى﴾، أجهم الله ذلك للتفخيم والتعظيم، يعني غشيها شيء عظيم بأمر الله ﷻ بلفظة: كن فيكون، قال النبي ﷺ إنه غشيها من الحسن والبهاء ما لا يستطيع أحد أن يصفها»^(٢).

٣- التعريف بأل:

أشار -رحمه الله- إلى أقسام (أل) فهي: إما للعهد أو للجنس، وذلك من خلال تفسيره للآيات الكريمة:

قال: «(أل) المعرفة تكون على ثلاثة: للعهد، والاستغراق، وبيان الجنس، والذي يفيد العموم من هذه الأنواع الثلاثة: الاستغراقية»^(٣).

لام العهد:

ذكر -رحمه الله- أن (أل) للعهد تأتي على ثلاثة أنواع، وهي: «الذهني: وهو ما يفهم بالذهن. والذكرى: وهو ما سبق له ذكر. والحضوري: وهو ما عبر عن الوقت الحاضر؛ كقوله تعالى: ﴿ءَأَلْكَانَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٩١]، ف(أل) هنا للعهد الحضوري، وقوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، للعهد الحضوري، وكذلك كلما جاءت (أل) بعد اسم الإشارة فهي للعهد الحضوري، تقول: هذا الرجل، هذه المرأة، هذا الكتاب»^(٤).

ويفصل الحديث - رحمه الله - عن (أل)، حيث يقول: «والعهد الذهني: هو الذي يكون معلوماً عند الناس، كما لو تقول: سنذهب إلى القاضي للتحاكم عنده، فالمراد بالقاضي: قاضي البلد المعروف، فهو تعيين للإنسان بعينه. والعهد الذكرى: أن يسبق لهذا الذي دخلت

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢ / ٢٥٣.

(٢) تفسير سورة النجم: ٢١٢.

(٣) شرح الأصول: ٢٦٩.

(٤) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٢ / ٥٧٥-٥٧٦، وينظر: شرح الأصول: ٢٧٠-٢٧١.

عليه (أل) ذُكر؛ مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ ﴿﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦]، فالمراد بالرسول: الأول الذي هو موسى عليه السلام»^(١).

ومن حديث الشيخ - رحمه الله - أنطلق لتوضيح ما قاله من خلال وقوفه على شواهد القرآن الكريم:

أما لام العهد فهي كقوله تعالى: ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿﴾ [النجم: ١٦]، السدرة هي سدرة المنتهى؛ لأنه تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿﴾ ١٣ ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ﴿﴾ ١٤ ﴿﴾ [النجم: ١٤-١٣]، ﴿إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿﴾ و(أل) في مثل هذه العبارة تسمى عند النحويين (أل) للعهد الذكري كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿﴾ ١٥ ﴿﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ﴿﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦]»^(٢).

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴿﴾ [البقرة: ٣٥]، «أشار الله تعالى إلى الشجرة بعينها، و(أل) فيها للعهد الحضوري؛ لأن كل ما جاء ب(أل) بعد اسم الإشارة فهو للعهد الحضوري؛ إذ إن اسم الإشارة يعني الإشارة إلى شيء قريب؛ وهذه الشجرة غير معلومة النوع، فتبقى على إبهامها...»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿﴾ [البقرة: ٥٣]، يقول: «لأنه أُطلق عليها (أي التوراة) اسم ﴿الْكِتَابَ﴾؛ و(أل) هذه للعهد الذهني؛ فدل هذا على أنها معروفة لدى بني إسرائيل، وأنه إذا أُطلق الكتاب عندهم فهو التوراة؛ أيضًا سماها الله تعالى الفرقان، كما سمي القرآن الفرقان؛ لأن كلا الكتابين أعظم الكتب، وأهداهما؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبَعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿﴾ [القصص: ٤٩]، يعني

(١) السابق.

(٢) تفسير سورة النجم: ٢١٢.

(٣) تفسير سورة البقرة: ١ / ١٢٩.

التوراة، والإنجيل»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] «أي لا قدرة لنا؛ و(أل) للعهد الحضوري - أي: هذا اليوم -؛ يعنون به اليوم الذي شاهدوا فيه عدوهم»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نُجْزَوْنَ﴾ [الأنعام: ٩٣]،: «(أل) للعهد الحضوري، والمراد به: يوم حضور الملائكة لقبض أرواحهم، وهذا يقتضي أنهم يعذبون من حين أن تخرج أرواحهم، وهذا هو عذاب القبر»^(٣).

لام الجنس:

ذكر - رحمه الله - في (أل) لبيان الجنس، أنها «لا تعم الأفراد: فإذا قلت: الرجل خير من المرأة، أو: الرجال خير من النساء؛ فليس المراد أن كل فرد من الرجال خير من كل فرد من النساء، وإنما المراد أن هذا الجنس خير من هذا الجنس، وإن كان قد يوجد من أفراد النساء من هو خير من بعض الرجال، فلما لم تصدق هذه الكلية على سبيل العموم؛ علمنا أن (أل) هنا ليست للعموم»^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠]: «(العصا) معروفة؛ و﴿الْحَجَرَ﴾: المراد به الجنس؛ فيشمل أي حجر يكون؛ وهذا أبلغ من القول بأنه حجر معين»^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، يقول: «من فوائد الآية: أن

(١) السابق: ١ / ١٨٤.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٢٢٢.

(٣) مجموع الفتاوى: ٨ / ٤٨٦.

(٤) شرح الأصول: ٢٧١.

(٥) تفسير سورة البقرة: ١ / ٢٠٦.

الكتب السماوية كلها بيان للناس؛ لأن قوله تعالى: ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ المراد به الجنس لا العهد؛ فالله تعالى بيّن الحق في كل كتاب أنزله؛ لم يترك الحق غامضاً؛ بل بينه لأجل أن تقوم الحجة على الخلق؛ لأنه لو كان الأمر غامضاً لكان للناس حجة في أن يقولوا: ما تبين لنا الأمر»^(١).
ويتحدث-رحمه الله- عن أنواع (أل) قائلا:

«وقد تكون لاستغراق الجنس، وعلامتها: أن يحل محلها (كُلُّ)، مثل قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ﴾
﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١ - ٢]، أي: إن كل إنسان، ومثل قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]، أي: خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ. والتي للعهد: تكون للعهد الذكري، والعهد الذهني، والعهد الحُضُوري.

العهد الذهني: هو ما كان معهوداً بين الناس في أذهانهم، مثل: (قال النبي ﷺ)، مَنْ النبي؟ ... محمدٌ ﷺ. وتقول: (قضى القاضي بكذا وكذا). مَنْ القاضي؟ قاضي...؛ لأن (أل) للعهد الذهني.

وتكون للعهد الذكري: وهي التي تعود إلى شيء سابق، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾ [المزمل: ١٥ - ١٦]، ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥ - ٦]، العهد في (العُسْر) الثاني: عهد ذكري، ولهذا كان العُسْر الثاني هو العُسْر الأول، وصار المذكور في الآية عُسْرًا واحدًا وَيُسْرَيْنِ. الثالث: العهد الحُضُوري. ويكثر ذلك في كل مُحَلَّى ب(أل) يأتي بعد اسم الإشارة، كل مُحَلَّى ب(أل) يأتي بعد اسم الإشارة؛ فهو للعهد الحُضُوري.

تقول: (ذاك الرجل)، ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ [البقرة: ٢]، وإنما قلنا: إنه عهدٌ حُضُوري؛ لأن الإشارة تكون إلى شيء حاضر.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ﴿الْيَوْمَ﴾ يعني:

هذا اليوم الحاضر ﴿أَكَمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. وتقول: (قَدِمَ فَلَانُ الْيَوْمَ)، يعني: اليوم الحاضر»^(١). وفي قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦]، و«(أل) هذه لبيان الجنس، فيكون المراد بالهدي: الهدى المشروع ذبحه، وهو الذي بلغ السن المعتبر شرعاً، وسلم من العيوب المانعة من الإجزاء شرعاً، ويكون معنى قوله: ﴿فَمَا اسْتَيْسَرَ﴾ أي: بالنسبة لوجود الإنسان ثمه مثلاً»^(٢). وقد تلمس الشيخ - رحمه الله - بعضاً من أسرار التعريف ب(أل) ومن ذلك:

إفادة العموم والاستغراق:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٣]، يقول: «ومن فوائد الآية: تحريم جميع الميتات؛ لقوله تعالى: ﴿الْمَيْتَةَ﴾؛ و(أل) هذه للعموم إلا أنه يستثنى من ذلك السمك، والجراد، يعني ميتة البحر، والجراد؛ للأحاديث الواردة في ذلك؛ والمحرم هنا هو الأكل»^(٣).

وقال في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]،: «(أل) في ﴿الْحَمْدُ﴾ للاستغراق: أي استغراق جميع المحامد»^(٤).

٤- التعريف بالإضافة:

يفيد عدة أغراض، منها:

١- التشريف:

كما في قوله تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾ [البقرة: ١٢٥]، يقول: «﴿أَنْ﴾ تفسيرية؛ لأنَّ ﴿وَعَهْدَنَا﴾ فيه معنى القول دون حروفه؛ أي إنَّ العهد هو قوله تعالى: ﴿طَهَّرَا بَيْتِي﴾؛

(١) شرح ألفية ابن مالك الشريط ١/ باب العلم، وينظر: شرح الأصول: ٢٦٩-٢٧٠.

(٢) فقه العبادات: ١/ ٣١٦.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٢/ ٢٥٤-٢٥٥.

(٤) السابق: ١/ ٩.

و﴿طَهَّرَا﴾ فعل أمر؛ و﴿بَيْتِي﴾ المراد به الكعبة؛ وأضافها الله ﷻ إلى نفسه إضافة تشریف؛ والمراد تطهير البيت من الأرجاس الحسية والمعنوية»^(١).

ثانياً: التكرير:

عرض الشيخ -رحمه الله- للتكرير من خلال ما تفيدته النكرة في ظل السياق القرآني التي ترد فيه، وهو حديث لم يذهب به بعيداً عما قاله الأصوليون، ولم يتجاوز فيه التكرير إفادة العموم، فهو يتحدث عن النكرة في عدة سياقات:

١- سياق الإثبات:

وتفيد العموم :

من ذلك قوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]،: ﴿نَفْسٌ﴾، هنا نكرة لكنها بمعنى العموم؛ إذ إن المعنى: علمت كل نفس ما قدمت وأخرت، وذلك بما يُعرض عليها من الكتاب»^(٢).

وتفيد القلة:

في قوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤]،: ﴿أَيَّامًا﴾ نكرة؛ والنكرة تفيد القلة، وتفيد الكثرة، وتفيد العظمة، وتفيد الهون، بحسب السياق؛ وهي هنا لما قرنت بقوله تعالى: ﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ أفادت القلة؛ يعني: هذا الصيام ليس أشهراً؛ ليس سنوات؛ ليس أسابيع؛ ولكنه أيام معدودات قليلة؛ و﴿مَّعْدُودَاتٍ﴾ من صيغ جمع القلة؛ لأن جمع المذكر السالم، وجمع المؤنث السالم من صيغ جمع القلة؛ يعني: فهي أيام قليلة»^(٣).

(١) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٤٦.

(٢) تفسير جزء عم: ٨٨.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٣٢٠.

وتفيد الإطلاق:

في قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]، يقول: «كلمة ﴿بِحَدِيثٍ﴾ نكرة، والنكرة تدل على الإطلاق»^(١).

٢- تأتي النكرة في سياق النفي:

فهي تدل على العموم أيضاً ومن ذلك:

في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، «لا تدري أي نفس، نفس هنا نكرة في سياق النفي فتشمل كل نفس»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، «شيء نكرة في سياق النفي في قوله: ﴿لَا يَخْفَىٰ﴾ فتعم كل شيء، فكل شيء لا يخفى على الله في الأرض ولا في السماء»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا حَبَّةَ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، «حبة نكرة في سياق النفي وفي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، فهي نكرة في سياق النفي المؤكد، إذ يشمل كل ورقة صغيرة كانت أو كبيرة»^(٤).

٣- وتأتي النكرة في سياق الشرط:

ولا يتعد الشيخ -رحمه الله- عن سياق العموم أيضاً، حيث يتوقف عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتِغَاءُ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، «﴿عَفَىٰ لَهُ﴾ أي: القاتل، ﴿مِنْ أَخِيهِ﴾ المقتول، و﴿شَيْءٌ﴾ نكرة في سياق الشرط، فتعم أي جزء»^(٥).

وفي قوله تعالى: «قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس:

(١) تفسير سورة الطور: ١٩٣.

(٢) جلسات رمضانية: ١ / ٧٣.

(٣) شرح رياض الصالحين: ١ / ٦٧.

(٤) السابق.

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٤٨ / ١٤.

[٨٢]: إذا أراد شيئاً مهما كان؛ و﴿شَيْئًا﴾ نكرة في سياق الشرط، فتكون للعموم؛ ﴿أَمْرُهُ﴾ أي شأنه في ذلك أن يقول له: كن فيكون؛ أو ﴿أَمْرُهُ﴾ الذي هو واحد (أوامر)؛ ويكون المعنى: إنما أمره أن يقول: (كن)، فيعيده مرة أخرى...»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا﴾ [القمر: ٢]: «﴿آيَةً﴾ نكرة في سياق الشرط، أي آية يرونها يعرضون عنها ولا يقبلونها»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا لَا تَجْرِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨]، «أي لا تغني؛ و﴿نَفْسٌ﴾ نكرة في سياق النفي، فيكون عامًا؛ فلا تجزي، ولا تغني نفس عن نفس أبدًا. حتى الرسول ﷺ لا يغني شيئًا عن أبيه ولا أمه»^(٣).

ومما سبق يتضح مدى سبر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - لهذا الفن وتقسيماته، وهو يقترب اقترابًا شديدًا من كلام البلاغيين؛ بصوره وتفصيلاته وتعريفاته ومصطلحاته.

(١) تفسير سورة يس: ٣٠٦.

(٢) تفسير سورة القمر: ٢٦٣.

(٣) تفسير سورة البقرة: ١ / ١٧٢.

٩) الإطلاق والتقييد:

«إذا اقتصر في الجملة على ذكر جزئها (المسند إليه والمسند) فالحكم (مطلق) وذلك: حين لا يتعلق الغرض بتقييد الحكم بوجه من الوجوه؛ ليذهب السامع فيه كل مذهب ممكن. وإذا زيدَ عليهما شيء مما يتعلق بهما - أو بأحدهما، فالحكم (مقيد) وذلك: حيث يُراد زيادة الفائدة وتقويتها عند السامع، لما هو معروف من أن الحكم كلما كثرت قيوده ازداد إيضاحاً وتخصيصاً، فتكون فائدته أتم وأكمل»^(١).

والتقييد يكون بعدة أشياء كالتوابع، وضمير الفصل، وأدوات الشرط والنفي، والنواسخ، والحال، والتمييز، والمفاعيل الخمسة^(٢).

وقد تناول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - هذا الفن أثناء تفسيره، وفصل الحديث فيه وفق تناول الأصوليين له في كتابه الأصول، وشرحه؛ وقد عرف الإطلاق والتقييد بقوله: «تعريف المطلق: المطلق لغة: ضد المقيد، مثال ذلك: بعير يمشي في البر مفكوك القيد، نسميه مطلقاً.

واصطلاحاً: ما دلّ على الحقيقة بلا قيد، أي لا يدل إلا على حقيقة الشيء بلا قيد، مثل إنسان، حيوان، درهم، دينار، بيت، دار... وما أشبه»^(٣).

وعرّف - رحمه الله - المقيد بقوله: «المقيد لغة: ما جعل فيه قيد من بعير ونحوه.

واصطلاحاً: ما دلّ على الحقيقة بقيد كقوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ ۗ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانِ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، فخرج بقولنا: (قيد) المطلق»^(٤).

ثم تناول - رحمه الله - شواهد الإطلاق والتقييد من خلال تفسيره للآيات الكريمة، فمن شواهد الإطلاق، ما يأتي:

(١) جواهر البلاغة: ١٤٤.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢ / ١١٦ - ١٣٢، شرح: د. محمد خفاجي.

(٣) شرح الأصول: ٣٢٦.

(٤) السابق: ٣٢٨.

قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا﴾ [المجادلة: ٣]، لقد تناول الشيخ -رحمه الله- الآية وفق طريقة الأصوليين، فقال: «فكلمة ﴿رَقَبَةٍ﴾ هنا من باب المطلق، وليست من باب العام؛ لأنها تصدق بواحد، فلو أعتقت رقبة واحدة صرت ممتثلاً للأمر؛ لأنه لا يلزمي أن أعتق جميع الرقاب إنما أعتق واحدة من الرقاب، ولم توصف الرقبة الآن بصفة، ولو وصفت لكان هذا تقييداً، لكنها لم توصف، فهي مطلقة»^(١). وقال في موضع آخر: «هذا يشمل كل رقبة: صغيرة، أو كبيرة، مؤمنة، أو كافرة، ذكراً، أو أنثى، سليمة من العيوب، أو معيبة... إلخ. فهذا اللفظ مطلق يشمل كل هذه الأشياء، لكن يتناول أمراً واحداً لا بعينه غير محدد. وأيضاً من ذلك: لو قلت: (أكرم رجلاً)، هذه نكرة في سياق الإثبات فتدل على الإطلاق»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ [النساء: ١٠١]، فقال: «وهذا مطلق، لم يُقيد بيومين أو ثلاثة أو أربعة أو عشرة، فدل ذلك على أن كل ما يسمى ضرباً في الأرض فإنه تقصر فيه الصلاة، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-... ودليله الإطلاق»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَأَعْتَرِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، قال -رحمه الله-: «ولم يرد تقييده بيوم وليلة، ولا بأنه لا بد أن يكون بين الحيضتين ثلاثة عشر يوماً. إذن: الحيض علل بعلّة، وهو كونه أذى، فمتى وجد ذلك فهو حيض. وهذه القاعدة التي ذكرناها هنا قاعدة تنفعك في كل أبواب العلم، حتى في أسماء الله وصفاته، فما جاء مطلقاً فالواجب عليك إبقاؤه على إطلاقه إلا بدليل»^(٤). فيعلم أن الأصل في كتاب الله **وَجَبَلُ** الإطلاق ما لم يقيد.

وقال تعالى في آية الوضوء: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]،

(١) شرح الأصول: ٣٢٦.

(٢) العقد الثمين: ٢٦٢.

(٣) تفسير سورة النساء: ٢ / ١٣٤، بتصرف، وينظر: شرح الأصول: ٣٢٩.

(٤) شرح الأصول: ٣٣٠.

وقال في آية التيمم: ﴿فَأَمْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ﴾ [المائدة: ٦]، أشار - رحمه الله - إلى (الأيدي) في الآيتين، فقال: «عندنا (أيدي) مطلقة في التيمم مقيدة في الوضوء بقوله: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ فلا نحمل آية التيمم على آية الوضوء؛ لأن الحكم مختلف»^(١).

وقال - رحمه الله -: «وفي قوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ﴾ [الطور: ٣٤]، كلمة (حديث) نكرة، والنكرة تدل على الإطلاق، لكن جاء في آية أخرى أن الله قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَآتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، وجاء في آية أخرى الإخبار بأنه لن يستطيع أحد أن يعارض القرآن، فقال تعالى: ﴿قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، فتبين بطلان قولهم»^(٢).

ومن شواهد التقييد، ما يأتي:

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦] «أي: إن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك والخطاب للرسول ﷺ و (إن): شرطية، وجواب الشرط جملة: (فإنك إذن) و (إذن) أي: حال فعلك من الظالمين، وهو قيد، لأن (إذن) للظرف الحاضر، أي: فإنك حال فعله من الظالمين»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ نَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢]، يقول - رحمه الله -: «قوله: ﴿الْمُضْطَرَّ﴾: ... أي: الذي أصابه الضرر... فلا يجيب المضطر إلا الله، لكن

(١) السابق: ٣٣٤-٣٣٥.

(٢) تفسير سورة الطور: ١٦.

(٣) القول المفيد: ١ / ٢٦٤.

قيده بقوله: ﴿إِذَا دَعَاهُ﴾، أما إذا لم يدعه، فقد يكشف الله ضره، وقد لا يكشفه»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَنَلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهُمْ فَلَا عُدُونَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾

[البقرة: ١٩٣]، قال: «من فوائد الآية: أن الأمر بقتالهم مقيد بغايتين؛ غاية عدمية: ﴿حَتَّى لَا

تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي حتى لا توجد فتنة؛ و(الفتنة) هي الشرك، والصد عن سبيل الله؛ والغاية الثانية

إيجابية: ﴿وَيَكُونَ لِلَّهِ﴾ بمعنى: أن يكون الدين غالبًا ظاهرًا لا يعلو إلا الإسلام فقط؛ وما

دونه فهو دين معلو عليه يؤخذ على أصحابه الجزية عن يد وهم صاغرون»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٦]، قال - رحمه الله - : «للتأكيد على أن

هذه الأيام العشرة وإن كانت مفرقة فهي في حكم المتابعة»^(٣). وهو تقييد بالنعته لإفادة

التأكيد.

وقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ

الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨] «قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾؛

﴿السِّلْمِ﴾، فيها قراءتان: بفتح السين؛ وبكسرهما؛ والمراد به الإسلام؛ وهو الاستسلام لله -

تعالى - ظاهرًا، وباطنًا.

فإن قال قائل: كيف يقول: ﴿أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً﴾ ونحن قد عرفنا من قبل أن

الإيمان أكمل من الإسلام؛ لقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا

يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، قلنا: إن هذا الأمر مقيد بما بعد قوله: ﴿فِي السِّلْمِ﴾؛

وهو قوله تعالى: ﴿كَآفَّةً﴾؛ فيكون الأمر هنا منصبًا على قوله تعالى: ﴿كَآفَّةً﴾؛

و﴿كَآفَّةً﴾ اسم فاعل يطلق على من يكف غيره؛ فتكون التاء فيه للمبالغة، مثل: راوية،

ساقية، علامة... وما أشبه ذلك؛ والتاء في هذه الأمثلة للمبالغة؛ فيكون ﴿كَآفَّةً﴾ بمعنى

(١) السابق: ١ / ٢٧٣-٢٧٤، بتصرف.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٣٨٣.

(٣) السابق: ٢ / ٣٩٤.

كافاً؛ والتناء للمبالغة»^(١).

في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ [النساء: ٩٢]، قال الشيخ عنها -رحمه الله-: «القيد هو ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾، هذا الوصف قيدها... لو قلت: أكرم طلبة مجتهدين، فكلمة (طلبة) مطلق، إذن (مجتهدين) ورد على مطلق، فيكون قيدها؛ فلو كان هناك عشرة طلبة، كلهم مجتهدون، فأكرم ثلاثة منهم امتثالاً، لكن لو كانت عامة للزم إكرام العشرة»^(٢).
ويذكر الشيخ - رحمه الله - أنه قد يجتمع التقييد والإطلاق في كلمة واحدة، كقول الله تعالى: ﴿فَتَحْرِيْرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَآسَا﴾ [المجادلة: ٣]، فكونها رقبة هذا مطلق، وكونها رقبة مؤمنة - على قول - مقيد، فيقول: «نعم، لو قلت: أعتق مؤمنة، ربما نقول التقدير: أعتق رقبة مؤمنة، مثل قوله: ﴿أَنْ أَعْمَلَ سَلِيْعَتٍ﴾ [سبأ: ١١]، أي: دروعاً سابغات»^(٣).
ومما سبق يتضح لنا أن الشيخ - رحمه الله - يتناول هذا المبحث وفق ما تناوله البلاغيون؛ فيذكر ما في الآية من إطلاق أو تقييد ويأتي بما يقابلها، ويشير إلى التقييد في الآية دون تحديد نوعه غالباً، ويزيد توضيح الشاهد بالأمثلة القريبة من عنده.

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٥-٦.

(٢) شرح الأصول: ٣٢٨.

(٣) السابق: ٣٣٣.

المبحث الثاني في علم البيان

ويشتمل على ما يلي:

- ١ - التشبيه.
- ٢ - المجاز.
- ٣ - الاستعارة.
- ٤ - الكناية والتعريض.

توطئة:

علم البيان هو الفن البلاغي الثاني بعد (المعاني) وهو من أجل العلوم نفعًا، وأشرفها غاية ومقصدًا.

تعريف البيان:

البيان في اللغة: «الفصاحة واللسن، وكلام بيّن: فصيح. والبيان: الإفصاح مع ذكاء. والبيّن من الرجال: الفصيح...»^(١).

وقد عرّف البلاغيون البيان بأنه: «علم يعرف به إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه، مع مطابقة كلٍّ منها لمقتضى الحال»^(٢).

ويرى السعد أن يقال في علم البيان أنه: «علم يبحث في التشبيه والمجاز والكناية»^(٣). وبذا يُخرج مبحث (الدلالة) من تعريفه.

ويُقدم التشبيه على الاستعارة؛ وذلك لأن الاستعارة مبنية عليه، فهو منها بمنزلة الأساس من البناء، أو بمنزلة الأصل من الفرع. ويُقدم المجاز على الكناية لأنه بمنزلة الجزء من الكل، ويُقدم الكل على الجزء كما هو معروف؛ وذلك لأن المعنى المقصود من المجاز هو اللازم فقط لقيام قرينة على عدم إرادة المعنى الحقيقي. أما الكناية فالمعنى المقصود منها هو اللازم مع جواز إرادة الملزوم الذي هو المعنى الحقيقي^(٤).

وقد تناول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- هذا المبحث في تفسيره للقرآن تارة بالإشارة إلى موضعه في الآيات، وتارة بالوقوف عليه وبيان غرضه وصوره.

لذا سأتناول الحديث عن هذا الفن وفق ما تناوله الشيخ -رحمه الله- من شواهد علم

البيان، وهي كالتالي:

(١) ينظر: اللسان: (بين).

(٢) الإيضاح: ٢/ ٢١٥، شرح: د. محمد خفاجي، التلخيص: ٢٣٥.

(٣) المطول: ٣٠٩.

(٤) ينظر: المفتاح: ٣٣٠-٣٣١، الإيضاح: ٢/ ٢١٦، شرح: د. محمد خفاجي، شروح التلخيص: ٣/ ٢٨٦، المطول:

٣٠٨-٣٠٩.

١- التشبيه:

حظي مبحث التشبيه عند البلاغيين بعناية كبيرة، فهو يُعد من أقدم عناصر البيان، وأكثرها ورودًا عند القدماء، ويضفي على المعنى حسنًا وبهاءً، ويزيده قوة وجلالًا، والحق أنه «مما اتفق العقلاء على شرف قدره، وعن تعقيب الأماني به، ولا سيما قسم التمثيل منه يكسبها أبهة، ويكسبها منقبة، ويرفع من أقدارها، ويشبّ من نارها، ويضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ويدعو القلوب، ويستثير لها من أقاصي الأفتدة صباية وكلفًا...»^(١).

ويؤكد المبرد أن التشبيه: «جار في كثير من الكلام -كلام العرب - حتى لو قال قائل: إنه أكثر كلامهم لم يبعد»^(٢).

تعريف التشبيه:

والتشبيه في اللغة: التمثيل. جاء في اللسان: «الشَّبُّ والشَّبُّ والشَّبُّ: المِثْل، والجمع أشباه. يقال: أشبهت فلانًا وشابهته واشتبه عليّ، وتشابه الشيطان. وأشبه الشيءُ الشيءَ: ماثلته»^(٣). وفي الصحاح: «والتشبيه: التمثيل، وأشبهت فلانًا وشابهته»^(٤).

والتشبيه في الاصطلاح: «الدلالة على مشاركة أمر لأمر آخر في معنى مشترك بينهما بإحدى أدوات التشبيه لفظًا وتقديرًا، لغرض يقصده المتكلم»^(٥).

أركان التشبيه:

وللتشبيه أربعة أركان هي: «المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، ويُطلق على المشبه والمشبه به اسم (طرفي التشبيه) وهما الركنان الأساسيان في التشبيه. وينقسم باعتبارهما إلى أربعة أقسام:

(١) التلخيص في علوم البلاغة: شرح البرقوقى: ٢٣٨.

(٢) الكامل: ١٠٣-٧٩ / ٢.

(٣) اللسان: (شبه).

(٤) مختار الصحاح: ٣٢٨.

(٥) الإيضاح: ٢١٧، وينظر: نقد الشعر: ١٢٤، النكت: ٧٤، الصناعتين: ٢٦١، مفتاح العلوم: ٣٣٢، المصباح:

الأول: أن يكونا حسيين.

الثاني: أن يكونا عقليين.

الثالث: تشبيه المعقول بالمحسوس.

الرابع: تشبيه المحسوس بالمعقول»^(١).

أما أداة التشبيه؛ فهي: «اللفظة التي تدل على المماثلة والمشاركة»^(٢)، وهي أنواع: «أولاً:

أسماء، وهي: مثل وشبه وشبيه ومثيل وغيرها.

الثاني: أفعال، وهي: حسب وخال وظن ويشبه وتشابه وغيرها.

الثالث: حروف، وهي بسيطة كالكاف، أو مركبة وهي (كأن)»^(٣).

أنواع التشبيه:

وللتشبيه أنواع كثيرة باعتبارات مختلفة؛ ومنها:

التشبيه المطلق:

وهو: «أن تشبه شيئاً بشيء من غير عكس ولا تبديل»^(٤).

التشبيه البليغ:

وهو ما حذف فيه الأداة والوجه معاً. وهو كثير شائع في الكلام الفصيح، وفي القرآن الكريم قدر منه مستفيض، وهو أعلى أقسام التشبيه البيانية بعد المركب والتمثيلي؛ لاشتماله على دعوى الاتحاد بين الطرفين، وعلى دعوى عموم الاشتراك بينهما. وصيغته «هي أقوى الجميع»^(٥)، «لإثبات المشبه به في الظاهر للمشبه، وحذف الوجه فقد اجتمع فيه القوتان»^(٦).

(١) نهاية الإيجاز: ٥٩، وينظر: البرهان: ٣ / ٤٢٠.

(٢) الجمان في تشبيهات القرآن: ٤٣.

(٣) نهاية الإيجاز: ٦٥، مفتاح العلوم: ١٥٩، الإيضاح: ٢٢٠.

(٤) حسن التوسل: ١١٥، نهاية الأرب: ٧ / ٤٢.

(٥) بغية الإيضاح: ٣ / ٨١.

(٦) عروس الأفراح: ٣ / ٤٧١.

التشبيه التخيلي أو الوهمي:

وهو ما ليس مدرّكًا بشيء من الحواس الخمس الظاهرة؛ والسبب في عدم إدراكه عدم وجوده، ولذلك امتاز عن العقلي الخالص، فلا وجود لمادته ولا لنفسه حتى يدرك هو أو مادته بالحواس^(١).

التشبيه التمثيلي:

وهو أرقى أنواع التشبيه عند عبد القاهر وحصره بالوجه المتأول^(٢). ويراد بالتشبيه التمثيلي عند جمهور البلاغيين: ما كان وجه الشبه فيه وصفًا منتزعًا من متعدد أمرين أو أمور^(٣)، سواء أكان الوجه حسيًا أم عقليًا. أما السكاكي فيرى أن الوجه ما كان فيه مركبًا عقليًا^(٤).

التشبيه الحسي:

وهو: «المدرّك هو أو مادته بإحدى الحواس الخمس الظاهرة»^(٥).

التشبيه المقلوب:

الأصل في التشبيه أن يشبه الشيء بما هو أبين منه وأوضح وأقوى في وجه الشبه. وقد يكون غرض المتكلم مبالغة أقوى، فيجعل المشبه مشبهًا به، ليكون أتمّ وأقوى في وجه الشبه حتى صار أهلاً يقاس عليه ويشبه به، وهو ما يسمى بالتشبيه المقلوب^(٦). ويسمى المعكوس، سماه ابن الأثير: الطرد والعكس^(٧). وسماه العلوي: التشبيه المنعكس، وقال: «اعلم أنّ هذا النوع من التشبيه يرد على العكس والندور، وبابه واسع هو الاطراد. وإنما لقب بالمنعكس لما كان

(١) ينظر: نهاية الإيجاز: ٦١.

(٢) أسرار البلاغة: ٩٥.

(٣) ينظر: الإيضاح: ٢٥٣، التلخيص: ٢٧٤.

(٤) مفتاح العلوم: ٣٤٦.

(٥) الإيضاح: ٢١٩، وينظر: التلخيص: ٢٤٣، شروح التلخيص: ٣/٣١٤، المطول: ٣١٢، الأطول: ٦٧/٢.

(٦) ينظر: المثل السائر: ١/٤٢١، بغية الإيضاح: ٣/٤٣، شروح التلخيص: ٣/٤٠٧.

(٧) المثل السائر: ١/٤٢١.

جاريا على خلاف العادة والإلف في مجاري التشبيه وقد يقال له: غلبة الفروع على الأصل»^(١).

تشبيه المحسوس بالمعقول:

وهو: «تشبيه ما يدرك بالحس بما لا يدرك به»^(٢).

تشبيه المعقول بالمحسوس:

وهو: «إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، وذلك أن يكون المشبه عقليًا والمشبه به حسيًا»^(٣).

التشبيه المركب:

هو: «التشبيه الذي يتحد فيه المشبه والمشبه به ويكون مركبًا من شيئين أو أكثر»^(٤).

وقفات الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - مع التشبيه:

وللشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - وقفات مع التشبيه في تفسيره للآيات الكريمة، وللوقوف على تلك الشواهد، سأتناول الحديث فيه بحسب ما تعرض له - رحمه الله - في تفسيره من الوجوه والأنواع، وذكره لأداة التشبيه في الآيات، ومن ذلك:

أداة التشبيه:

أشار الشيخ إلى أداة التشبيه في الشاهد البلاغي، ولا تعدو كونها إشارات عامة - في كثير منها -، ومن ذلك:

في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُنِبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُنِبَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، «قوله تعالى: ﴿كَمَا كُنِبَ﴾؛ (ما) مصدرية؛ والكاف حرف جر؛ وتفيد التشبيه؛ وهو تشبيه للكتابة بالكتابة، وليس للمكتوب بالمكتوب؛ والتشبيه بالفعل دون المفعول أمر مطرد، كما في

(١) الطراز: ١ / ٣٠٩.

(٢) البرهان: ٣ / ٤٢٠، وينظر: خزانة الأدب: ١٨٣.

(٣) خزانة الأدب: ١٨٢.

(٤) أسرار البلاغة: ١٧٦.

قوله ﷺ: ((إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر))^(١): التشبيه هنا للرؤية بالرؤية؛ لا للمرئي بالمرئي؛ لأن الكاف دخلت على الفعل الذي يؤول إلى مصدر^(٢). فهنا صرح بأن الكاف هي حرف التشبيه.

ومثله قوله تعالى: ﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩]، «والكاف اسم بمعنى (مثل)؛ فالمعنى: أو مثل صيب؛ ويجوز أن نقول: إن الكاف حرف تشبيه، والتقدير: أو مثلهم كصيب»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٣]، «القائل هنا مبهم للعموم. أي ليعم أي قائل كان؛ والكاف للتشبيه»^(٤). كما تدل الكاف على التشبيه عندما يتصل بها اسم الإشارة (ذلك)، فيكون هو المشبه^(٥).

وقال - رحمه الله -: «الكاف المفردة: تأتي جارة وغير جارة، والجاراة إما اسم وإما حرف، فللحرفية خمسة معانٍ:

[الأول]: التشبيه»^(٦).

وفي كأن، قال - رحمه الله -: «كأنَّهَمْ لَا يَعْلَمُونَ» [البقرة: ١٠١]: «(كأن) لها معنى، ولها عمل؛ عملها: عمل (إن) تنصب الاسم وترفع الخبر؛ وأما معناها: فهو هنا التشبيه»^(٧).

وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٤]. «أي صفة ما وقع لهم؛ و(المثل) يكون بمعنى الصفة، مثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾ [الرعد: ٣٥] أي صفتها

(١) أخرجه البخاري: ٢٣٠ / ١، (٥٠٢٩)، ومسلم: ٤٣٩ / ١، (٦٣٣).

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣١٦ / ٢.

(٣) السابق: ٦٦ / ١.

(٤) السابق: ٤٨ / ١.

(٥) لمزيد من الشواهد ينظر: تفسير سورة البقرة: ٤٨ / ١، ٦٦، ١٠٩ / ٢، ٢٣١، ٤٢٦، ١٨٠ / ٣، سورة آل عمران:

١ / ٦٤، شرح العقيدة السفارينية: ٥٤٦.

(٦) مختصر مغني اللبيب: ٧٧.

(٧) تفسير سورة البقرة: ٣٢٤ / ١، وينظر: شرح صحيح البخاري: ٤٧٣ / ٢، في مجيء (كأن) للتشبيه والتمثيل لها.

كذا، وكذا؛ ويكون بمعنى الشبه، كقوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ [البقرة: ١٧]، أي شبههم كشبه الذي استوقد نارًا^(١). وهاهنا يشير إلى معنى (مثل) وما تفيده.

ومما جاء من شواهد الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في التشبيه، ما يأتي:

التشبيه المطلق:

ففي قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤]. يبين ما في الآية من تشبيه، فيقول - رحمه الله-: «﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ تشبيه، والأعلام جمع علم وهو الجبل، كما قال الشاعر:

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتُمُّهُ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ^(٢)

كأنه جبل، ومن شاهد السفن في البحار رأى أن هذا التشبيه منطبق تمامًا عليها، فهي كالجبال تسير في البحر بأمر الله ^(٣) «وَجَلَّكَ».

التشبيه البليغ:

وقد وقف الشيخ -رحمه الله- على شواهد التشبيه البليغ، ووضح معنى التشبيه البليغ بقوله: «التشبيه البليغ: هو الذي حُذفت فيه أداؤه الشبه ووجه الشبه، تقول: (محمدٌ كالبحر في الكرم)، كيف نجعله بليغًا؟ نقول: (محمدٌ بحرٌ)، هذا بليغٌ؛ وسمي بليغًا لأنك بالغت في التشبيه حتى جعلت المشبّهة نفس المشبّه به»^(٤).

ومن تلك الشواهد على هذا النوع من التشبيه، ما يأتي:

قوله تعالى: «﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]، وفي سورة آل عمران: ﴿عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. ولا منافاة؛ لأن الأول: عرضها كعرض السماء تشبيه. والثاني: عرضها السماوات والأرض أيضًا تشبيه، لكن يسميه أهل البلاغة

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٣٨-٣٩.

(٢) البيت للخنساء: ديوان الخنساء: ٢٣١، الأغاني: ٩ / ٣٨٣.

(٣) تفسير سورة الرحمن: ٣١٠.

(٤) شرح دروس البلاغة: ٩٩.

تشبيهاً بليغاً»^(١). ويفصّل -رحمه الله- الحديث عن التشبيه البليغ في هذا الشاهد مبيناً الفرق بينه وبين غيره، وسبب كونه بليغاً؛ قائلاً: «والفرق بينهما أن التشبيه هنا بليغ، وأما التشبيه هناك فليس ببليغ، يعني من حيث الاصطلاح. وإلا فكل القرآن بليغ؛ لأنهم يقولون: التشبيه بليغ مؤكد، وغير مؤكد، وبليغ غير بليغ إذا ذكرت الكاف، فإذا ذكرت أداة التشبيه فهو غير بليغ، وإذا حذف أداة التشبيه ووجه الشبه صار بليغاً، وهنا حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه، أما إذا ذكرت أداة التشبيه فإنه يسمى تشبيهاً مرسلًا، وإذا ذكرت وجه الشبه صار مرسلًا غير مؤكد»^(٢).

فهو هنا قد وضّح الفرق بين التشبيه البليغ وغير البليغ، والمرسل وغير المرسل، ثم يسترسل -رحمه الله- في الحديث عن التشبيه وأنواعه، مدعمًا هذا التوضيح للفروق بالأمثلة، فيقول: «فلان كالبحر كرمًا، وإن شئت فقل: في الكرم، هذا التشبيه فيه كل الأركان الأربعة؛ لأن التشبيه له أركان أربعة مثل القياس، مشبه، ومشبه به، وأداة التشبيه، ووجه الشبه، باعتبار ذكر أداة التشبيه يسمى مرسلًا، وباعتبار ذكر وجه الشبه يسمى غير بليغ، يعني أن هذا أدنى أنواع التشبيه إذا ذكر المشبه والمشبه به وأداة التشبيه ووجه الشبه، فهذا أدنى أنواع التشبيه. وإذا حذفت أداة التشبيه وذكر وجه الشبه صار مؤكدًا لكن غير بليغ؛ لأنك إذا قلت: (فلان بحر في الكرم) أكدت أنه بحر في الكرم لكن نقصت قليلًا، فإذا حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه صار تشبيهاً بليغاً، كما إذا قلت: (فلان بحر)، فإذا قلت: رأيت بحرًا يعطي الدراهم بلا عدّ، صار هذا أبلغ من الأول، ويسمى هذا استعارة على كل حال: ﴿عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾، هذا التشبيه بليغ؛ لأنه حذفت منه أداة التشبيه ووجه الشبه، فيكون بليغاً»^(٣).

ومما سبق يظهر بجلاء ادراك الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- للتشبيهات، ورصد الفروق بينها، كما هي عند علماء البلاغة.

(١) تفسير سورة الحديد: ٤٠٨.

(٢) تفسير سورة آل عمران: ٢/١٦٧.

(٣) السابق: ٢/١٦٧-١٦٨.

تشبيه التمثيل:

والشيخ -رحمه الله- يقف عند شواهد هذا النوع، ويذكر الفرق بين التشبيه والتمثيل، كما في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾ [آل عمران: ١١٧]. «هذا تشبيه تمثيلي؛ لأن التشبيه يقولون: إنه نوعان: تشبيه إفرادي مثل أن نقول: فلان كالبحر، فلان كالأسد. وتشبيه تمثيلي بمعنى أن تشبه الهيئة بالهيئة، فيكون المشبه شيئاً مؤلفاً من عدة أمور، والمشبه به كذلك يكون شيئاً مؤلفاً من عدة أمور، فيسمى عند البلاغيين تشبيهاً تمثيلاً، والأول تشبيهاً إفرادياً»^(١).

إذا فالشيخ يتابع بعض البلاغيين في مسألة التفريق بين التشبيه والتمثيل. ثم إنه -رحمه الله- يبرز الطرفين من خلال تحليله للآية، بقوله: «الصورة الآن: ريح شديدة فيها برودة عظيمة ولها صرير من شدتها... هذه حال الكفار إذا أنفقوا أموالهم فلن ينتفعوا بها إطلاقاً، كمثل ريح فيها صرٌّ أصابت حرت قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته»^(٢). ثم يبين وجه الشبه، قائلاً: «ووجه الشبه ظاهر؛ لأنهم سلطوا على أموالهم تسليطاً عظيماً لكن لم ينتفعوا بهذا التسليط وعادت هباءً كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦]»^(٣).

ونظيره قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]. «وهذا المثل مطابق لحال المنافقين تماماً وهو من أمثل التمثيل كما في علم البلاغة، فهذا رجل احتاج إلى نار يستدفئ بها ويستنير بها، ولكن ليس معه ما يستنير به فاستوقد ناراً من شخص، أي طلب أن يوقد له ناراً، فأوقد له النار، فلما تبين ضوءها من الشعلة طُفئت الشعلة، فبقي في ظلمة بعد أن كان في نور، وبقيت حرارة النار التي قد يكون فيها ضرر»^(٤). والتشبيه التمثيل من قبيل الاستعارة التي سنوردها في هذا

(١) السابق: ٢ / ٨٨.

(٢) السابق: ٢ / ٨٩، بتصرف.

(٣) السابق: ٢ / ٨٩.

(٤) أحكام من القرآن الكريم: ٩٦.

المبحث - بإذن الله -.

وفي قوله تعالى: ﴿خُشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧]، يقول الشيخ -رحمه الله- معلقًا على هذه الآية: «وهذا من أدق التشبيهات؛ لأن الجراد المنتشر تجده يذهب يمينًا ويسارًا لا يدري أين يذهب، فهم سيخرجون من الأجداث على هذا الوجه»^(١). وهي صورة متكاملة تمثل حال خروج الأموات من قبورهم بالجراد المنتشر.

والشيخ يُقعد للمثل بأنه لا يأتي مفردًا، يقول: في قوله تعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ١٣]: «(اضرب) بمعنى اتخذ؛ لأن الضرب يدل على صناعة وتكييف... فشبه ذكر المثل للاعتبار به بصناعة الشيء؛ لأن المثل يشتمل غالبًا على هيئة متكاملة مركبة من أجزاء متعددة؛ ولهذا لا يأتي المثل في تشبيه مفرد بمفرد، إنما يأتي المثل في تشبيه صورة مشتملة على أجزاء متعددة بصورة، فلهذا سمي ضربَ مثل»^(٢).

وكما في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا بُطْلُوهَا صَدَقْتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

فالشيخ -رحمه الله- يذكر صورة تلك التشبيه ومعناه: «فإن لم يصبها المطر الشديد أصابها طل - وهو المطر الخفيف، ويكفيها عن المطر الكثير؛ لأنها في أرض خصبة مرتفعة بينة للشمس والهواء؛ والمثل منطبق: فقد شبه هذا الذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله، وتشبيهاً من نفسه بهذه الجنة. وهل المشبه نفس الرجل أو النفقة؟ الجواب: المشبه هو النفقة؛ ولهذا قال بعضهم: إن التقدير: (مثل إنفاق الذين ينفقون أموالهم كمثل جنة)؛ ويحتمل أن التقدير: (كمثل صاحب جنة)؛ فيكون المشبه (المنفق) لا (الإنفاق)؛ وقال بعضهم: لا حاجة إلى التقدير للعلم به من السياق، وأن هذا من بلاغة القرآن، حيث طوى ذكر الشيء لدلالة

(١) تفسير سورة القمر: ٢٦٦.

(٢) تفسير سورة يس: ٥٣.

السياق عليه»^(١).

ثم يذكر -رحمه الله- بلاغة القرآن في هذا الفن؛ فيقول: «من فوائد الآية: ... بلاغة القرآن في التشبيه؛ لأنك إذا طابقت بين المشبه، والمشبه به، وجدت بينهما مطابقة تامة. ومنها - أي من فوائد الآية -: إثبات كون القياس دليلاً صحيحاً؛ وجه ذلك: التمثيل، والتشبيه؛ فكل تمثيل في القرآن فإنه دليل على القياس؛ لأن المقصود به نقل حكم هذا المشبه به إلى المشبه»^(٢). وهو تشبيه معقولٍ محسوس.

التشبيه المقلوب:

وقد ذكر الشيخ -رحمه الله- التشبيه المقلوب، أو كما يسميه بعضهم: (المعكوس)؛ عند وقوفه على تفسير الآيات الكريمة، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]. يذكر ما في الآية من تشبيه مقلوب، فيقول: «وفي هذه الجملة بيان أن الذكر لا يماثل الأنثى، وكأنَّ الإنسان يحدث نفسه ويقول: إن مقتضى الحال أن تكون العبارة: (وليس الأنثى كالذكر)؛ لأن العادة أن الأدنى هو الذي يُشبه بالأعلى، فهنا: (ليس الأنثى كالذكر) أقرب إلى بادي الرأي من ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ ولهذا ادعى بعض العلماء أن في التشبيه قلباً؛ والتشبيه المقلوب أسلوب من أساليب اللغة العربية، ولا سيما عند الشعراء في العصور الوسطى، حتى بالغ بعضهم في التشبيه المقلوب فيقول:

وَبَدَا الصَّبَاحُ كَأَنَّ غُرَّتَهُ وَجْهَ الْخَلِيفَةِ حَيْنَ يُمْتَدِّحُ^(٣)

فالصباح الذي يملأ الأفق ويضيء الدنيا، كأنَّ غرته - بياضه - وجه الخليفة إذا امتدح، هذا من المبالغة الكريهة في الواقع»^(٤). والشيخ -رحمه الله- هنا يفصح عن الغرض الذي يفيدته التشبيه المقلوب في هذا البيت وهو (قصد المبالغة).

وفي قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٣٢٧.

(٢) السابق: ٣ / ٣٢٣.

(٣) البيت لمحمد بن وهب، عيار الشعر: ١ / ٣٢، كتاب الصناعتين: ١ / ٢٣.

(٤) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٢١٦-٢١٧.

أَمَسَّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴿البقرة: ٢٧٥﴾ قال: «شبهه تصرفاتهم العشوائية الجنونية المبنية على الربا العظيم - الذي يتضخم المال من أجله - بالإنسان المصروع الذي لا يعرف كيف يتصرف؛ وهذا قول كثير من المتأخرين... وأنهم عمي عليهم الفرق بين البيع والربا؛ أو أنهم كابروا فألحقوا الربا بالبيع؛ ولذلك عكسوا التشبيه، فقالوا: إنما البيع مثل الربا، ولم يقولوا: إنما الربا مثل البيع، كما هو مقتضى الحال»^(١).
فقد بلغ من اعتقادهم استحلال الربا أنهم جعلوه أصلاً في الحل، والبيع فرعاً.

تشبيه المعقول بالمحسوس:

وفي القرآن الكريم الكثير من هذا النوع من التشبيه، وقد تناولها الشيخ مشيراً لها في مواضع، ومفصلاً الحديث عنها في مواضع أخرى، من ذلك: ما ذكره - رحمه الله - أن من البلاغة في القرآن الكريم هذا النوع من التشبيه وذلك لغاية، فيقول في فوائد آيات سورة البقرة: «بلاغة القرآن، حيث يضرب للمعقولات أمثالاً محسوسات؛ لأن الشيء المحسوس أقرب إلى الفهم من الشيء المعقول؛ لكن من بلاغة القرآن أن الله تعالى يضرب الأمثال المحسوسة للمعاني المعقولة حتى يدركها الإنسان جيداً، كما قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]»^(٢). وفي موضع آخر يقول: «ولأنها تقرب المعنى»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥]. يقول: «فقد شبه هذا الذي ينفق ماله ابتغاء مرضاة الله، وتثبيئاً من نفسه بهذه الجنة.

وهل المشبه نفس الرجل أو النفقة؟ الجواب: المشبه هو النفقة؛ ولهذا قال بعضهم: إن التقدير: (مثل إنفاق الذين ينفقون أموالهم كمثل جنة)؛ ويحتمل أن التقدير: (كمثل صاحب

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١ / ٦٤، ٣ / ٣٣٢.

(٣) تفسير سورة غافر، آية: ٢٧.

جنة)؛ فيكون المشبه المنفق لا الإنفاق؛ وقال بعضهم: لا حاجة إلى التقدير للعلم به من السياق، وأن هذا من بلاغة القرآن، حيث طوى ذكر الشيء لدلالة السياق عليه^(١). ويقول: «ويحسن في التعليم أن يُبين المعقول بالمحسوس؛ كقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥]، ونظيره قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]. شبه هؤلاء كشبهه هذا الشيء... قال بعض العلماء: إن الآية فيها تقدير: إما في المبتدأ؛ وإما في الخبر: فإما أن يقدر: مثل عمل الذين ينفقون أموالهم كمثل حبة؛ أو يقدر: مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل زارع حبة أنبتت سبع سنابل؛ والحكمة من هذا الطي أن يكون المثل صالحًا للتمثيل بالعامل، والتمثيل بالعمل؛ وهذا من بلاغة القرآن^(٢). ثم يوضح وجه الشبه في هذا الشاهد، فيقول: «وجه الشبه في قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾، أن هذه الحبة أنبتت سبع سنابل؛ وشبهها الله بذلك؛ لأن السنابل غذاء للجسم، والبدن؛ كذلك الإنفاق في سبيل الله غذاء للقلب، والروح»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤]. فيذكر -رحمه الله- أن من فوائد الآية: «تشبيه المعقول بالمحسوس في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ﴾ [البقرة: ٧٤]؛ لأن الحجارة أمر محسوس؛ والقلب قسوته أمر معقول؛ إذ إنه ليس المعنى أن القلب الذي هو المضغعة يقسو؛ فالقلب هو هو؛ لكن المراد: أنه يقسو قسوة معنوية بإعراضه عن الحق، واستكباره عليه؛ فهو أمر معنوي شبه بالأمر الحسي؛ وهذا من بلاغة القرآن وهو تشبيه المعقول بالمحسوس حتى يتبين»^(٤).

ويذكر الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- أن من البلاغة: «أن يضرب المتكلم الأمثال المحسوسة للمخاطب؛ ليتوصل بها إلى المعاني المعقولة، لأن إدراك الشيء المحسوس أقرب من

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٣٢٧.

(٢) السابق: ٣ / ٣٠٨.

(٣) السابق: ٣ / ٣١١.

(٤) السابق: ١ / ٢٤٧-٢٤٨.

إدراك الشيء المعقول»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ [البقرة: ٢٦]. قال: «إن من فوائد هذه الآية: أن الله تعالى يضرب الأمثال؛ لأن الأمثال أمور محسوسة يستدل بها على الأمور المعقولة؛ انظر إلى قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ [العنكبوت: ٤١]؛ وهذا البيت لا يقيها من حرٍّ، ولا برد، ولا مطر، ولا رياح، ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ﴾ [العنكبوت: ٤١]؛ وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِّهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ﴾ [الرعد: ١٤]: إنسان بسط كفيه إلى غدِير مثلاً، أو نهر يريد أن يصل الماء إلى فمه! هذا لا يمكن؛ هؤلاء الذين يمدون أيديهم إلى الأصنام كالذي يمد يديه إلى النهر ليلبغ فاه؛ فالأمثال لا شك أنها تقرب المعاني إلى الإنسان إما لفهم المعنى؛ وإما لحكمتها، وبيان وجه هذا المثل»^(٢). ثم يقول: «ومن فوائد الآية: رحمة الله تعالى بعباده حيث يقرر لهم المعاني المعقولة بضرب الأمثال المحسوسة لتتقرر المعاني في عقولهم»^(٣).

التشبيه التخيلي أو الوهمي:

وذلك في قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٥]، حيث رأى ابن عثيمين - رحمه الله - أن التشبيه في هذه الآية «تشبيه بما يتخيل فكراً، لا بما يعلم حساً، وعلى هذا فهو من أبلغ ما يكون من التشبيه في القبح»^(٤). والغرض من هذا التشبيه التقبيح، فيقول: «إن من أغراض التشبيه ما يسمى عند البلاغيين بالتقبيح، فيشبه الشيء بما يستقبح نفسياً، وإن لم يكن معلوماً حسياً لقول: ﴿كَأَنَّ رُءُوسَ الشَّيَاطِينِ﴾، وأن رؤوس الشياطين مستكرهة مستقبحة؛ لأنه شبه بها القبح، والتشبيه إلحاق الشيء بما هو أعلى منه في الصفة التي ألحق

(١) ينظر: أحكام من القرآن الكريم: ٩٧-٩٨.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١ / ٩٨-٩٩، وينظر: شرح صحيح البخاري: ٢ / ١٤٧.

(٣) السابق: ١ / ٩٩.

(٤) تفسير سورة الصفات: ١٤٩.

فيها، لأن المشبه دون المشبه به»^(١).

ومن أغراض التشبيه ما يأتي:

التشبيه التقيحي:

فإذا كان المشبه قبيحاً قبيحاً حقيقياً أو اعتبارياً فيؤتى له بمشبه به أقبح منه يولد في النفس صورة قبيحة عن المشبه تدعو إلى التنفير عنه^(٢). ومن ذلك ما وقف الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - عنده في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءآيَاتِنَا فَٱنْسَلَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَٰوِيْنَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكََلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَرَكَهُ يَلْهَثَ ﴿﴾ [الأعراف: ١٧٥ - ١٧٦]. فقال: «(مثله كمثل الكلب) ذمًا وتقييحًا. وقال النبي ﷺ: ((العائد في هبته كالكلب يقىء ثم يعود في قبيته)) شبهه بالكلب تحذيرًا وتقييحًا، وقال تعالى في بني إسرائيل بل في اليهود خاصة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حَمَلُوا ٱلنُّورَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا بِآيٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿﴾ [الجمعة: ٥]. وقال النبي ﷺ: ((الذي يتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب كمثل الحمار يحمل أسفارًا))، فتجد أن تشبيهه بني آدم بالحيوان إنما يكون في مقام الدم، فإذا تشبه الإنسان بالحيوان في تركيب شيء في عينه فقد نُزِّلَ نفسه عن المرتبة التي جعله الله عليها»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبَ بَءِضُكُم بَءِضًا أَيُّبُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴿﴾ [الحجرات: ١٢]، «من يجب أن يأكل لحم أخيه ميتًا، هل أحدٌ يجب هذا؟! لا أحد يجب أن يأكل لحم أخيه ميتًا، وشبهه الله الغيبة بأكل لحم الميت، لأن المغتاب ليس بحاضر ليدافع عن نفسه، كالميت إذا أكلته فهو ميت لا يدافع عن نفسه، وهذا تشبيهٌ بأقبح ما يكون، مما يدل

(١) السابق: ١٥٠.

(٢) ينظر: في البلاغة العربية (علم البيان) لعبد العزيز عتيق: ١١٠.

(٣) فتاوى نور على الدرب: شريط رقم: ١٠، وينظر: شرح رياض الصالحين: ١ / ١٩٠٢.

على أن الغيبة مكروهة عند الله وَعَلَيْكُمْ، ويجب أن تكون مكروهة عند العاقل؛ لأنه تعالى قال: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(١). فلبشاعة الغيبة شبه المغتاب بأكل لحم الميتة - والعياذ بالله - لذا جاء التشبيه تقبيحياً غير مقبول يجعل صورته ترد في النفس فترفضها لقبحها.

التشبيه التحسيني:

واستشهد الشيخ -رحمه الله - لذلك بقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصفات: ٤٩]. قال: «وكأنَّ هذه للتشبيه... والمعنى أَنَّهُنَّ يشبهن في البياض والرقّة البيض، وليس المراد البيض القشور، بل البيض الذي هو بياض البيضة لرقته وبيانه وحسنه، وهو (مكنون) بما على البيضة من القشرة»^(٢)، ثم ذكر -رحمه الله- أن من فوائد هذه الآية استعمال التشبيه التحسيني لقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ وهذا تشبيه تحسيني وعكس ذلك التشبيه التقبيحي قوله تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَانَتْهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصفات: ٦٥]، فقوله: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ يراد به تحسين هؤلاء النساء»^(٣).

مما سبق ومن خلال وقوف الشيخ - رحمه الله - على الآيات يتضح أنه لا يصرح في الغالب بهذه الأركان - أركان التشبيه -، بل يكتفي بأن يقول: شبه كذا بكذا في كذا... أو يُجري التشبيه عن طريق المعنى، ويذكر أغراض التشبيه، ويبين وجه الشبه. وهذا مما يساعد على جلاء المعاني، وهو ما يحرص الشيخ عليه - رحمه الله -.

(١) لقاءات الباب المفتوح: ٥، وينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٣ / ١٢٢.

(٢) تفسير سورة الصفات: ١١١.

(٣) السابق: ١١٤.

٢- المجاز:

تمهيد:

الحقيقة والمجاز اللغويان:

سأذكر- بإذن الله - قبل أن أشرع في تفصيل أنواع المجاز ملامح تتعلق بالحقيقة اللغوية دون المجاز^(١).

تعريف الحقيقة:

الحقيقة مأخوذة من حق الشيء إذا ثبت ووجب، فالحقيقة في اللغة هي الشيء الثابت^(٢). وفي الاصطلاح: «هي الكلمة المستعملة فيما وضعت له في اصطلاح به التخاطب»^(٣).

أقسام الحقيقة:

وللحقيقة أقسام؛ فمنها:

- ١- الحقيقة اللغوية: وهي ما وضعها واضع اللغة ودلّت على معانٍ مصطلح عليها في تلك المواضع^(٤)، كألفاظ القلم والكتاب والشمس والقمر، فإذا استعملت في معناها الأصلي فإنها تكون حقيقة، وإذا استعملت في غيره فإنها تكون مجازاً^(٥).
- ٢- الحقيقة العرفية: وهي التي نقلت من مسماها اللغوي إلى غيره بعرف الاستعمال، وذلك الاستعمال قد يكون عاماً، وقد يكون خاصاً^(٦).
- ٣- الحقيقة الشرعية: وهي اللفظة التي يستفاد من جهة الشرع وضعها لمعنى غير ما كانت

(١) سبق التفصيل في تعريفها في الفصل الأول، المبحث الثالث.

(٢) اللسان: (حقق).

(٣) الإيضاح: ٢٦٥، التلخيص: ٢٩٢.

(٤) الإيضاح: ٢٧٧.

(٥) مفتاح العلوم: ١٧٠، الطراز: ١ / ٥٥.

(٦) السابق، وينظر: الإيضاح: ٢٦٥، التلخيص: ٢٩٢، شروح التلخيص: ٤ / ٢، المطول: ٣٤٨، الأطول: ٢ / ١١١.

تدل عليه في أصل وضعها اللغوي كالصلاة والزكاة^(١).

أقسام المجاز:

وقد ذكرت في مبحث المجاز، أن المجاز ينقسم إلى قسمين، وهما:

أ- المجاز المرسل.

ب- الاستعارة.

علاقات المجاز المرسل:

وللمجاز المرسل علاقات أشار إليها البلاغيون؛ وأبرزها ما يأتي:

١- السببية:

بأن يكون المعنى الموضوع له اللفظ المذكور سبباً في المعنى المراد، فيطلق السبب على المسبب^(٢).

٢- المسببية:

وذلك بأن يذكر المسبب ويراد السبب^(٣).

٣- الجزئية:

بأن يذكر الجزء ويراد الكل^(٤).

٤- الكلية:

بأن يعبر عن الجزء بلفظ الكل^(٥).

٥- المحلية:

بأن يذكر اسم المحل ويراد الحال به^(١).

(١) السابق.

(٢) بغية الإيضاح: ٣ / ٩٢، شروح التلخيص: ٤ / ٣٧.

(٣) السابق.

(٤) السابق.

(٥) بغية الإيضاح: ٣ / ٩٥.

٦- اعتبار ما كان:

بأن يعبر عن الشيء باسم ما كان عليه من قبل^(٢).

٧- اعتبار ما سيكون:

بأن يعبر عن الشيء باسم ما يؤول إليه في المستقبل^(٣).

٨- المجاورة:

وذلك بأن يعبر عن الشيء باسم ما يجاوره؛ بأن يكثر اقتران الاسمين ومجاورتهم أكثر تسوغ استعمال أحدهما مكان الآخر^(٤).

وبهذا التمهيد، سأوضح كيف عرف الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- الحقيقة والمجاز، وكيف تناوله من خلال تفسيره للقرآن؟

أورد الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- حديثاً مستقلاً عن الحقيقة والمجاز في كتاب الأصول من علم الأصول، وقام بشرحه في كتابه شرح الأصول.

فهو يرى -رحمه الله- أن الكلام ينقسم من حيث الاستعمال إلى حقيقة ومجاز^(٥).

ثم يفصل الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- الحديث عن الحقيقة والمجاز؛ فيقول في الحقيقة:

«الحقيقة هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له، مثل: أسد للحيوان المفترس. فخرج بقولنا:

(المستعمل)؛ المهمل، فلا يسمى حقيقة ولا مجازاً. وخرج بقولنا: (فيما وضع له)؛ المجاز.

وتنقسم الحقيقة إلى ثلاثة أقسام: لغوية وشرعية وعرفية.

فاللغوية هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له في اللغة، فخرج بقولنا: (في اللغة)؛ الحقيقة

الشرعية والعرفية.

مثال ذلك الصلاة، فإن حقيقتها اللغوية الدعاء، فتحمل عليه في كلام أهل اللغة.

(١) السابق: ٣ / ١٠٠.

(٢) شروح التلخيص: ٤ / ٤٠.

(٣) السابق.

(٤) حاشية الدسوقي: ٤ / ٣٤، بتصرف.

(٥) الأصول: ١٧-.

والحقيقة الشرعية هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له في الشرع، فخرج بقولنا: (في الشرع)؛ الحقيقة اللغوية والعرفية.

مثال ذلك: الصلاة، فإن حقيقتها الشرعية الأقوال والأفعال المعلومة المفتحة بالتكبير المحتممة بالتسليم، فتحمل في كلام أهل الشرع على ذلك.

والحقيقة العرفية هي: اللفظ المستعمل فيما وضع له في العرف، فخرج بقولنا: (في العرف)؛ الحقيقة اللغوية والشرعية.

مثال ذلك: الدابة، فإن حقيقتها العرفية ذات الأربع من الحيوان، فتحمل عليه في كلام أهل العرف. وفائدة معرفة تقسيم الحقيقة إلى ثلاثة أقسام: أن نحمل كل لفظ على معناه الحقيقي في موضع استعماله، فيحمل في استعمال أهل اللغة على الحقيقة اللغوية، وفي استعمال الشرع على الحقيقة الشرعية، وفي استعمال أهل العرف على الحقيقة العرفية»^(١).

ويتناول -رحمه الله- الحديث عن المجاز؛ معرّفًا له ومشيرًا في كثير من الشواهد على شروط المجاز؛ فيقول: «والمجاز هو: اللفظ المستعمل في غير ما وضع له، مثل: أسد للرجل الشجاع.

فخرج بقولنا: (المستعمل)؛ المهمل، فلا يسمى حقيقة ولا مجازًا. وخرج بقولنا: (في غير ما وضع له)؛ الحقيقة»^(٢).

ويضرب الشيخ -رحمه الله- مثالاً على الحقيقة، قائلاً: «وإذا ضربنا لهذا مثالاً في صفات الله ﷻ تبين المراد: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، حقيقة الاستواء هو العلو، فإذا حرّفه أحد إلى الاستيلاء فهو إخراج له عن حقيقته، ولا يقبل إلا بدليل»^(٣).

وشاهد آخر يقول فيه -رحمه الله-: «وإذا قال قائل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، المراد بهما - يعني يدي الله ﷻ - النعمة، قلنا له: لا نقبل هذا؛ لأن استعمال اليد في النعمة مجاز، ولا يمكن أن يحمل اللفظ على مجازه إلا بدليل صحيح يمنع إرادة الحقيقة»^(٤).

(١) السابق: ١٧-١٨، وينظر: شرح الأصول: ١٣٦.

(٢) السابق، وينظر: شرح دروس البلاغة: ١٠٨.

(٣) شرح الأصول: ١٢٦.

(٤) السابق.

ويبيّن - رحمه الله - الضابط لحمل الكلام على المجاز؛ فيقول: «ولا يجوز حمل اللفظ على مجازه إلا بدليل صحيح يمنع من إرادة الحقيقة، وهو ما يسمى في علم البيان بالقرينة. ويشترط لصحة استعمال اللفظ في مجازه: وجود ارتباط بين المعنى الحقيقي والمجازي، ليصح التعبير به عنه، وهو ما يسمى في علم البيان بالعلاقة، والعلاقة إما أن تكون المشابهة أو غيرها»^(١).

إذن فلا بد من شيئين في كل مجاز:

الأول: القرينة؛ التي تمنع إرادة المعنى الحقيقي.

والثاني: العلاقة؛ وهي ما بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي.

وقال - رحمه الله - في موضع آخر عند أهمية القرينة في المجاز: «وعلى كل حال فأهم شيء عندنا في المجاز هو هذا: أن نمنع حمل الكلام على مجازه إلا بدليل صحيح يمنع من إرادة الحقيقة؛ هذا الدليل يسميه علماء البلاغة القرينة»^(٢).

والشيخ - رحمه الله - يسمي تلك القرينة بالدليل الصحيح.

ثم يذكر - رحمه الله - أن أهل البلاغة يقسمون تلك القرينة إلى قسمين، فيقول: «يقسمون القرينة إلى حالية، وإلى لفظية»^(٣).

ثم يفصّل - رحمه الله - العلاقة بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي؛ فيتضح من خلال تفصيله مدى سبر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - للمجاز وأنواعه؛ فيقول: «فإن كانت المشابهة سمي التجوُّز استعارةً؛ كالتجوُّز بلفظ أسد عن الرجل الشجاع، وإن كانت غير المشابهة سمي التجوُّز مجازاً مرسلاً إن كان التجوُّز في الكلمات، ومجازاً عقلياً إن كان التجوُّز في الإسناد»^(٤).

وما قاله الشيخ - رحمه الله - هو ما يقوله البلاغيون.

ثم يبين الشيخ - رحمه الله - صورة تلك العلاقة؛ قائلاً: «فلو عبرت مثلاً بالخبز عن الشاة

(١) السابق.

(٢) السابق: ١٢٧.

(٣) السابق: ١٢٧.

(٤) الأصول: ١٧.

والبيت، لم يصح؛ لعدم العلاقة. لكن لو عبّرت عن العصير بالخمير لصح، للعلاقة بينهما؛ لأن أصل الخمير العصير. وكذا تعبر باليد عن النعمة؛ لأن النعم والعطاء تكون باليد. ويصح أن تعبر عن النفس بالرقبة؛ لأن الرقبة إذا قطعت مات الإنسان، فهناك علاقة بينهما»^(١).

ومن خلال ما سبق يتضح أن تقسيم الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - للمجاز موافق لما عليه البلاغيون من تقسيمه إلى عقلي وآخر مجاز لغوي؛ ومدى تفرقه بين المجاز المرسل الذي يكون في الكلمات، والمجاز العقلي أو ما يسمى بالمجاز الإسنادي الذي يكون في الإسناد؛ وهكذا كلامه في العلاقة.

المجاز المرسل وشواهد عند الشيخ:

ذكر الشيخ - ابن عثيمين - رحمه الله - أن ضابط المجاز المرسل، هو: «ما تُجَوِّزُ به عن غيره بعلاقة غير الشَّبَه»^(٢).

وقد أشاد بهذا النوع من المجاز؛ فقال: «ونفهم من هذا أن المجاز المرسل أوسع أنواع المجاز؛ لأن علاقاته كثيرة»^(٣).

ثمَّ أردف - رحمه الله - ذلك بذكر بعض علاقاته فقال: «منها: حال، ومحل، وسبب، ومسببة، وحذف، وزيادة، ونقص، وأئيل^(٤)، وماض، وأشياء كثيرة جداً»^(٥).
وقوله: (وأشياء كثيرة)؛ يبين لنا مدى معرفته لها وإلمامه بها.

١ - السببية:

لم يذكر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - هذا اللفظ بعينه (السببية)، ولكن الشواهد التي وقف عليها تنطبق على علاقة (السببية) عدا ما مثل له في شرحه لدروس البلاغة.

قال - رحمه الله - عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ آلِيَتَمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي

(١) شرح الأصول: ١٢٨.

(٢) شرح دروس البلاغة: ١٢٣.

(٣) شرح الأصول: ١٣٥.

(٤) أي: باعتبار ما يؤول إليه الأمر.

(٥) شرح الأصول: ١٣٥.

بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿ [النساء: ١٠]،: «هذا بيان للجزاء، وأطلق الجزاء على الفعل؛ لأنه بسببه»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾ [النساء: ١٧١]، ذكر أن من فوائد الآية: «إطلاق السبب على مسببه، لقوله ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَنَهَا إِلَى مَرْيَمَ﴾، فإن عيسى ليس هو الكلمة نفسها، لكنه خلق بالكلمة، فأطلق السبب وأريد المسبب»^(٢).

٢- المسيبية:

كما في قوله تعالى: ﴿وَيُنزِلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]، قال -رحمه الله-: «هنا عبر بالرزق عن المطر؛ لأن الرزق مُسَبَّبٌ للمطر، المطر هو السبب»^(٣).

٣- الجزئية:

لم يذكر الشيخ -رحمه الله- هذا اللفظ بعينه (الجزئية)، ولكنه أشار إليها بقوله: «(التعبير بالبعض عن الكل، أو الجزء عن الكل)؛ كما أن الشواهد تشير إلى هذه العلاقة. ومثل الشيخ -رحمه الله- له بقولهم: (أرسل الأمير عيونه في المدينة، يعني: جواسيسه - فهنا عبر بالجزء عن الكل، فهو مجاز مرسل»^(٤).

ومن ذلك- أيضًا- ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]، قال عنها الشيخ - رحمه الله: «إذا عبر عن العبادة ببعض أجزائها، دل ذلك على أن هذا الجزء واجب فيها... يدل على أن الركوع والسجود واجبان، وسمى الله الصلاة تسبيحًا، فدل على أن التسبيح فيها واجب»^(٥).

(١) فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ١ / ١٥١.

(٢) تفسير سورة النساء: ٢ / ٥١٦.

(٣) شرح دروس البلاغة: ١٢٣.

(٤) شرح الأصول: ١٣٢.

(٥) السابق: ١٢٨.

٤- اعتبار ما سيكون:

صرّح الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بلفظ هذه العلاقة عند وقوفه على شواهد القرآن؛ ففي قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ أَنِّي يَكُونُ لِي عُلْمٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾ [آل عمران: ٤٠]، يذكر الشيخ - رحمه الله - أن في قوله تعالى ﴿عُلْمٌ﴾: «مع أنه لم يولد بعد، لكن هذا باعتبار ما سيكون، والتعبير بما سيكون أمر سائغ في اللغة، واردٌ في القرآن: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ [يوسف: ٣٦]، يعني أعصر عنبًا يكون خمرًا؛ لأن الخمر لا يُعصر، فعبر عن الشيء بما يؤول إليه»^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ [النحل: ٤٤]، أي: «فباعتبار أنه سيكون تامًا وبتمامه يكون قد نزل كله»^(٢).

٥- التجوز بالحذف:

كما في قوله تعالى: ﴿وَسَّئِلِ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، قال - رحمه الله -: «أي واسأل أهل القرية، فحذفت (أهل) مجازًا، فمن المعلوم أن أبناء يعقوب لم يريدوا من يعقوب أن يقف على كل جدار في القرية ويسأل عن ابنه، وإنما يطلبون منه أن يسأل أهل القرية؛ إذن: ففي الكلام حذف، وهذا الحذف من المجاز المرسل»^(٣).

٦- التجوز بالزيادة:

من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]، فذكر الشيخ هنا أن (من): «زائدة؛ لأن الكلام يتم بدونها من حيث التركيب، فلو كان نص القرآن الكريم: ما جاءنا بشير، لاستقام الكلام»^(٤).

وكما في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فذكر الشيخ - رحمه الله - أن

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٢٤٤.

(٢) السابق: ١ / ٥٣٣.

(٣) السابق: ١٣٤-١٣٥.

(٤) السابق: ١٣٣.

هذا الشاهد في المجاز بالزيادة: «فقالوا: إن الكاف زائدة، لتأكيد نفي المثل عن الله، قالوا: لا يمكن أن تجتمع كلمتان دالتان على التشبيه؛ لأنه لو اجتمعت كلمتان دالتان على التشبيه لكان هذا عين التشبيه؛ لأن نفي النفي إثبات... لذا قالوا: الكاف زائدة في الكلام من حيث التركيب فلو قيل: ليس مثله شيء، أي: ليس شيء مثله؛ لاستقام الكلام، إذن: فنحمل الآية الكريمة على أن الكاف زائدة مجازاً»^(١).

ومما سبق يتضح أن الشيخ -رحمه الله- في تفسيره للآيات يشير إلى علاقات المجاز المرسل دون ذكره لمصطلح المجاز - غالباً - وهذا يعود إلى منهجه الأخير في إنكار المجاز، فإنه يتلافى ذكره ما استطاع إلى ذلك سبيلاً. كذلك فهو لا يذكر بلاغات المجاز في الشاهد، وإنما يكتفي فقط - كما ذكرت - بالعلاقة.

٣- الاستعارة:

تعدّ الاستعارة ثمرة يانعة من ثمار رياض البيان العربي، «ومن الفضيلة الجامعة أنها تبرز البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره نبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً...»^(١).

تعريف الاستعارة:

وجاءت الاستعارة في اللغة بمعنى: طلب الإعارة. والعارية: ما تداولوه بينهم، وقد أعاره الشيء وأعاره منه وعاوره إياه واستعاره الشيء واستعار منه: طلب منه أن يعيره إياه^(٢). وفي الاصطلاح: أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدّعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخصّ المشبه به^(٣)، يقول الشيخ عبد القاهر: «والتشبيه كالأصل في الاستعارة وهي شبيه بالفرع له، أو صورة مقتضية من صورته»^(٤).

أقسام الاستعارة:

تنقسم الاستعارة؛ باعتبار ما يُذكر من الطرفين إلى قسمين:

- أ- تصريحية؛ وهي: أن يكون الطرف المذكور من طرفي التشبيه هو المشبه به^(٥).
- ب- مكنية؛ وهي: أن تذكر المشبه وتريد المشبه به، وتدل بمثل شيء من لوازمه إلى المشبه^(٦).

وتنقسم الاستعارة باعتبار اللفظ المستعار إلى:

- ١- أصلية؛ وهي: أن يكون المستعار اسم جنس كرجل وقيام وقعود. ووجه كونها أصلية هو

(١) أسرار البلاغة: ٤٠-٤١.

(٢) اللسان: (عور).

(٣) مفتاح العلوم: ٣٦٩.

(٤) أسرار البلاغة: ٢٨.

(٥) مفتاح العلوم: ١٧٦.

(٦) المصباح: ٦٤، وينظر السابق: ١٧٩.

أن الاستعارة مبنها على تشبيه المستعار له بالمستعار منه^(١).

٢- تبعيَّة؛ وهي: ما تقع في غير أسماء الأجناس كالأفعال والصفات المشتقة منها وكالحروف^(٢).

كما تنقسم الاستعارة؛ باعتبار ذكر الملائم إلى:

١- مرشَّحة؛ وهي: أن يُراعى جانب المستعار ويولي ما يستدعيه ويضم إليه ما يقتضيه^(٣).

٢- ومُجرَّدة؛ وهي: أن تُقرن بما يلائم المستعار له^(٤).

٣- ومُطلَّقة؛ وهي: التي لم تقترن بصفة ولا تفريع كلام، والمراد المعنوية لا النعت^(٥).

وتنقسم الاستعارة باعتبار طرفيها - المستعار والمستعار له - إلى:

١- وفاقية؛ وهي: أن يكون اجتماع الطرفين في شيء ممكناً لما بينهما من الاتفاق^(٦).

٢- وعنادية؛ وهي: ما لا يمكن اجتماع الطرفين في شيء^(٧).

وتقسم الاستعارة باعتبار الطرفين والجامع؛ إلى ستة أقسام؛ وهي: «استعارة محسوس

لمحسوس بوجه حسي، أو بوجه عقلي، أو بما بعضه حسي وبعضه عقلي. واستعارة معقول

لمعقول، واستعارة محسوس لمعقول، واستعارة معقول لمحسوس، كل ذلك بوجه عقلي^(٨).

والشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - يقف عند شواهد الاستعارة في الآيات، وقد عرض لما

أسماء البلاغيون بالاستعارة التصريحية والاستعارة المكنية وأورد تعريفا لهما، دون أن أجد تعريفاً

للاستعارة بمعناها العام؛ وقد يصرح الشيخ - رحمه الله - بلفظ الاستعارة ونوعها من حيث

الطرفين، ويشير إلى أن في الشاهد استعارة دون ذكر لفظ استعارة، و يندر أن تجد تحليلاً أو

(١) مفتاح العلوم: ١٧٩، وينظر: ١٧٦.

(٢) السابق: ١٨٠، وينظر: ١٧٦.

(٣) نهاية الإيجاز: ٩٢.

(٤) المصباح: ٣٣.

(٥) الإيضاح: ٣٠٠، التلخيص: ٣١٧.

(٦) الإيضاح: ٢٨٩، التلخيص: ٣٠٨، المطول: ٣٦٤، الأطول: ١٢٩/٢.

(٧) الإيضاح: ٢٨٩، التلخيص: ٣٠٨، شروح التلخيص: ٤/٧٧، المطول: ٣٦٥.

(٨) الإيضاح: ٢٩٧-٢٩٨.

إجراء للاستعارة كما يجريها البلاغيون.

الاستعارة وشواهدا عند الشيخ ابن عثيمين في تفسيره:

تصريحه بالاستعارة المكنية، وتعريفه لها:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحِرِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾ [الصفات: ١٧٧]. قال: «أي: حل العذاب بهم وبساحتهم أي بفنائهم، وهذه الكلمة يقولها العرب للتهديد... فكأنه يقول: تقدير الآية: فإذا نزل بهم، ولكن لا حاجة إلى أن نقول هذا القول؛ لأنه من المعروف أن العدو إذا نزل في القوم ليس ينزل في دورهم من أول وهلة، ولكنه ينزل بساحتهم ومنازلهم، ثم يهجم عليهم ويغير عليهم، وفي هذا استعارة- كما يقول البلاغيون - حيث شبه العذاب بعدو ينزل بهم يعني بساحتهم، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو النزول بالساحة، ومثل هذه الاستعارة يسمونها استعارة مكنية؛ لأنه حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه»^(١).

وهنا صرح بنوع الاستعارة وهي الاستعارة المكنية، وعرفها.

ومثلها في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى﴾ [البقرة: ١٦]، فقال عنها الشيخ - رحمه الله -: «... إذا جعلنا الاستعارة في كلمة ﴿الضَّلَالَةَ﴾؛ نقول: شُبِّهت الضلالة بالمتاع -؛ لأن المتاع هو الذي يُشْتَرَى -، وحذف المتاع ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشراء، فهذه استعارة مكنية. وقال الشاعر:

وَإِذَا الْمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا
أَلْقَيْتَ كُلَّ تَمِيمَةٍ لَا تَنْفَعُ^(٢)

هل للمنية أظفار تنشب؟ لا، لكنه شبه المنيّة بالوحش أنشَبَ ظُفْرُهُ، وحذف الوحش، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي الأظفار»^(٣).

وقد أجرى الشيخ - رحمه الله - الاستعارتين المكنية والتصريحية في شاهد واحد فقال في قوله

(١) تفسير سورة الصفات: ٣٦٣-٣٦٤.

(٢) البيت لأبي ذؤيب الهذلي: ديوان الهذليين: ١/٣.

(٣) شرح دروس البلاغة: ١١٦.

تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٧]: «أي: اختاروا الكفر على الإيمان، وإلا فإن الكفر ليس سلعة يباع ويشترى، فالاشتراء هنا بمعنى الاختيار وترك الطرف الآخر. يقول بعض علماء البلاغة: في هذه الجملة مجاز بالاستعارة المكنية أو الاستعارة التصريحية التبعية، فإنه شبه الكفر بالسلعة التي تباع وتشترى، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الشراء، هذا على أنها مكنية، وتصريحية تبعية معناها: أنها تجري مجرى الاستعارة بالفعل أو اسم الفاعل، يعني بالشيء المشتق، فهنا ﴿اشْتَرَوْا﴾ بمعنى اختاروا، فشبه الاختيار بالشراء ثم اشتق من لفظ الشراء (اشترؤا) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية»^(١). وهذا الشاهد يدلنا على سير الشيخ -رحمه الله- لهاتين الاستعارتين، والاستعارة باعتبار لفظ المستعار (الأصلية والتبعية) كما هو معروف عند البلاغيين، وتعريفه للاستعارة التبعية؛ بقوله: «إنها تجري مجرى الاستعارة بالفعل أو اسم الفاعل، يعني بالشيء المشتق»^(٢).

وقوله تعالى: ﴿أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. قال: «﴿الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ الرجيم: بمعنى المرجوم، وأصل الرجم القذف بالحجارة؛ ومنه: رجم الزاني، وعلى هذا فيكون في الكلام استعارة، أي إننا استعنا الرجم بالحجارة الدال على إبعاد المرجوم للمُبْعَد المطرود...»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]، قال الشيخ -رحمه الله- في هذه الآية: «... وهذه البشارة هل هي على سبيل التهكم بهؤلاء أو هي من باب تشبيه البشارة بما يسوء بالبشارة بما يسر، بجامع أن كلا منهما تتأثر فيه البشارة وتغير؟ يحتمل هذا وهذا، ولكن إذا قلنا إنها من باب التهكم، استفيد بذلك زيادة الألم على هؤلاء المبشرين؛ كقوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^(٤٧) ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ

(١) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٤٦٤-٤٦٥.

(٢) السابق.

(٣) السابق: ١ / ٢١٩.

عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿﴾ [الدخان: ٤٧ - ٤٩] ...»^(١).

وهذا الشاهد مما ذكره القزويني ضمن شواهد الاستعارة العنادية؛ «فقد نُزل التضاد منزلة التناسب، فشبّه الإنذار بالتنبشير بجامع إدخال السرور في كلِّ وإن كان تنزيلاً بالنسبة للمشبه، ثم استعير لفظ المشبه به للمشبه استعارة تصريحية أصلية عنادية، ثم اشتق منه بشر بمعنى أندر على سبيل الاستعارة التبعية التهكمية أو التمليلية العنادية»^(٢).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ [النبا: ١٤]، قال الشيخ -رحمه الله- فيها: «يعني من السحاب، ووصفها الله بأنها معصرات كأنما تعصر هذا الماء عند نزوله عصراً، كما يعصر الثوب، فإن هذا الماء يتخلل هذا السحاب ويخرج منه كما يخرج الماء من الثوب المعصور»^(٣). وهي من قبيل الاستعارة التصريحية.

وفي قوله تعالى: ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧]، قال الشيخ -رحمه الله- في توجيهها: «نسلخ، يقول المؤلف^(٤) (نَفْصِلُ)، وسمى الله هذا الفصل سلخاً؛ لأنه يشبه سلخ الجلد من البهيمة، ﴿فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾، لأن النهار أمر وجودي يوجد بوجود الشمس، فهو وارد على الليل، فإذا غابت الشمس تبعها هذا الضوء كالجلد يسلك من البهيمة، وأنت عندما تسلك الجلد من البهيمة تجده يتراجع شيئاً فشيئاً، وهكذا ضوء النهار بالنسبة لليل يسلك الله ﷻ النهار من الليل، كما يسلك الجلد من البهيمة»^(٥). وهي استعارة محسوس لمحسوس بوجه عقلي كما تناوله القزويني في إيضاحه، «فإن المستعار منه كشط الجلد وإزالتها عن الشاة ونحوها، والمستعار له إزالة الضوء عن مكان الليل، وملقى ظله وهما حسيان، والجامع لهما ما يعقل من ترتب أمر على آخر»^(٦).

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ١٤٠-١٤١، وينظر: شرح صحيح البخاري: ٣ / ٤٥٣.

(٢) ينظر: الإيضاح: ٢ / ٦٤، شرح: د. محمد خفاجي.

(٣) تفسير جزء عم: ٢٤.

(٤) أي مؤلف تفسير الجلالين.

(٥) تفسير سورة يس: ١٣٤.

(٦) الإيضاح: ٢ / ٧٧، شرح: د. محمد خفاجي.

ويبدو من الشواهد السابقة أن الشيخ له دراية تامة في التفريق بين التصريحية والمكنية، لكنه لا يطيل ولا يفصل في الحديث عن الاستعارة إلا بمقدار ما يجده مناسباً للحديث عنه. وكما ذكرت - في مبحث المجاز - أن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - يرفض المجاز؛ لذا فهو حين يصرح بلفظ الاستعارة في الآية فإنه يذكر أن أهل البلاغة يذكرون أنها استعارة أو يقول: يسمونها؛ يشير إلى علماء البلاغة، مما يدل بعبارته هذه على رده المجاز والاستعارة، وكما علمنا أن الاستعارة نوع من المجاز.

٢- المجاز العقلي:

المجاز العقلي هو: إسناد الفعل أو معناه إلى غير ما هو له عند المتكلم في الظاهر لعلاقة، مع قرينة صارفة عن أن يكون الإسناد إلى ما هو له^(١).

وسمي بعدة أسماء؛ فقال ابن يعقوب المغربي عنها: «ومن الإسناد مطلقاً مجاز عقلي؛ لأن حصوله بالتصرف العقلي، ويسمى مجازاً حكماً؛ لوقوعه في الحكم بالمسند إليه، ويسمى أيضاً مجازاً في الإثبات؛ لحصوله في إثبات أحد الطرفين للآخر، والسلب حقيقته ومجازه نابع لما يحقق في الإثبات ويسمى أيضاً إسناداً مجازياً، نسبة إلى المجاز بمعنى المصدر؛ لأن الإسناد جاوز به المتكلم حقيقته وأصله إلى غير ذلك»^(٢).

ولابد لهذا النوع من المجاز أن تكون له علاقة، وأشهر علاقاته: «المفعولية فيما بني للفاعل وأُسند إلى المفعول به الحقيقي، والفاعلية فيما بُني للمفعول وأُسند إلى الفاعل الحقيقي، والمصدرية فيما بني للفاعل وأُسند إلى المصدر، والزمانية فيما بني للفاعل وأُسند إلى الزمان، والمكانية فيما بني للفاعل وأُسند إلى المكان، والسببية فيما بني للفاعل وأُسند إلى السبب»^(٣).

والشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يقف على شواهد المجاز العقلي؛ لكنه لا يصرح باسمه، بل يشير إلى علاقاته، أو يلمح لها؛ ولم أجد للشيخ تعريفاً خاصاً بهذا النوع من المجاز عدا ما تناول شرحه في دروس البلاغة^(٤)؛ وقد ذكر الشيخ -رحمه الله- الفرق بين المجاز اللغوي والمجاز العقلي؛ فقال: «إذا قال قائل ما الفرق بين المجاز العقلي والمجاز اللغوي؟ فالجواب: المجاز اللغوي يكون في الألفاظ، والمجاز العقلي يكون في الإسناد. بمعنى أن الكلمات يُراد بها معناها الحقيقي، لكن إسناد هذه الكلمة إلى هذه الكلمة هو المجاز، فمثلاً: (بني الأمير المدينة)، ما المراد بالبناء؟ الحقيقة، والأمير؟ الحقيقة، لكن إسناد البناء للأمير هذا هو المجاز»^(٥). ومن شواهد على هذا النوع من المجاز، ما يأتي:

(١) الإيضاح: ١/ ٨٣، شرح: د. محمد خفاجي.

(٢) مواهب الفتاح: ١/ ٢٣١-٢٣٢.

(٣) ينظر: الإيضاح: ١/ ٨٦، شرح: د. محمد خفاجي، البلاغة العربية: ١/ ٦٦٧.

(٤) شرح دروس البلاغة: ١٣٣.

(٥) السابق: ١٣٤.

ما علاقته السببية:

في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَمُنُ ابْنُ لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾ [غافر: ٣٦]، قال الشيخ -رحمه الله-: «هامان وزير فرعون، وقوله: ﴿ابْنُ لِي صَرَحًا﴾ أي: مُرٌّ من بيني ذلك؛ لأنه من المعلوم أن الوزير لن يباشر بناء الصرح»^(١). وقال في فوائد هذه الآية: «جواز نسبة الشيء إلى الأمر به دون فاعله؛ يؤخذ من قوله: ﴿ابْنُ لِي﴾ وهو لا يريد أن يقوم هامان بالبناء بنفسه بل يأمر به لأنه هو الوزير»^(٢). وهو يشير إلى ما أسند فيه الفعل إلى السبب.

وفي قوله تعالى: ﴿ وَنَكَتُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ ﴾ [يس: ١٢]، قال مشيرًا إلى المجاز العقلي: «هل الذي يكتب الله ﷻ، أو الملائكة بأمر الله؟ الجواب: الملائكة بأمر الله لقوله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالَّذِينَ ﴿١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كُنِينِ ﴿١١﴾ يَعْمُونَ مَا نَفَعَلُونَ ﴾ [الانفطار: ٩ - ١٢]، وإسناد الكتابة إلى الأمر موجود في اللغة العربية كثيرًا، يقول السيد: (كتبت كذا وكذا) والمراد كتبه عبيده، فهنا يقول الله ﷻ: ﴿ وَنَكَتُ ﴾ والمراد ملائكتنا»^(٣).

ما علاقته المفعولية:

قال تعالى: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ [القارعة: ٧]، قال الشيخ -رحمه الله- عنها: «﴿رَاضِيَةٍ﴾ قيل: إنها اسم فاعل بمعنى اسم المفعول، أي: مرضية. وقيل: إنها اسم فاعل من باب النسبة أي ذات رضا، وكلا المعنيين واحد، والمعنى: أنها عيشة طيبة ليس فيها نكد...»^(٤). وقال في موضع آخر عن هذه الآية: «﴿رَاضِيَةٍ﴾ يعني: مرضية، فأتى باسم الفاعل ويُراد به اسم المفعول، فقد أسند الرضا إلى العيشة، والعيشة لا ترضى، وإنما العيشة تُرضى، فأسند ما في معنى الفعل إلى غير ما هو له على وجه المجاز العقلي»^(٥).

(١) تفسير سورة غافر، آية: ٣٦، وينظر: شرح العقيدة الواسطية: ١ / ٣٩٥.

(٢) تفسير سورة غافر، آية: ٣٦.

(٣) تفسير سورة يس: ٤٥-٤٦.

(٤) تفسير جزء عم: ٣٠٢.

(٥) شرح دروس البلاغة: ١٣٣.

٤- الكناية والتعريض:

تعدّ الكناية من أنواع البيان التي تضيف على المعنى جمالاً، وترتقي بوسائل التعبير غير المباشر، وتزيده قوة، يقول العلوي واصفاً لها: «وإِدِّ من أودية البلاغة، وركن من أركان المجاز»^(١).

تعريف الكناية:

والكناية في اللغة: أن تتكلم بشيء وتريد به غيره. وكنتى عن الأمر بغيره يكنى كناية: إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه نحو: الرفث والغائط ونحوه، وقد كنى بكذا عن كذا وكنوت^(٢). وفي الاصطلاح هي: لفظ أريد به لازم معناه، مع جواز إرادة معناه حينئذ^(٣).

أقسام الكناية:

وتنقسم الكناية إلى أقسام ثلاثة:

١- الكناية عن الصفة.

٢- الكناية عن الموصوف.

٣- الكناية عن النسبة.

الكناية وشواهدا عند الشيخ ابن عثيمين:

والكناية عند الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- لا تعدو غير إشارات لمواضعها، دون التفصيل، ومن ذلك:

عرف الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- الكناية بقوله: «أن يعبر عن الشيء بلازمه، كما يقولون: فلان كثير الرماد، يعني: أنه كريم بكرمه يكثر الضيوف عليه، وإذا كثر الضيوف كثر الإطعام وإذا كثر الطعام، كثر إيقاد النيران لطهي الطعام، وكذلك يقولون: فلان طويل العماد،

(١) الطراز: ١ / ٣٦٤.

(٢) ينظر: اللسان: (كنى): الصحاح: ٦ / ٢٤٧٧، القاموس المحيط: ٤ / ٣٨٤.

(٣) الإيضاح: ٣٣٠، التلخيص: ٣٣٧.

يعني: أنه ذو كرم وجاه؛ لأن خيمته تكون طويلة»^(١). وهو تعريف علماء البلاغة لها.

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَتَوْهُبٌ مِّنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ قال - رحمه الله -: «الفاء رابطة لجواب الشرط؛ وهو قوله تعالى: ﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾؛ والمراد بالإتيان الجماع - كني بالإتيان عن الجامعة»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾ [الكهف: ٨٣] «أي: صاحب القرنين... قيل: معناه ذي الملك الواسع من المشرق والمغرب، فإن المشرق قرن والمغرب قرن، كما قال النبي ﷺ عن المشرق: ((حيث يطلع قرن الشيطان))، فيكون هذا كناية عن سعة ملكه»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]. «يعني أنه لا قدر لهم عندنا ولا ميزان، وهو كناية عن سقوط مرتبتهم عند الله»^(٤).

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُنْفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]. «أي فليتسابق المتسابقون سباقاً يصل بهم إلى حد النفس، وهو كناية عن السرعة في المسابقة»^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنْتُمْ مَّن فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورٌ﴾ (١٦) أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾ [الملك: ١٦ - ١٧]، فقال الشيخ - رحمه الله -: «والذي في السماء هو الله ﷻ، لكنه كنى عن نفسه بهذا، لأن المقام مقام إظهار عظمته، وأنه فوقكم، قادر عليكم، مسيطر عليكم، مهيمن عليكم؛ لأن العالي له سلطة على من تحته»^(٦).

وهكذا يمضي الشيخ مشيراً للكناية في الآيات القرآنية، ومعرفاً لها وفق تعريف البلاغيين، دون الإسهاب في الحديث عنها، فهو حديث موجز يكفي فيه الشيخ - رحمه الله - ببيان أن

(١) شرح صحيح البخاري: ٣ / ١٩٢.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٨٢.

(٣) تفسير سورة الكهف: ١٢٥.

(٤) السابق: ١٤٦.

(٥) تفسير جزء عم: ١٠٥.

(٦) شرح العقيدة الواسطية: ١ / ٣٩٦.

الكلام كنائي وليس حقيقة.

تعريف التعريض:

التعريض لغة: خلاف التصريح، يقال: عرّضت لفلان أو بفلان إذا قلت قولاً وأنت تعنيه، ومنه المعارض في الكلام^(١).

وقد عرّفه ابن الأثير بأنه: اللفظ الدال على الشيء من طريق المفهوم بالوضع الحقيقي والمجازي^(٢). وعند السبكي بأنه: الدلالة بالمفهوم بقصد المتكلم^(٣).

وتباينت آراء البلاغيين في العلاقة بين الكناية والتعريض؛ فمنهم من ذهب إلى أن الكناية والتعريض شيء واحد، ومنهم من جعل التعريض قسمًا من الكناية، وآخرون رأوا أن الكناية تختلف عن التعريض.

التعريض وشواهد عند الشيخ - رحمه الله -:

وقوف الشيخ على التعريض كوقوفه على الكناية في الآيات، فإنه يشير إلى موضعها في القرآن، دون الإسهاب في الحديث عنها، ولا يفصل في بلاغاتها، ولم يذكر الفرق بين التعريض والكناية، على أن الشيخ - رحمه الله - وضح معنى التعريض في تفسيره لقوله تعالى: ﴿فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، فقال: «التعريض هو أن يأتي الإنسان بكلام لا يُصرح فيه بمراده؛ لكنه مقارب، مثل أن يقول للمرأة: إني في مثلك لراغب؛ إنك امرأة يرغب فيك الرجال؛ إذا انقضت العدة فأخبريني؛ وعلى هذا فقس؛ فهذا ليس فيه تصريح أن يخطبها لا لنفسه، ولا لغيره؛ لكنه يسمى تعريضًا؛ والتعريض والتلويح بمعنى واحد»^(٤).

وقد فرق جمهور البلاغيين^(٥) بين التعريض والتلويح، بينما الشيخ - رحمه الله - يجعلهما

(١) ينظر: اللسان: (بين) والصحاح: (بين)، والطراز: ١ / ٣٨٠.

(٢) المثل السائر: ٣ / ٦٦، وينظر: البرهان: ٢ / ٣١١.

(٣) عروس الأفرح: ٤ / ٤٧٢.

(٤) تفسير سورة البقرة: ٣ / ١٥٩.

(٥) ينظر: الإيضاح: ٣٢٧، التلخيص: ٣٤٤، شروح التلخيص: ٤ / ٢٩٦، المطول: ٣١٤، الأطول: ٢ / ١٧٦، شرح

عقود الجمال: ١٠٣، حلية اللب: ١٦٩.

بمعنى واحد؛ فقد تحدث السكاكي عن التلويح في الكناية فقال: «متى كانت الكناية عرضية على ما عرفت كان إطلاق اسم التعريض عليها مناسباً، وإذا لم تكن كذلك نظر فإن كانت ذات مسافة بينها وبين المكنى عنه متباعدة لتوسط لوازم كما في (كثير الرماد) وأشباهه كان إطلاق اسم التلويح عليها مناسباً؛ لأن التلويح هو أن تشير على غيرك عن بعد»^(١).

وذكر - رحمه الله - أن من فوائد الآيات في سورة غافر: «استعمال التعريض، وأن المسرفين هم أصحاب النار، وجه ذلك أنه لم يقل لهم أنتم أصحاب النار، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر: ٤٣]، ولا شك أن أول من يدخل في هذه الجملة هؤلاء لكنه لم يشأ أن يتكلم بذلك صريحاً»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [الأنعام: ٧٧]. يقول: «وهذا تعريض لقومه بالضلال»^(٣).

وقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [البقرة: ٢٣٥]، وهذا القول: «ليس هو جنس ما قبله من المواعدة سرّاً؛ لأن المواعدة سرّاً ليس من القول المعروف؛ إذ إن القول المعروف هو التعريض دون التصريح»^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [آل عمران: ٦٠]، قال: «إن من فوائد الآية: جواز التعريض، أو جواز المخاطبة بالتعريض؛ لأن قوله: ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾، لا يعني أن الرسول يمكن أن يكون منهم، بل هو تعريض بهؤلاء وأنهم ذوو خلق سيئ، فلا تكن منهم، وإن كان هو ليس منهم لا باعتبار الواقع ولا المستقبل»^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَذَتِ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ بَغِيًّا﴾ [مريم: ٢٨]، ذكر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في هذه الآية الكريمة ما للتعريض من أثر قائلاً: «يريدون أن

(١) مفتاح العلوم: ١٩٤.

(٢) تفسير سورة غافر، آية: ٤٣.

(٣) تفسير سورة الصافات: ١٩٨.

(٤) تفسير سورة البقرة: ٣ / ١٦٠.

(٥) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٣٥٤.

يقولوا: إنها بغْيٌ، ولكن من أين جاءها البغاء! ؟ ، أبوها ليس امرأ سوءٍ، وأمُّها ليست بغِيًّا!!، هذا التعريض يقول بعض العلماء: إنه أشد وقعًا من التصريح، وجعلوا منه قوله تعالى عن ابني

آدم: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، يُعْرَضُ بأن أخاه قابيل ليس مُتَّقِيًّا»^(١).

وجاء تحريم الخمر على مراحل وقد عُرِّضَ بإحدى تلك المراحل؛ فقد ذكر الشيخ التدرج في تحريم الخمر؛ فقال: «إن الله تعالى لما أراد تحريم الخمر لم يحرمه بتأًا مرة واحدة، بل جعل ذلك درجات: فأباحه أولاً، ثم بين أن مضرته أكثر، ثم نهي عنه في وقت من الأوقات، ثم نهي عنه مطلقًا، فالمراتب أربع: أحله في قوله تعالى: ﴿وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، وهذا في سياق الامتنان فيكون حلالاً. عرض بتحريمه في قوله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعَةٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]، ومنعه في وقت من الأوقات: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾ [النساء: ٤٣]، وهذا يقتضي أن نتركه عند الصلاة»^(٢).

وبهذه الشواهد في التعريض عند الشيخ -رحمه الله- يتجلى منهجه، فهو لا يجلل ولا يبين قيمة الأسلوب من الناحية البيانية، ولكن يكتفي بذكر كونه تعريضاً، على طريقة الفقهاء، والشيخ -رحمه الله- واحد منهم، فكأنه لا يعنيه سوى أن يبين أنه تعريض وليس حقيقة صريحاً.

(١) شرح دروس البلاغة: ١٤٢.

(٢) جلسات رمضانية: ٤/ ١٧، وينظر: شرح رياض الصالحين: ١/ ١٨١٧.

المبحث الثالث

في علم البديع

ويشتمل على ما يلي:

- ١- الطباق والمقابلة.
- ٢- اللف والنشر.
- ٣- التورية.
- ٤- تأكيد المعنى (المبالغة).
- ٥- المشاكلة.
- ٦- تأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس.
- ٧- الفواصل.
- ٨- التقسيم.
- ٩- الاكتفاء.
- ١٠- صور أخرى.

للبديع مكانة مرموقة عند النقاد والبلاغيين، وقد زحرت آيات القرآن الكريم ونصوص الحديث النبوي بالبديع، وعدّه قوم من وجوه الإعجاز القرآني؛ لما له من أثر في جلال المعاني وجمال الألفاظ^(١)؛ لذا تبوأ المكانة الرفيعة في باب البلاغة، وبلغ شأواً عظيماً.

وقد أشاد الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- بفن البديع؛ قائلاً: «البلاغة فيها متعة ولا سيما في علم البديع، فالمرء إذا شبع طالعته؛ لأن علماء الغداء يقولون: لا ينبغي للإنسان إذا شبع أن يطالع أشياء تحتاج إلى عمق في التفكير؛ لأن المخ يكون مشغولاً بالضيف الذي ورد على معدته؛ لأنك إذا أشغلته بشيء فيه فكر عميق أتعبته، وحصل لك عسر هضم، ولا تطالع الأشياء التافهة مثل المجلات وغيرها، بل طالع كتاباً في الأدب أو علم البديع وما أشبهه؛ إذ فيها متعة تسرع لك هضم طعامك»^(٢).

والحقيقة أن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- تناول البديع تناولاً محدوداً فلم يبلغ بحث البديع عنده ما بلغه علما المعاني والبيان، ولعل وجهة الشيخ أن علمي المعاني والبيان هما الأصل وعليهما المعول في الكلام.

فلا تكاد تخلو من إشارات عامة في كثير من الفنون، أو وقفات دون تعمق لها، وذكر ما فيها من البلاغة، خاصة في البديع المعنوي، أما البديع اللفظي فهي قليلة ولا سيما ارتباط كثير من فنونها بالنثر والشعر، وسأتناول في هذا المبحث حديث الشيخ -رحمه الله- عن هذا الفن، وأذكر شواهد إن شاء الله.

(١) ينظر: النكت في إعجاز القرآن (ضمن ثلاث رسائل): ٧٠.

(٢) شرح الأصول: ١٣٥-١٣٦.

١- الطباق والمقابلة:

لقي هذا المبحث اهتمامًا كبيرًا من البلاغيين، وحفلت به كتب التراث البلاغي والنقدي، وهو من صور البديع المعنوي.

الطباق في اللغة:

والطباق في اللغة: الموافقة، يقال: طبقت بين الشيئين إذا جمعت بينهما على حدو واحد وألزقتهما... والمطابق من الخيل والإبل: الذي يضع رجله موضع يده^(١).

الطباق والمقابلة في الاصطلاح:

وأما في اصطلاح البلاغيين فهو: الجمع بين المتضادين، أي: معنيين متقابلين في الجملة^(٢)، «سواء أكان التقابل حقيقيًا أم اعتباريًا، ظاهرًا كان أو خفيًا، سلبيًا أو إيجابيًا^(٣). ويسمى أيضًا: المطابقة والتطبيق والتضاد.

أما المقابلة فهي: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يُقابلها على الترتيب^(٤). والشيخ - رحمه الله - يقف على آيات الذكر الحكيم مبيّنًا مواضع الطباق والمقابلة فيها، ويسميه تارة طباقًا وكثيرا ما يطلق عليه مقابلة، وهذه طريقة القدماء وكثير من أهل التفسير، ومن أمثلة ذلك عند الشيخ ما يأتي:

قال تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣﴾ [الليل: ١ - ٣]. قال: «فالله عَجَلٌ أقسم بأشياء متضادة على أشياء متضادة: الليل ضد النهار، الذكر ضد الأنثى، السعي متضادٌ صالحٌ وسيئٌ، فتناسب المقسم به والمقسم عليه، وهذا من بلاغة القرآن»^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا عَسَّسَ ۝١٧ وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَّسَ﴾ [التكوير: ١٧ - ١٨]. «معنى قوله:

(١) ينظر: اللسان (طبق).

(٢) الإيضاح: ٣٤٨، التلخيص: ٣٤٨.

(٣) ينظر: شروح التلخيص: ٤ / ٢٨٦-٢٨٧، البلاغة الاصطلاحية: ٣٠٨.

(٤) الإيضاح: ٣٥٣، التلخيص: ٣٥٢.

(٥) تفسير جزء عم: ٢٣٠-٢٣١.

﴿عَسَسَ﴾ يعني أقبل، وقيل: معناه أدبر، وذلك أن الكلمة ﴿عَسَسَ﴾ في اللغة العربية تصلح لهذا وهذا. لكن الذي يظهر أن معناها (أقبل) ليوافق أو ليطابق ما بعده من القسم وهو قوله: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا نَفَسَ﴾ فيكون الله أقسم بالليل حال إقباله، وبالنهار حال إقباله»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾ [النجم: ٤٣] يقول: «...وأتى بالأمرين وهما متقابلان، ليعلم بذلك أن الله ﷻ على كل شيء قدير، وهو القادر على خلق الضدين، ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾ [النجم: ٤٤]، أي: أمات في الدنيا وأحيا في الدنيا، وأمات في الدنيا وأحيا في الآخرة، أمات وأحيا البشر... فهو الذي خلق الموت، وهو الذي خلق الحياة، وهذان أيضًا متضادان، حياة وموت»^(٢).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ [الروم: ٥٤]. «فقابل الضعف بالقوة، وقال: ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، فقابل القدرة بـ﴿لِيُعْجِزَهُ﴾ بالعجز، فالقدرة ضدها العجز، والقوة ضدها الضعف»^(٣).

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَكَادُوهُمَا﴾ [النساء: ١٦] قال: «الذنان: في مقابل اللاتي، وتكون للذكور، ولكن المقابلة ليست بتامة، فهنا قال: (الذنان)، وهناك قال: (اللاتي)»^(٤)، أي إن لفظ (الذنان) يدخل فيها المرأة والرجل (الزاني والزانية)، في حين أن (اللاتي) يعبر بها في حق النساء دون الذكور.

وفي قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا﴾ ③ و﴿وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ ④ [الشمس: ٣ - ٤]، ذكر أن في الآيتين: «متقابلات، ... ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ ⑤ و﴿وَالْأَرْضَ وَمَا طَحَاهَا﴾ السماء والأرض متقابلات... ﴿فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ الفجور هو ما يقابل التقوى، والتقوى طاعة الله، فالفجور

(١) السابق: ٧٦.

(٢) تفسير سورة النجم: ٢٤٨.

(٣) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٥٣٣.

(٤) تفسير سورة النساء: ١ / ١٣٠.

معصية الله، فكل عاص فهو فاجر»^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، «معنى ﴿يَخْذَلْكُمْ﴾ مقابل ﴿يَنْصُرْكُمْ﴾ فالخذلان ضد النصر، وهذه من القواعد التي تُفيدك في تفسير القرآن، أن الكلمة قد يظهر معناها بما تُقرن معها من الضد.

فلو قال قائل: في قوله تعالى: ﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]، ما معنى ثبات؟ الجواب: فُرادي؛ لمقابلتها لقوله: ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، ذكر الشيخ - رحمه الله - ما بين الجملتين من تقابل فقال في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا﴾: «هذه الجملة مقابلة لما سبقها: الفضل ضد الفقر؛ والمغفرة ضد الفحشاء؛ لأن الفحشاء تُكسب الذنوب؛ والمغفرة تحو الذنوب؛ ففرق بين هذا، وهذا»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ﴾ [الصفات: ١٠١]، قال: «البشارة هي الإخبار بما يسر... وإذا أخبر بما يخوف قيل له: أنذر، ولهذا يذكر الله ﷻ دائماً التقابل بين البشارة والإنذار: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩]، ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥]»^(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]، ذكر الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - ما في الآية من مقابلات؛ قال: «هذه أربعة أسماء، كلها متقابلة في الزمان والمكان، تفيد إحاطة الله ﷻ بكل شيء أولاً وآخراً، وكذلك في المكان ففيه الإحاطة الزمانية والإحاطة

(١) تفسير جزء عم: ٢٢٥-٢٢٦.

(٢) تفسير سورة آل عمران: ٢/٣٧٨.

(٣) تفسير سورة البقرة: ٣/٣٤٦.

(٤) تفسير سورة الصفات: ٢٢٤.

المكانية»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿﴾ [الرحمن: ٢٦ - ٢٧]، ذكر الشيخ - رحمه الله - مناسبة الصلة بين الآيتين؛ فقال: «... قال بعض السلف: ينبغي إذا قرأت: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾؛ أن تصلها بقوله: ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ﴾؛ حتى يتبين نقص المخلوق وكمال الخالق، وذلك للتقابل، هذا فناء وهذا بقاء»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴿﴾ [ص: ٢٨]، «المفسد مقابل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فيكون المراد بالمفسدين في الأرض: الكفار الذين يعملون السيئات، فكل كافر مفسد في الأرض، في مقابل: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، وكل عاصٍ، فهو مفسد في الأرض، في مقابل: ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، فالشيء يُعرف بمقابله»^(٣).

وأحياناً يذكر الشيخ - رحمه الله - التضاد بين الكلمات ولا يصرح بمصطلح الطباق ففي قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَنْ نَجِيَّتَ بِالْحَقِّ ﴿﴾ [البقرة: ٧١]، «قال بعض المفسرين: إن المراد بقولهم: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي: بالبيان التام - أي الآن بينت لنا أوصافها، فجعلوا (الحق) هنا بمعنى البيان؛ ولكن الصواب أن (الحق) هنا ضد الجزء، والباطل؛ يدل ذلك على أنهم صدروا هذه القصة بقولهم: ﴿أَنْتَ خِدْنَا هُرُؤًا ﴿﴾ [البقرة: ٦٧]؛ فبعد هذه المناقشات مع موسى، والسؤالات، وطلب الله ﷻ قالوا: الآن جئت بالحق، وعرفنا أنك لست مستهزئاً بنا؛ بل إنك جادّ فيما تقول»^(٤).

ويذكر الشيخ - رحمه الله - ما في المقابلة من بلاغة وحكمة، ويبين ما فيها من نكتة بلاغية؛ قائلاً: «بلاغة القرآن وحكمة القرآن، بلاغته في الإتيان بالمعاني متقابلة؛ لأن الإتيان بالمعاني المتقابلة توجب نشاط الإنسان حيث ينتقل الذهن من معنى إلى ما يقابله، فيزداد نشاطاً وشغفاً. وأما من جهة كمال البلاغة فلأن المعاني إذا تنوعت على وجوه التقابل ازداد

(١) شرح العقيدة الواسطية: ١ / ١٨٠.

(٢) السابق: ١ / ٢٨٣.

(٣) تفسير سورة ص: ١٣٤.

(٤) تفسير سورة البقرة: ١ / ٢٣٩.

اللفظ حسنًا، وهذا معروف عند علماء البلاغة في علم البديع باسم المقابلة، وفيه أيضًا تربية للنفس؛ لأن النفس إذا سمعت عقاب الكافرين خافت ووجلّت وربما يستولي عليها اليأس، فإذا جاء ثواب المؤمنين طمعت ورجت فصار سيرها إلى الله تعالى بين الخوف والرجاء»^(١).
فمن خلال هذه الشواهد ظهرت لنا عناية الشيخ بالطباق والمقابلة؛ لما فيهما من جلاء المعاني، وكمال الحسن، ولا يضر خلط الشيخ بين المصطلحين؛ فإن طائفة من العلماء سلكوا هذا السبيل^(٢).

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٣٤٦.

(٢) ينظر: الجامع الكبير: ٢١٢، والإيضاح: ٣٤١، والتلخيص: ٣٥٢، وشروح التلخيص: ٤ / ٢٩٦، والمطول: ٤١٩.

٢- اللف والنشر:

وهو: أن تلف بين شيئين في الذكر، ثم تتبعهما كلاماً مشتقاً على متعلق بواحد وبآخر من غير تعيين، ثقة بأن السامع يرد كلا منهما إلى ما هو له^(١). ويسميه بعض البلاغيين: التفسير^(٢)، والطي والنشر^(٣)، واللف^(٤)، وحمل اللفظ على اللفظ في الترتيب^(٥). وهو أنواع:

إما أن يكون اللف مفصلاً والنشر على ترتيب اللف، وإما أن يكون على غير ترتيبه، وإما أن يكون اللف مجملاً^(٦).

وللشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - عناية بفن اللف والنشر أثناء تفسيره للقرآن، حيث يقف موضعاً له، ومشيداً به ومشيراً إلى أنواعه؛ اللف والنشر المرتب، وغير المرتب، والمحمل، ومن ذلك: ما جاء في شرحه - رحمه الله - لزيد المستقنع موضعاً معنى قول المؤلف في قوله: «وإن باع بدون ثمن المثل أو دون ما قدره له أو اشتري له بأكثر من ثمن المثل أو مما قدره له صحَّ وضمَّ النَّقصَ والزيادة... (والزيادة) هذا فيما إذا اشترى بأكثر من ثمن المثل، أو مما قدره له، وهذا يسمى عند البلاغيين (اللف والنشر المرتب)، وأحياناً يكون اللف والنشر غير مرتب، فيبدأ بالثاني ثم الأول، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]، هذا لف ونشر غير مرتب، وقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: ١٠٥]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا﴾، ثم قال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا﴾ [هود: ١٠٨]، هذا لف ونشر مرتب.

فإذا قال قائل: ما هو الأصل أن يكون اللف والنشر مرتباً أو أن يكون غير مرتب؟ قلنا:

(١) ينظر: مفتاح العلوم: ٥٣٤.

(٢) ينظر: العمدة: ١/ ٣٦٩، كتاب الصناعتين: ٣٤٥.

(٣) خزنة الأدب: ٧٦.

(٤) الكشف: ١/ ٢٢٦، ٢/ ٥٢.

(٥) سر الفصاحة: ٢٣٥.

(٦) ينظر: الإيضاح: ٢/ ٤٣، تحقيق: د. محمد خفاجي، وينظر: بغية الإيضاح: ٤/ ٣٦.

الأصل أن يكون مرتباً؛ لكنه يأتي أحياناً غير مرتب لنكتة بلاغية تظهر عند التأمل، فالمؤلف هنا مشى على اللف والنشر المرتب^(١)، ولا بد لكل ما خالف الأصل من فائدة، وإلا فالأصل أن يكون اللف والنشر مرتبين^(٢).

وفي موضع آخر يوضح ما في الآية الكريمة من لف ونشر: فيقول في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٦]: «بدأ بذكر الذين اسودت وجوههم مع أنه آخر ذكرها فيما قبل؛ لأنه قال: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾، وكان من المتوقع أن يقول: فأما الذين ابيضت وجوههم؛ لأن هذا هو الترتيب، ولكن كان الأمر بخلاف المتوقع، ويسمي علماء البلاغة هذا النوع من السياق لُفًّا ونشراً غير مرتب^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لِرِزْقِنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، قال: «ماله من نفاد: أي: انقطاع، دائماً، أو نقول: خبر ثانٍ ل(إن) هذا لِرِزْقِنَا، إن هذا ما له من نفاد، ويكون التقدير: دائم؛ إذًا في الكلام لف ونشر مرتب^(٤).

ويوضح الشيخ -رحمه الله- الفرق بين اللف والنشر المرتب، وغير المرتب، فيقول: «اللف والنشر المرتب: إنك إذا أتيت بالحكم عائداً على ما سبق، فإن كان على ترتيب ما سبق؛ فهو مرتب، وإن كان على خلافه؛ فهو غير مرتب؛ ويُسمى: مشوشاً^(٥).

ويشير في موضع آخر إلى أنه يفضل تسمية المشوش غير مرتب، قائلاً: «والبلاغيون يقولون: لَفٌّ وَنَشْرٌ مُشَوِّشٌ، لكن نحن نُبْعِدُ التَّشْوِيشَ، نقول: لَفٌّ وَنَشْرٌ غَيْرُ مَرْتَّبٍ^(٦)، وقال في موضع آخر: «والبلاغيون يقولون: المشوش، ونحن لا نريد التشويش، فنقول بدلاً من المشوش: غير مرتب^(٧)؛ وهذا من دقة الشيخ -رحمه الله- وعنايته بالمصطلحات أعني كونه

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٩ / ٣٦٨.

(٢) السابق: ٩ / ٢٢٨.

(٣) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٢٧.

(٤) تفسير سورة ص: ٢٠٩.

(٥) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ٢ / ١٢٩.

(٦) شرح ألفية ابن مالك: شريط ١، باب الموصول.

(٧) شرح صحيح البخاري: ٢ / ١٨٠.

يأبى أن يسميه المشوَّش؛ تأديباً مع كلام الله ﷻ.

وفي قوله تعالى: ﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ۗ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ ۗ وَالسَّادِقُونَ وَالسَّادِقُونَ ﴾ [الواقعة: ٨ - ١٠]، يقول -رحمه الله-: «ذكرهم الله تعالى غير مرتبين في الفضل، فبدأ الله بأصحاب الميمنة ثم ثنى بأصحاب الشمال، ثم ثلث بالسابقين، لكن عند التفصيل بدأ بهم مرتبين على حسب الفضل فبدأ بالسابقين، ثم بأصحاب اليمين، ثم بأصحاب الشمال، وهذا التفصيل المرتب خلاف الترتيب الجمل، وهو من أساليب البلاغة»^(١). وهو هنا يشير إلى اللف والنشر الجمل.

وفي قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يَخْتَارُ ۗ وَمِمَّنْ يَنْتَهِىٰ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٥٦] يقول -رحمه الله-: «هذا فيه ما يسمى عند البلاغيين لفاً ونشراً مرتباً، (ما ماتوا) مقابل (إذا ضربوا)، (وما قتلوا) مقابل (أو كانوا غزى)، و(إذا ضربوا) قبل (كانوا غزى)، إذن فهو مرتب، فلو كانوا عندنا ولم يضربوا في الأرض ما ماتوا، ولو كانوا عندنا ولم يغزوا ما قتلوا»^(٢).

(١) تفسير سورة الواقعة: ٣٢٩.

(٢) تفسير سورة آل عمران: ٢ / ٣٤٧.

٣- التورية:

التورية في اللغة:

التورية في اللغة: تدور على الستر والإخفاء، يقال: وريت الخبر: جعلته ورائي وسترته، ووريت عنه سترته وأظهرت غيره، والتورية الستر^(١).

التورية في الاصطلاح:

وفي الاصطلاح: هي أن تكون الكلمة بمعنيين فتريد أحدهما فتورّي عنه بالآخر^(٢). وقد حظيت التورية بمكانة عالية عند علماء البديع، يقول الزمخشري مبيّنًا فضلها: «ولا ترى بابًا أدق وألطف من هذا الباب»^(٣). وتسمى: الإيهام^(٤)، والتوجيه^(٥)، والتخييل^(٦)، والتخيير^(٧)، والمغالطة المعنوية^(٨)، والأحاجي والإلغاز^(٩).

والشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - يُعرّفها بقوله: «هي أن يظهر للمخاطب ما لا يريد، ويفهم منه المخاطب معنى غير المراد»^(١٠).

وهو تعريفٌ أعم من تعريف البلاغيين؛ ويقسم التورية إلى تورية فعل، وتورية قول من خلال شواهد، ويبيّن - رحمه الله - الأصل في الحكم الشرعي عليها، ومنها تندرج عليها أحكام الشرع من الوجوب والاستحباب والإباحة والكراهية والتحريم، يقول: «فإذا قال قائل: ما

(١) اللسان: (ورى).

(٢) البديع في نقد الشعر: ٦٠.

(٣) الكشاف: ٣ / ٣٥٦.

(٤) ينظر: الإيضاح: ٣١٢، المطول: ٦٥٢، خزانة الأدب: ٣ / ١٨٤، التحرير والتنوير: ٢٧ / ٣٦٢.

(٥) تحرير التحرير: ٢٦٨.

(٦) طراز الحلة وشفاء الغلة: ٤٤٧.

(٧) علم البديع، لمحمود المراغي: ٧٧.

(٨) المثل السائر: ٢ / ٢٠٣.

(٩) الطراز: ٣ / ٦٢.

(١٠) تفسير سورة الصفات: ٢١٠.

الأصل فيها: الإباحة أو الكراهة؟ فالأقرب أن الأصل فيها الكراهة، ولكن قد تكون مباحة، وقد تكون مستحبة، وقد تكون واجبة، وقد تكون حراماً^(١)، فهي إذن عنده تدور عليها الأحكام التكليفية الخمسة، وهذه فائدة جديدة يتحفنا بها هذا العالم الجليل. هذا، وللشيخ -رحمه الله- فتوى مطولة في حكم التورية وأقسامها في الشريعة، أملتها قريحتة الفقهية الفذة، وأحيل القارئ إليها^(٢).

ومن تلك الشواهد، عند الشيخ:

قوله في قوله تعالى: ﴿فَنظَرَ نَظْرَةً فِي التُّجُومِ ۗ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصفات: ٨٨ - ٨٩]:
«وإنما نظر فيها وهو لا يعتقد ﷺ من باب التورية، وهذا تورية بالفعل، فكما تكون التورية بالقول تكون التورية بالفعل... لأنك أظهرت لغيرك خلاف ما يراه، والتورية بالقول أظهرت لغيرك خلاف ما يسمعه»^(٣).

وبهذا الشاهد يظهر أن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- أول من قسم التورية بهذا التقسيم؛ وهو: تورية بالفعل وتورية بالقول.

وقال في فوائد قوله تعالى: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾ [الصفات: ١٠٢]، «إنه يجوز امتحان الشخص بما لا يؤخذ رأيه فيه، ولكن للاستعلام لقوله: ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى﴾، فإن إبراهيم ﷺ لا يريد أن ينظر إلى ابنه إن قال: لا تدبني، ترك الذبح، بل يريد أن يعرف مدى قبوله واستعداده، فيكون في هذا تورية، والتورية لا شك أنها جائزة للاستعلام والاستخبار، ولا سيما عند الحكم في القضاء، وفي قصة سليمان ﷺ في المرأتين اللتين تخاصمتا في ولد بينهما، حيث تخاصمتا عند داود ﷺ، فحكم به للكبرى، ثم تخاصمتا عند سليمان ﷺ فدعا بالسكين ليشقه نصفين بينهما، وسليمان لن يفعل أبداً، لكن هذا من باب التورية واستطلاع الحقيقة، فلما دعا بالسكين وأراهما أنه يريد أن يشقه نصفين،

(١) السابق: ٢١١، وينظر: شرح العقيدة الواسطية: ٢ / ١٧٢.

(٢) ينظر: شرح الأربعين نووية: ١٠، ولقاءات الباب المفتوح: ١٧، وشرح العقيدة السفارينية: ١ / ٤٦٩.

(٣) السابق: ١٩٩.

قالت الصغرى: هو ولدها يا نبي الله، فعرف أنه لها؛ لأنها أدركها حب الولد فتنازلت عن حقها منه ودعواها، والكبيرة رضيت؛ لأنه لا يهمها أن يقتل ابن هذه المرأة، كما أكل الذئب ولدها. إذاً نأخذ من هذا أنه يجوز للإنسان أن يورثي للشيء لاستطلاع الأمر واستظهاره»^(١).

وفي قوله: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٣] يقول: «فيه تورية وإن كان الكبير لم يفعل لكن الذي كسر الأصنام هو إبراهيم عليه السلام، إلا أنه ورى أي فعله كبيرهم الذي تزعمون أنه إله»^(٢). فقد أوهم إبراهيم عليه السلام لقومه بالمعنى القريب؛ وهو أنه سقيم أي: مريض، وهو يريد المعنى البعيد أي: سقيم من فعلكم.

(١) تفسير سورة الصافات: ٢٣٥-٢٣٦.

(٢) شرح العقيدة السفارينية: ١/ ٤٦٥، وينظر: شرح العقيدة الواسطية: ٢/ ١٧٢.

٤- المبالغة:

المبالغة في اللغة:

المبالغة في اللغة: أن تبلغ في الأمر جهدك، ويُقال: بلغ فلان أي جُهد^(١). وهي في الاصطلاح: أن يدَّعي (المتكلم) لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدًّا مستحيلًا أو مستبعدًا، فلا يظن أنه غير متناه في الشدة أو الضعف^(٢). وتسمى: التبليغ والإفراط^(٣)، والإفراط في الصفة^(٤)، والغلو والاقتصار^(٥)، ونهاية وصف الخلق^(٦)، والإغراق في الصفة^(٧).

وقد تناول الأدباء والنقاد صور المبالغة واعتنوا بها في مؤلفاتهم. يقول العلوي: «أما من عاب المبالغة فقد أخطأ، فإن المبالغة فضيلة عظيمة لا يمكن دفعها وإنكارها، ولولا أنها في أعلى مراتب البيان لما جاء القرآن ملاحظًا لها في أكثر أحواله، وجاءت فيها على وجوه مختلفة لا يمكن حصرها، فقد أخطأ من عابها على الإطلاق، وأما من استجادها على الإطلاق فغير مصيب على الإطلاق أيضًا؛ لأن منها ما يخرج عن الحد فيعظم فيه الغلو والإغراق فيكون مذمومًا...»^(٨).

وفي القرآن ألوان من هذا الأسلوب الفريد، إلا أنها من قبيل المبالغة المحمودة في مقام ذكرها.

والشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يبين تلك المواضع في القرآن الكريم، وكذلك يوضح الغرض منها؛ فمن تلك الشواهد:

(١) اللسان: (بلغ).

(٢) الإيضاح: ٣١٩.

(٣) حسن التوسل: ٨٥.

(٤) البديع: ٦٩.

(٥) نقد الشعر: ٥٨.

(٦) قواعد الشعر لثعلب: ٤٢.

(٧) حدائق السحر: ١٧٥.

(٨) الطراز: ١١٩ / ٣.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]. يقول: «أي: زنة ذرة... المقصود بها المبالغة في التحقير، وما كان المقصود به المبالغة في التحقير فإنه لا مفهوم له»^(١).

وفي قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَنَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ٢٠]، قال الشيخ -رحمه الله-: «القنطار يقولون: إنه ملء جلد العجل من الذهب، وهذا شيء كثير، وبعضهم قال: ألف دينار، فهل في هذه الآية ما يدل على جواز الزيادة؟

بعضهم استدل بهذه الآية على جواز الزيادة، وبعضهم قال: لا دليل فيها، ولكن المعنى أنه لو فرض أنكم أعطيتهم هذا المبلغ لا تأخذوا منه شيئاً، فهو على سبيل المبالغة، مثل قوله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، وما ذكر على سبيل المبالغة لا يلزم أن يتحقق»^(٢).

والشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يوافق البلاغيين في هذا الفن، ويقف على كثير من الشواهد القرآنية التي وقفوا عليها.

(١) تفسير سورة النساء: ١ / ٣٣٠.

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع: ١٢ / ٢٥٦، وينظر: فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: ٤ / ٣٣٤.

٥- المشاكلة:

المشاكلة في اللغة:

المشاكلة في اللغة: الشكل: الشبه والمثل، وقد تشاكل الشيطان وشاكل كل واحد منهما صاحبه^(١).

المشاكلة في الاصطلاح:

وفي الاصطلاح: ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديرًا^(٢). وهي لون بدعي يحدث التناسق في الكلام، ويدل على التوسع في لغة العرب ومرونتها، سواء أكان ذلك في الألفاظ التي تدل على أكثر من معنى، أم في المعاني التي تناسب مع هذه الألفاظ.

ومن شواهد المشاكلة عند الشيخ -رحمه الله-:

قوله تعالى: ﴿وَقَيْنُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]. حيث قال: «ومنها: أن الظالم يجازى بمثل عدوانه؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؛ وقد قلنا فيما سبق: إن مثل هذا التعبير يراد به المماثلة بالفعل يعني: أن تسمية المجازاة اعتداءً من باب المشاكلة حتى يكون الجزاء من جنس العمل»^(٣).

وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]. «وقوله تعالى هنا: ﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾: ليس أخذنا بالقصاص اعتداءً؛ ولكنه سمي اعتداءً؛ لأنه مسبب عن الاعتداء؛ فكأنه يقول: أنتم إذا اعتدى عليكم أحد فخذوا حقكم منه؛ ثم فيه نكتة أخرى أن العادي يرى نفسه في مقام أعز من المعتدى عليه، وأرفع منه؛ ولو كان يرى نفسه في مكان دونه لم يعتد؛ فكأنه يقول: إن قصاصكم يعتبر أيضاً عزاً لكم؛ كما أنه هو طغى واعتدى، فأنتم الآن يعتبر قصاصكم بمنزلة المرتبة العليا بالنسبة إليهم؛ وإن شئت فقل: أطلق على المجازاة

(١) اللسان: (شكل).

(٢) بغية الإيضاح: ١٨/٤، وينظر: مفتاح العلوم: ٤٢٤.

(٣) تفسير سورة البقرة: ١٩٤/٢.

اعتداءً من باب المشاكلة اللفظية»^(١).

وقال في موضع آخر: «وهي من باب مقابلة الشيء بمثله لفظاً؛ لأنه سببه، وليس معناه: أن فعلكم هذا عدوان؛ لكن لما صار سببه العدوان صح أن يعبر عنه بلفظه»^(٢).

ولأن في المشاكلة استعمالاً للفظ في غير معناه فقد اختلف البلاغيون فيها، «فذهب بعضهم إلى أنها حقيقة؛ لأنها خالية من العلاقة المصححة للمجاز... ولم يُسلم لهؤلاء رأيهم، حيث إن اللفظ المشاكل ليس مستعملاً في معناه الحقيقي، فذهب فريق منهم إلى أنها مجاز، وأنها مجاز مرسل علاقته المجاورة في الذكر»^(٣).

ولهذا الأمر - وهو احتمال كون المشاكلة مجازاً - كان تراجع ابن عثيمين عن القول بأن في المشاكلة استعمالاً للفظ في غير معناه - في أسماء الله وصفاته - وهو ما يوضحه تعليقه على عدد من الآيات التي وقعت فيها المشاكلة التحقيقية، فيبين فيها أن اللفظ فيها مستعمل في معناه وأنه حقيقة؛ لأجل ذلك يقول في رده على من اتخذ صفات الله الحقيقية من باب المشاكلة:

«... إن المشاكلة عند من قال بها تكون في أحد الطرفين حقيقة، وفي الثاني غير حقيقة، لكن ذكرت بلفظه للتشاكل. ثم إن فتح باب المشاكلة يفتح به إشكالات، ألا ترى أن الداهبين لذلك أنكروا من أجله صفات يثبتها السلف أهل السنة:

فقالوا: إن الاستهزاء الذي أخبر الله به عنه نفسه في قوله: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] من المشاكلة. وقالوا: إن الخداع الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢] من المشاكلة. وقالوا: إن المكر الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿وَيَمْكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠] من المشاكلة. وقالوا: إن الكيد الذي أخبر الله به عن نفسه في قوله: ﴿وَإِكِيدُ كَيْدًا﴾ [الطارق: ١٦] من المشاكلة. وقالوا: إن الرضا الذي أخبر الله به عن نفسه في

(١) السابق: ٢ / ٣٨٥.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٣٨٣.

(٣) الإيضاح: ٢ / ١٣٧.

قوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩] من المشاكلة. إلى غير هذا مما ذكره ونفوا من أجله حقيقة ما وصف الله به نفسه من ذلك»^(١).

ويتضح أيضاً ردّه للمشاكلة في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] يقول: «فأهل السنة والجماعة يثبتون هذه المعاني لله وَعَجَّلَ على سبيل الحقيقة. لكن أهل التحريف يقولون: لا يمكن أن يوصف بها أبداً، لكن ذكر مكر الله ومكرهم من باب المشاكلة اللفظية، والمعنى مختلف؛ مثل: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]»^(٢).

ومما سبق يتضح أن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يقف على شواهد المشاكلة في القرآن الكريم؛ وقد وصفها بالمقابلة .

ويرد الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- المشاكلة في أسماء الله وصفاته، وهو مذهب أهل السنة والجماعة وأن ما جاء في أسماء الله وصفاته إنما هو على سبيل الحقيقة لا المجاز؛ لكن نجد أنه يثبت المشاكلة في غير آيات الصفات؛ وهي ما أوردتها في أول البحث.

(١) مجموع الفتاوى: ١ / ١٨٦.

(٢) السابق: ٨ / ٢٨٤.

٦- تأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس:

أولاً: تأكيد المدح بما يشبه الذم:

هذا الفن من الأساليب التي تبه عليها البلاغيون قديماً وحديثاً بهذا الاسم^(١)، أو (بما يوهم الذم) أو تحت اسم (الاستثناء)^(٢) أو (النفي والجحود)^(٣). وهو: «أن يصف الشاعر أو الكاتب شيئاً ويؤكدده ويقرره في مناقبه ومحامده ألفاظاً تُوهم السامع قبل أن يعيها ويتحققها أن المتكلم قد رجع من المدح إلى الذم»^(٤).

وللشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - إشارة إلى هذا الفن في آيات الذكر الحكيم؛ فقد قال في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]؛ قال: «مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ» أي معادياً له؛ (وجبريل) هو الملك الموكل بالوحي؛ وكان اليهود يعادونه، ويقولون: (إنه ينزل بالعذاب)؛ ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ، عَلَى قَلْبِكَ﴾: فيه إعرابان: الأول: أن الجملة جواب الشرط؛ ووجه ارتباطه بفعل الشرط من الناحية المعنوية تأكيد ذم هؤلاء اليهود المعادين لجبريل، كأنه لم يكن فيه ما يوجب العداوة إلا أنه نزل على قلبك؛ وهذا يشبه تأكيد المدح بما يشبه الذم، كقول القائل:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سَيُوفَهُمْ هِيَ قُلُوبٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَائِبِ^(٥)

فالمعنى: من كان عدوًّا لجبريل فلا موجب لعداوته إلا أنه نزل، أي القرآن، على قلبك؛ وهذا الوصف يقتضي ولايته لا عداوته»^(٦).

(١) حلية المحاضرة: ١ / ١٦٢.

(٢) البديع لابن منقذ: ١٢٠.

(٣) أنوار الربيع في أنواع البديع لابن معصوم المدني: ٦ / ٤٥٢.

(٤) روضة الفصاحة للرازي: ٢٥١.

(٥) البيت للناطقة الذبياني، ديوان النابغة: ١٩٩، الأمثال لابن سلام: ١ / ١٩.

(٦) تفسير سورة البقرة: ١ / ٣١٣.

ثانياً: تأكيد الذم بما يشبه المدح:

وهو على العكس من سابقه، ويسمى: تأكيد الشيء بما يشبه ضده^(١).

وقد عرض الشيخ -رحمه الله- هذا الفن في قوله تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [البروج: ٨]، قال: (أي ما أنكر هؤلاء الذين سعروا النار بأجساد هؤلاء المؤمنين إلا هذا، أي: إلا أنهم آمنوا بالله عَزَّ وَجَلَّ) ﴿إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾، وهذا من باب توكيد الذم بما يشبه المدح؛ لأن الإيمان بالله ليس محل إنكار^(٢).

(١) التحرير والتنوير: ٣٠ / ٣٨.

(٢) تفسير جزء عم: ١٢٦.

٧- الفواصل:

الفاصلة في اللغة: مأخوذة من الفصل ما بين الشيئين^(١).
 واصطلاحاً: تواطؤ الفاصلتين من النثر على حرف واحد^(٢). والمراد بالفاصلتين: الكلمتان
 الأخيرتان من الفقرتين. والمراد تواطؤهما على حرف واحد في آخرهما.
 وقد أثر كثير من البلاغيين تسمية ما في القرآن الكريم من هذا النوع من البديع
 بـ(الفواصل) على مصطلح (السجع)؛ لأن السجع في الأصل هديل الحمام، فينبغي تنزيه القرآن
 عن أن يستعار لشيء فيه لفظ هو في الأصل صوت الطائر، ولأنه سمة مميزة لحديث الكهان
 قبل الإسلام؛ يقول الرازي: «ولا يقال لأواخر الكلم في القرآن: أسجاع، بل فواصل كما قال
 الله تعالى: ﴿كَتَبْنَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]^(٣)، على أن من
 البلاغيين من ارتضى تسمية هذا الفن بـ(السجع)^(٤).

والشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يسميه الفواصل وربما ذكر السجع وهذا قليل.
 ولكنه يقف منه متوسطاً، كسائر المحسنات اللفظية؛ فيقول: «والسجع إذا لم يكن متكلفاً
 فإنه لا شك يزين الكلام ويحبه إلى النفس، ولهذا يقع أحياناً في كلام الرسول ﷺ لكن بدون
 تكلف»^(٥).

وقد تحدث الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في شرحه لدروس البلاغة عن السجع المحمود
 والمذموم وقيمته، وأورد الأمثلة عليه؛ فيقول: «السجع كثير في كلام العرب، وفي الحديث النبوي،
 وفي كلام العلماء، ومن أقدر من قرأت كتابه على السجع ابن الجوزي -رحمه الله- في (التبصرة)،
 يأتي بسجع عجيب يأخذ باللب، وتشعر بأن الرجل لا يتكلف، وقد يوجد من يكون كلامه كله
 سجعاً، ويسهل عليه السجع، فهل السجع محمود أم مذموم؟

(١) اللسان (فصل).

(٢) الإيضاح: ٤٠٢، المثل السائر: ١/ ٣٠٨.

(٣) روضة الفصاحة: ٢١٠.

(٤) ينظر: الصناعتين: ٢٨٥، سر الفصاحة: ١٦٦، المثل السائر: ١/ ٣٠٨.

(٥) شرح مقدمة التفسير: ٥.

نقول:

إذا كان غير متكلف وجاءت به الطبيعة فإنه محمود؛ لأن ينمق الكلام ويحسنه ويُطرب الأسماع.

وأما إذا كان متكلفاً فإنه لا شك أنه مذموم؛ ولهذا تجد السجع المتكلف يحصل فيه غموضٌ في المعنى؛ لأن المتكلم يحاول أن يأتي بالكلمات المناسبة ولكن مع مشقة. أما إذا أُريد به الباطل فهذا واضحٌ أنه سواء كان سجعاً أم غير سجع أنه مذمومٌ بلا شك، فقول الرسول ﷺ: ((قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق))^(١)؛ هذا سجعٌ بلا شك، لكنه محمود؛ لأنه غير متكلف جاء به السليقة هكذا، فلا يكون مذمومًا. وكذلك يوجد في بعض الخطب - حُطِب العلماء - رحمهم الله - التي قبل بدء الكلام سجعٌ كثيرٌ.

أما إذا قُصِدَ به الباطل فلا شك أنه مذموم، مثل قول حمل بن النابغة للرسول ﷺ حين قَضَى في قصة المرأتين المقتلتين بديهةً وغرةً، قال: «يا رسول الله! كيف أعزُّمُ مَنْ لا شَرِبَ ولا أَكَلَ، ولا نَطَّقَ ولا استهل؟»، فمثل ذلك يُطَلَّ^(٢). . . فقال النبي ﷺ: ((إنما هذا من إخوان الكُهَّان))، من أجل سجعه الذي سَجَع^(٣)، يعني: من أجل كلامه المسجوع؛ لأن الكاهن يأتي بكلام مسجوع لينمق الكلام ويكون أشد طرباً للأسماع^(٣).

ويُعَدُّ الشيخ السجع في الدعاء دون تكلف مما يضيف على اللفظ الحسن والجمال والمبالغة، ويذم التكلف فيه؛ لأنه ربما يؤدي إلى الاعتداء في الدعاء، فيقول:

«وإذا جاء السجع سجية وطبيعة بدون تكلف فإنه مما يحسن اللفظ ويجمله، ولهذا كان النبي ﷺ أحياناً يستعمل السجع مثل قوله ﷺ: ((قضاء الله أحق، وشرط الله أوثق، وإنما الولاء لمن أعتق))، فإذا جاء السجع من غير تكلف فهو من محسنات اللفظ، أما مع التكلف كما يوجد في بعض ما يدعو به بعض الناس في دعاء ختم القرآن من الأسجاع الطويلة العريضة،

(١) أخرجه: البخاري: ٩٨٩/١، (٢١٦٨) .

(٢) أخرجه: البخاري: ٢٩٣٩/١، (٥٧٦٠)، ومسلم: ١١٠/٥، (٤٤٨٥) .

(٣) شرح دروس البلاغة: ١٥٨ .

وربما يكون فيها اعتداء في الدعاء بحيث يتوسلون إلى الله تعالى بما لم يكن وسيلة، أو يدعون الله تعالى بما لا يمكن أن يكون لهم، فهذا غلط»^(١).

وخلاصة كلام الشيخ في السجع:

- أن السجع المتكلف مذموم.
- أن السجع الذي يُراد به إبطال الحق مذموم. لكن الأول مذموم من حيث الشكل، والثاني مذموم من حيث المضمون.
- أن السجع الذي لا يبطل حقاً ولا يأتي متكلفاً محموداً؛ لأنه لا شك أنه يُحسن الكلام. وكثيراً ما يذكر الشيخ أن تقديم الكلمة أو تأخيرها إنما جاء مراعاة للفاصلة، أي إشارات فقط، وله وقفات وحديث في بلاغة الفاصلة، فمن ذلك:

عند قوله تعالى: ﴿تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠] «وفي الحاقه قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقه: ٧] والمعنى متقارب، لكن من بلاغة القرآن أن يجري الكلام فيه على نسق واحد، فهناك: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ مناسب للفواصل التي في الحاقه، أما هنا: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾ مناسب للفواصل التي في سورة القمر؛ لأن تناسب الكلام واتساقه من كمال بلاغته»^(٢). فيذكر -رحمه الله- أن مراعاة الفاصلة القرآنية من البلاغة.

وفي قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، يقول: «ومن الفوائد اللفظية: مراعاة الفواصل، فواصل الآيات، فإن قال: (فإن تولوا فإن الله لا يجهم) لم تتناسب هذه الفاصلة مع الفواصل التي قبلها وبعدها، ومراعاة الفواصل من البلاغة؛ ألم تروا إلى قوله تعالى في سورة طه: ﴿قَالُوا أَمَّا بَرِّ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]، مع أنه في الآية الأخرى يقدم موسى، وموسى أفضل من هارون -لا شك-، وأحق بالتقديم، لكنه قدم هارون على موسى في هذه الآية من سورة طه من أجل مراعاة الفواصل، ولا شك أن القرآن في قمة البلاغة، ومراعاة

(١) لقاءات الباب المفتوح: ٨٠.

(٢) تفسير سورة القمر: ٢٧٦.

الفواصل من البلاغة»^(١).

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِ لَرُءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ يقول - رحمه الله -
«...﴿لَرُءُوفٌ﴾ قال العلماء: إن الرأفة أشد الرحمة؛ فهي رحمة خاصة؛ و﴿رَّحِيمٌ﴾ أي
متصف بالرحمة؛ وقالوا: إنه قدمت: ﴿لَرُءُوفٌ﴾ على: ﴿رَّحِيمٌ﴾ مع أن (الرؤوف) أبلغ من
أجل مراعاة الفواصل؛ وقال تعالى: ﴿رَّحِيمٌ﴾؛ لأن هذا يتعلق بفعله أي برحمته الخلق»^(٢).

وقال - رحمه الله - في قوله تعالى: «﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى﴾ [الضحى: ٧] ولم يقل:
فهداك، ﴿وَوَجَدَكَ عَابِلًا فَأَغْنَى﴾ [الضحى: ٨]، ولم يقل: فأغناك لماذا؟! لمناسبتين إحداهما:
لفظية، والثانية: معنوية، أما اللفظية فلأجل أن تتناسب رؤوس الآيات كقوله تعالى: ﴿وَالضُّحَى﴾
﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴿٣﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَرَضَى ﴿الضحى: ١ - ٥﴾، كل آخر الآيات ألف فقوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾ [الضحى:
٦]، لو قال: فأواك اختلف اللفظ، ووجدك ضالا فهداك اختلف اللفظ، ووجدك عائلا فأغناك
اختلف اللفظ، لكن جعل الآيات كلها على فواصل حرف واحد»^(٣).

وأخيراً كما في قوله تعالى: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الصفات: ١٧٧]؛ قال الشيخ - رحمه
الله -: في هذه الآية «أقام الظاهر مقام المضمّر، وإقامة الظاهر مقام المضمّر لا بد لها من
فائدة: إما لفظية، وإما معنوية، وإما لفظية معنوية، وهنا إقامة الظاهر مقام المضمّر له فائدة
لفظية ومعنوية، فاللفظية هي: مراعاة فواصل الآيات. لأن الله تعالى يعبر بالكلمة والظاهر
خلاف التعبير بها من أجل مراعاة الفواصل، ﴿قَالُوا أَمْ تَأْتِيهِمْ هَرُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]، ومن
المعلوم أن موسى أفضل من هارون، وهو يقدم عليه في كتاب الله، لكن في هذه الآية قدم
هارون على موسى مراعاة للفواصل؛ لأن سورة طه فواصلها غالبها بالألف. وهنا نقول: (فساء

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٢٠٠، وينظر: شرح صحيح البخاري: ٢ / ١٧.

(٢) تفسير سورة البقرة: ٢ / ١١٤.

(٣) شرح رياض الصالحين: ١ / ٣٠٥.

صباحهم) لم تنسجم الفاصلة مع التي قبلها والتي بعدها، فقال: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذِرِينَ﴾؛ وهذه فائدة لفظية^(١).

(١) تفسير سورة الصافات: ٣٦٥.

٨- التقسيم:

وهو فن بديعي عريق، وقد عرّفه أبو هلال العسكري بقوله: «التقسيم الصحيح: أن تقسم الكلام قسمة مستوية تحتوى على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه»^(١). وهذا التعريف للتقسيم هو الذي يلحظ في كلام الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-؛ فمن ذلك ما جاء في تفسيره لسورة البقرة، فقد ذكر-رحمه الله- أن هذا التقسيم في أول السورة من: «بلاغة القرآن؛ بل فصاحة القرآن في التقسيم؛ لأن الله ﷻ ابتداء هذه السورة بالمؤمنين الخالص، ثم الكفار الخالص، ثم بالمنافقين؛ وذلك؛ لأن التقسيم مما يزيد الإنسان معرفة، وفهماً...»^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٧٢]، ذكر الشيخ -رحمه الله- ما في الآية من تقسيم؛ فقال: «﴿وَدَلَّلْنَاهَا﴾ أي: سخرناها وجعلناها ذليلة تنقاد لهم... ثم قسم الله ﷻ وجوه الانتفاع فقال: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾... أي: فمنها ما يركبونه، مثل الإبل. ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ مثل الغنم، ومنها ما يجمع بين الأكل والركوب مثل الإبل... فالمنافع كثيرة في هذه الأنعام التي خلقها الله ﷻ لنا. وقوله ﷻ: ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ (من) في الموضوعين هل هي للتبعيض، أو للابتداء، أو للجنس؟ مقتضى التقسيم أن تكون للتبعيض، أي: بعضها يركب وبعضها يؤكل»^(٣).

(١) كتاب الصناعتين: ٣٤١.

(٢) تفسير سورة البقرة: ١/ ٣٩.

(٣) السابق: ٢٧١.

٩- الاكتفاء:

الاكتفاء في اللغة: من كَفَى يَكْفِي كِفَايَةً، إذا قام بالأمر، ويقال: اسْتَكْفَيْتَهُ أَمْرًا فَكَفَانِيَهُ. ويقال: كَفَاكَ هَذَا الْأَمْرُ أَي حَسْبُكَ، وكَفَاكَ الشَّيْءُ يَكْفِيكَ واكْتَفَيْتَ بِهِ. وكَفَاهُ الْأَمْرُ: إذا قام فيه مقامه^(١).

واصطلاحًا: أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة؛ ولا يكون المكتفى عنه إلا آخرًا لدلالة الأول عليه، وذلك الارتباط قد يكون بالعطف وهو الغالب^(٢).

وذكر البلاغيون أنه ضرب من الإيجاز؛ لدلالة بعض الكلام على الذهاب منه^(٣). ولم يشر الشيخ -رحمه الله- إلى أن الاكتفاء من البديع، بل جاء الاكتفاء عنده من خلال وقوفه على بعض شواهد البلاغية، فمن ذلك: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ﴾ [الصفات: ٧٢]، يذكر -رحمه الله-: «أنه ينبغي في الخطاب أن يذكر ما يناسب المقام، وأن يحذف ما تكون الفصاحة في حذفه، وجهه أنه اقتصر هنا على ذكر الإنذار بالنسبة للرسول مع أن الرسل عليهم السلام حالهم الإنذار والتبشير، قال الله تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥]»^(٤).

وكما في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْأَعْيُنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً

(١) اللسان (كفى).

(٢) أنوار الربيع في أنواع البديع: ٣/ ٧١، وينظر: المنزح البديع: ١٨٨، والإنقان: ١/ ٦١، ومعتك الأقران: ١/ ٣٢٠.

(٣) ينظر: العمدة: ١/ ٢٥١، النكت في إعجاز القرآن: ٧٠، خزنة الأدب: ١٢٦، أنوار الربيع: ٣/ ٧١، المنزح البديع:

١٨٨.

(٤) تفسير سورة الصفات: ١٦٥.

لِأُولَى الْأَبْصَرِ ﴿١٣﴾ [آل عمران: ١٣].

ففي قوله: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾ [آل عمران: ١٣]، «ولم يقل الله عَجَلًا: (تقاتل في سبيل كذا)، وهذا من باب الاكتفاء بذكر أحد الوصفين عن الآخر، الأولى: قال: ﴿فَعَمَّةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٣]، ولم يقل: فئة (مؤمنة) تقاتل في سبيل الله. والأخرى قال: ﴿كَافِرَةٌ﴾، ولم يقل: تقاتل في سبيل الطاغوت. فحذف من الأولى مقابل ما ذكر في الثانية. حذف من الأولى (مؤمنة) التي تقابلها: ﴿كَافِرَةٌ﴾، وحذف من الثانية ضد ما ذكر في الأولى؛ فحذف: (في سبيل الطاغوت)، وذكر في الأولى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وهذا من باب الاكتفاء بذكر أحد الوصفين عن الآخر، وهو من البلاغة الإيجازية»^(١)، أقول: ومن العلماء من يعد هذا نوعا من الاحتباك، ولكل وجهة صحيحة^(٢). والاحتباك: «هو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول»^(٣).

وفي قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾ [الصفوات: ٥]، قال -رحمه الله-: «قال المؤلف^(٤) - رحمه الله-: (أي والمغرب للشمس، لها كل يوم مشرق ومغرب)، فكأنه من باب الاكتفاء بذكر المقابل عن مقابله، نظير قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، يعني والبرد، فإن السرابيل التي هي القمص وشبهها تقي الحر والبرد»^(٥).

وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، قال -رحمه الله-: «قوله تعالى: ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾ بيان لمعنى ﴿الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ﴾؛ ولم يذكر في

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ٧٩.

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية المعروف بالجمل للأزهري: ١ / ٣٦٣.

(٣) الاتقان في علوم القرآن: ٣ / ٢٠٤.

(٤) هو جلال الدين المحلي -رحمه الله-.

(٥) تفسير سورة الصفات: ١٩.

الخيوط الأسود (من الليل) اكتفاءً بالأول، كما في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم سُرِّيلاً تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، يعني: والبرد؛ فهذا من باب الاكتفاء بذكر أحد المتقابلين عن المقابل الآخر»^(١).

وبهذه الشواهد في الاكتفاء عند الشيخ -رحمه الله- تتجلى معرفته لهذا الفن، فهو يوافق البلاغيين في تعريف الاكتفاء وكونه ضرباً من الإيجاز.

أما المحسنات اللفظية، فتناول الشيخ -رحمه الله- للسجع كما سبق، وتناول الجناس، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾ [النساء: ٨٣]، قال -رحمه الله-: «ففيه جناس غير تام؛ لأن فيه اختلاف الحرف من راء إلى نون. وأما قوله:

عَبَّاسٌ عَبَّاسٌ إِذَا احْتَدَمَ الْوَعْيُ وَالْفَضْلُ فَضِيلٌ، وَالرَّبِيعُ رَبِيعٌ^(٢)

فهذا جناس تام؛ لأن عباساً علم وصفة، والفضل علم وصفة، والربيع علم على رجل اسمه (الربيع) وصفة أحد الفصول الأربعة»^(٣).

هذا ما وجدته للشيخ مما عرض له من المحسنات البديعية، وهي قليلة بالنسبة لما وجدته عنده من مسائل المعاني والبيان كما ذكرت.

(١) تفسير سورة البقرة: ٢ / ٣٤٨.

(٢) البيت لأبي نواس في ديوانه: ٥٤.

(٣) السابق: ٢ / ٢٢.

الفصل الثالث

السمات البلاغية وتقويمها

ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: في المنهج.

المبحث الثاني: في المصطلحات.

المبحث الثالث: في الشواهد.

المبحث الرابع: في المصادر.

لاشك أن ثمة خصائصَ وسماتٍ عامةً يمكن أن يلمحها الدارس لتقويم الجهد الذي بذله الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في المباحث البلاغية السابقة، والوقوف على منهجه في عرض تلك الشواهد البلاغية، ومن أي المصادر استقى آراءه، وكيف كان اختياره للمصطلح البلاغي؟

المبحث الأول: في المنهج:

إن المتأمل لتفسير الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- يرى أنه يسير وفق منهج المفسرين في عرضه للشواهد البلاغية والوقوف عليها؛ فنجده - في كثير من الأحيان - يقف على الآية مفسراً لها، ومبيناً معناها وما يتعلّق بها؛ وموضحاً أصل الكلمة واشتقاقها، مع الاعتناء بالقراءات، التي هي وجه من وجوه الإعجاز، ويوجهها من الناحية الإعرابية، والناحية اللغوية، ثم يقف على ما بها من بلاغة مُحللاً وموضحاً نوعها، وقد يتطرق لتعريفه وبيان صورته وفوائده أو أسرارها البلاغية؛ فلا يتجاوزها حتى يعطيها حقها من أمثلة وشواهد تدعم الصورة وتوضحها، وتظهر ما في الآية من بلاغة، ومن ذلك كلامه عن الالتفات، حيث قال: «الالتفات: تحويل أسلوب الكلام من وجه إلى آخر، وله صور منها:

١- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٠﴾ الرَّحْمَنِ

الرَّحِيمِ ﴿٢١﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٢﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٢٣﴾ [الفاتحة: ٢ - ٥]، فحوّل الكلام

من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿إِيَّاكَ﴾.

٢- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينِ بِهِم﴾

[يونس: ٢٢]. فحوّل الكلام من الخطاب إلى الغيبة بقوله: ﴿وَجَرِينِ بِهِم﴾.

٣- الالتفات من الغيبة إلى التكلم، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ [المائدة: ١٢]. فحوّل الكلام من الغيبة إلى التكلم في

قوله وبعثنا.

٤- الالتفات من التكلم إلى الغيبة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ﴿١﴾ فَصَلِّ

لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ﴿٢﴾ [الكوثر: ١-٢]. فحوّل الكلام من التكلم إلى الغيبة بقوله: ﴿لِرَبِّكَ﴾.

وللالتفات فوائده منها:

- ١- حمل المخاطب على الانتباه لتغيير وجه الأسلوب عليه.
- ٢- حملة على التفكير في المعنى؛ لأن تغيير وجه الأسلوب، يؤدي إلى التفكير في السبب.
- ٣- دفع السامة والملل عنه؛ لأن بقاء الأسلوب على وجه واحد، يؤدي إلى الملل غالباً. وهذه الفوائد عامة للالتفات في جميع صورته، أما الفوائد الخاصة فتتبعين في كل صورة، حسب ما يقتضيه المقام»^(١).

فهو يبين ما في الآية من بلاغة ويورد صور الالتفات وفوائده. كما أن الشيخ -رحمه الله- في مواطن أخرى من تفسيره، يمرّ بالشاهد البلاغي مشيراً إلى نوعه عرضاً دون التفصيل في ذلك؛ إما لوضوح الشاهد، أو لأن المقام لا يحتمل أكثر من ذلك، كما في قوله تعالى: ﴿فَلْيَتَنَفَّسْ الْمُتَنَفِّسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]، «أي فليتنافس المتنافسون سباقاً يصل بهم إلى حد النفس، وهو كناية عن السرعة في المسابقة»^(٢). فهو يشير إلى أن في الآية كنايةً دون التوسع في عرض الكناية في الآية وبلاغتها فيها. وهي سمة في بعض القضايا البلاغية التي يتناولها من خلال الشاهد البلاغي فيغلب الحديث المستعجل؛ بأن يأخذ ما يراه يفي بالحاجة، إذ يشير إلى نوع البلاغة فيه، وقلماً يحلله. وقد يفصل الحديث في أكثر من موضع للشاهد البلاغي؛ وذلك لأهميته، كما في ذكره لأحوال المخاطب في الخبر.

وذكر فوائده الآيات منهجاً علمياً سلكه أهل التحقيق من العلماء، كابن القيم وابن سعدي -رحمهما الله- إلا أن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- تميّز بالتزام ذكر فوائده الآيات التي يُفسرها، فيلتزم بذلك في كلّ آية يقوم بتفسيرها؛ مما يعين على فهم الآيات وتدبرها. وهذه الفوائد التي يستنبطها من الآيات التي ليس لها موضوع معين، وإنما هي شاملة لكل ما يمكن أن يُستنبط من الآية؛ ففيها تقرير لعقيدة أهل السنة والجماعة، وتصحيح الأخطاء، والرد على المخالفين، وذكر للأحكام الفقهية المتعلقة بالآية، وبيان الأوجه البلاغية، وأسرار التعبير القرآني؛ وهذا محور حديثنا وما يهمنا في هذا البحث.

(١) تفسير سورة البقرة: ١/٥٥-٥٦.

(٢) تفسير جزء عم: ١٠٥.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذه الفوائد ليست ذات نمطٍ واحدٍ من جهة الطول والقصر، فقد يطيل في ذكر الفائدة من الآية موضحاً الناحية البلاغية فيها، ومسترسلاً في الحديث عنها، وقد يتوسط، وقد يختصر الفائدة البلاغية التي يذكرها فلا تتجاوز السطر أو السطرين، وربما يعرض عن بعضها.

وقد يأتي بآيات توافق اختياره وتوجيهه فيها، لتكون رديفاً للآية في التوضيح والتبيان، وتقرير المعنى لدى القارئ، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِكَةِ﴾ [البقرة: ٢٤٦]، قال: «والاستفهام هنا الظاهر أنه للتشويق - يعني يشوقنا أن ننظر إلى هذه القصة لنعبر بها - ؛ لأن التقرير إنما يكون في أمر كان معلوماً للمخاطب؛ فيُقَرَّر به، كقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١]؛ وأما هذا فهو أمر ليس معلوماً للمخاطب إلا بعد أن يخبر به؛ فيكون هنا للتشويق، مثل قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تَحَوُّرٍ﴾ [الصف: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾ [الغاشية: ١]، وما أشبهها؛ أما لو كان يخاطب من كان عالماً بما قلنا: إن الاستفهام للتقرير»^(١).

وقد يلتزم الشيخ - في كثير من الأحيان - بذكر الرأي الذي يُرجحه في هذا الشاهد، ويفاضل بين الآراء، كأن يقول: والأرجح، والصحيح، وهذا الوجه أحسن من الوجه الآخر وغير ذلك، عند وجود أكثر من رأي بلاغي على هذه الآية؛ كما في توجيهه للباء في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٨]، فيقول: «لماذا قال: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾؟ هل هي إناء يُحمل حتى يقال شرب بالإناء؟ فالجواب: لا؛ لأن العين والنهر لا يُحمل، إذن لماذا لم يقل يشرب منها المقربون؟ والجواب عن هذا الإشكال من أحد وجهين: فمن العلماء من قال: (الباء) بمعنى (من) فمعنى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي يشرب منها. ومنهم من قال: إن يشرب بمعنى يروى ضمّنت معنى يروى فمعنى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ أي يروى بها المقربون. وهذا المعنى أو هذا الوجه أحسن من الوجه الذي قبله؛ لأن هذا الوجه يتضمن شيئين يرجحانه، وهما: أولاً: إبقاء حرف الجر على معناه الأصلي.

(١) تفسير سورة البقرة: ٣ / ٢٠٦.

والثاني: أن الفعل ﴿يَشْرَبُ﴾ ضَمَّنَ معنى أعلى من الشرب وهو الريّ، فكم من إنسان يشرب ولا يروى، لكن إذا روي فقد شرب، وعلى هذا فالوجه الثاني أحسن وهو أن يضمَّن الفعل: ﴿يَشْرَبُ﴾ بمعنى يروى^(١).

واختياره وترجيحه يبين مدى ثقته برأيه، ودرايته بأساليب الكلام وخصوصيات السياق القرآني. وقد يجمع بين الرأيين دون تحديدٍ لموافقته لأحدهما ولكن بذكر الرأيين، معللاً سبب اختيارهما، كما في قوله تعالى: ﴿مَا أَكْفَرَهُ﴾ [عبس: ١٧]: «قال بعض العلماء إن (ما) هنا استفهامية، أي: أيُّ شيء أكفره؟ ما الذي حمّله على الكفر؟ وقال بعض العلماء: إن هذا من باب التعجب، يعني ما أعظم كفره! وإنما كان كفر الإنسان عظيماً؛ لأن الله أعطاه عقلاً، وأرسل إليه الرسل، وأنزل عليه الكتب وأمدّه بكل ما يحتاج إلى التصديق، ومع ذلك كفر فيكون كفره عظيماً. والفرق بين القولين أنه على القول الأول تكون (ما) استفهامية أي: ما الذي أكفره؟ وعلى القول الثاني تكون تعجبية، يعني عجباً له كيف كفر مع أن كل شيء متوفر لديه في بيان الحق والهدى! !»^(٢).

وأحياناً يسارع في تفنيد الرأي الذي اختير دون أن يناقشه، مختصراً الطريق ببيان الرأي الذي تبعه، من ذلك ما ذكر أن الخير بيد الله ولم يذكر الشر، يقول: «في قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ [آل عمران: ٢٦]. هنا قد يقال: لماذا ذكر أن الخير بيده، ولم يذكر الشر، مع أن الخير من الله والشر من الله؟! فقال بعض المفسرين: إن هذا من باب حذف المقابل المعلوم، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم سَرَابًا تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ [النحل: ٨١]، وزعموا أن تقدير الآية: بيده الخير والشر. ولكن هذا وهمٌ باطل، وليس المقام مقام حذف واقتصار، بل المقام مقام ثناء، والثناء ينبغي فيه البسط والتوسع في الكلام؛ فالحذف غير مناسب لفظاً، وهو باطل معنى...»^(٣).

(١) تفسير جزء عم: ١٠٥-١٠٦، وينظر تفسير سورة آل عمران: ١ / ٥٩-٦٠.

(٢) تفسير جزء عم: ٦٤.

(٣) تفسير سورة آل عمران: ١ / ١٥٨.

وفي تحليلاته البلاغية يهتم بالنظرة الكلية للنص واستخراج ما فيه من كنوز بلاغية، وهذه ميزة تميز بها -رحمه الله-، فلا يكتفي في باب من أبواب البلاغة أن يعرض شاهده ويسير إلى غيره، ولكنه يفتح ذهن على ما في النص من فنون بلاغية تؤكد طول باعه في هذا المجال. وأن أبواب البلاغة حاضرة في ذهنه؛ كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧] فقال: «هذه الجملة تعليل لقوله تعالى: ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ﴾؛ لأن التوبة مقتضى هذين الاسمين العظيمين: ﴿الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ﴾؛ و﴿هُوَ﴾ ضمير فصل يفيد هنا الحصر، والتوكيد؛ و﴿الْتَوَّابُ﴾ صيغة مبالغة من (تاب)؛ وذلك لكثرة التائبين، وكثرة توبة الله...»^(١).

والشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- لا يجعل البلاغة مكملة، بل أصيلة في مراد الآية لبيانه وجه الإعجاز وسر البلاغة؛ حيث يناقش ويعرض ويُرَّجِح ويرد، كما ذكرت آنفًا. والمطلع على شرحه لدروس البلاغة يجد أنه لا يُسَلِّم للبلاغيين في تفسير الآية، بل يعرض ويناقش، وقد يرد^(٢)، كما أنه يوظف المباحث البلاغية للمعاني الشرعية^(٣).

وكثيراً ما يستخدم الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- عبارة: (وعندهم) -يقصد علماء البلاغة - أو: (يسمى عند البلاغيين)^(٤)، أو (مذكور في كتب البلاغة)^(٥)، أو (قال علماء البلاغة)^(٦)، أو (أهل البلاغة...)^(٧)، فلا ينسب لأحد بعينه؛ وأحياناً ينصّ على ما ذكره كما في الحروف المقطعة حيث ذكر أنها مشيرة إلى الإعجاز.

(١) تفسير سورة البقرة: ١ / ١٣٤.

(٢) سأوضح ذلك -بإذن الله- في المبحث الثالث من هذا الفصل.

(٣) ينظر: مبحث الجواز والتوجيه البلاغي في آيات العقيدة من الفصل الأول.

(٤) تفسير سورة البقرة: ٣ / ١٥٣، التلخيص المعين على شرح الأربعين: ٢٠٥، الشرح الممتع على زاد المستقنع:

٩ / ٣٦٨، القول المفيد على كتاب التوحيد: ٢ / ٣٣٦، شرح الأربعين النووية: ٨.

(٥) تفسير سورة البقرة: ١ / ٣٧.

(٦) السابق: ١ / ٢٠٩، ٣ / ٣٥٥، تفسير سورة الطور: ٢٢، تفسير سورة النجم: ١٨، شرح صحيح البخاري: ١ / ٩٦.

(٧) تفسير جزء عم: ٨-٢، شرح ألفية ابن مالك شريط ٣٦، باب النائب عن الفاعل، شرح العقيدة السفارينية:

والشيخ - رحمه الله - دقيق الاستنباط، وتجده يشير إلى معاني الآية الخفية من الوجهة البلاغية، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [النساء: ١٢٦]، فقد ذكر أن من فوائد هذه الآية:

١ - عمومُ مُلْكِ الله لقوله: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾؛ لأنَّ جميعَ الأسماءِ الموصولةِ تُفيد العمومَ.

٢ - اختصاصُ مُلْكِ السمواتِ والأرضِ لله لتقديمِ الخبرِ؛ لأنَّ تقديمَ ما حَقُّهُ التأخيرُ يفيد الاختصاصَ^(١).

ورأيت من منهج الشيخ الذي سار عليه -أيضاً- أن لديه اتجاهين؛ الأول: الاتجاه التنظيري من حيث تحديد نوع الشاهد وتعريفه وتقسيمه، وذكر صورته - إن وجد - وفوائده مع عدم الغلو والجنوح في التقسيم، والاتجاه الآخر: الاتجاه التطبيقي، فيقف على الشواهد البلاغية إما مؤيداً أو معارضاً مع ذكر السبب في رده للشاهد؛ كما في شرحه لكتاب (دروس البلاغة)، وبعض الشواهد من تفسيره؛ إذ يؤيد المؤلف تارة في شواهد، وقد يعارض في اختيار الشاهد مع ذكر سبب رده، ويضيف شواهد وأمثلة ويشرحها لتوضيح الفن البلاغي وترسيخه في الأذهان.

ويلاحظ نزوع ابن عثيمين في تحليلاته إلى التعليل والاستشهاد والتمثيل - في كثير من الأحيان - لإيصال الفكرة إلى القارئ وإقناعه، وهذه الأمثلة لا تخرج كثيراً عن أمثلة البلاغيين؛ كما في حديثه عن ضمير الفصل في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥١]، «فيذكر أن لضمير الفصل ثلاث فوائد:

الأولى: التوكيد.

الثانية: الحصر.

الثالثة: التمييز بين الخبر وبين التابع؛ لأنه إذا جاء ضمير الفصل تعين أن ما بعده خبر، وإذا لم يأت احتمال أن يكون خبراً وأن يكون تابعاً، فإذا قلت: (زيد الفاضل في الدرس) فهنا

(١) ينظر: تفسير سورة النساء: ٢ / ٣١٢.

يحتمل أن (الفاضل) صفة، فيكون المعنى: زيد الفاضل في الدرس حاضر، فإذا قلت: (زيد هو الفاضل في الدرس) تعين أن تكون خبراً، وحصرته في الفضل، فقلت: زيد هو الفاضل ومحله في الدرس»^(١).

وقد يوضح الشاهد على طريقة السؤال والجواب والمناقشة، والأخذ والرد كما في حديثه عن اللف والنشر، والخبر، وضمير الفصل، والإطناب، والكناية... إلخ.

وحين ننع النظر في أسلوب الشيخ - رحمه الله - نجده لا يتعد كثيراً عن أسلوب شيخه عبد الرحمن السعدي - رحمه الله - فنجد السلاسة والسهولة والبعد عن التعقيد؛ فلا يميل إلى وحشي الكلام، ولا إلى التكلف المقيت، وأسلوبه أسلوب يغلب عليه الانسجام بوجه عام، ومن ذلك في شرحه لدروس البلاغة ففي فن الفصل والوصل يقول في هذا الموضوع: «الآن لو قال قائل: عليّ كاتبٌ، والحمام طائرٌ؛ كان الناس ينتقدون عليه، ما العلاقة بين "عليّ كاتبٌ، والحمام طائرٌ؟! ما العلاقة؟»

فإذا قال: "عليّ كاتبٌ، والحمام طائرٌ" فصلهما ولم يجعل بينهما علاقة، فبينهما إذًا تباين تام لعدم المناسبة»^(٢).

ومن حضر دروسه العلمية - رحمه الله - لا يشعر بالملل ولا الفتور؛ لتنوع أسلوبه من إلقاء ومناقشة، ومحاورة بينه وبين طلابه، ووفرة الأمثلة والتشبيهات لديه وهو ما نجده في تفسيره.

(١) شرح دروس البلاغة: ٧٤.

(٢) مختصر الصواعق: ١٥ ج-١٠.

المبحث الثاني: في المصطلحات:

لمصادر الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- التي استقى منها مادته البلاغية^(١) أثر بالغ في انتقائه لمصطلحاته في تناولاته البلاغية؛ فقد استقى عن البيئة اللغوية بعض مصطلحاته، كالأستغراق، والجنس، والتضمنين، والاشتقاق؛ وأخذ عن البيئة القرآنية كثيرًا من مصطلحاته، كالالتفات، والمقابلة، والتغليب، والإيجاز والإطناب، والتقديم والتأخير؛ وهي التي وافقت مصطلحات البلاغيين. وعن البيئة الأصولية -أيضًا- استقى بعض مصطلحاته، كالخبر والإنشاء، والحصر، والإطلاق والتقييد، والحقيقة والمجاز، والأمر والنهي، والكناية، والتقسيم. ولم يتناول الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- عند الوقوف على الشاهد البلاغي القرآني كل مباحثه البلاغية بمصطلحاتها البلاغية المعروفة، فهو أحيانًا يُحجم عن ذكر المصطلح. ويمكن تصنيف موقفه من حيث ظهور المصطلح أو خفاؤه في الشواهد البلاغية التي وقف عليها أثناء تفسيره للقرآن الكريم إلى ثلاثة أقسام:

١. أن يذكر اسم المصطلح البلاغي ويصحبه بتعريفه المعروف عند البلاغيين، أو بتعريف يقارب تعريفهم، ومن هذه المصطلحات: الخبر والإنشاء، الإيجاز والإطناب، المقابلة، تأكيد المدح بما يشبه الذم، الفاصلة القرآنية؛ فقال -رحمه الله- في تعريف الخبر: «الخبر هو: الكلام الدائر بين النفي والإثبات من قبل المتكلم، المقابل بالتصديق أو التكذيب من قبل المخاطب»^(٢)، ونادرًا ما يحذف كلمة من التعريف أو يزيد كلمة أو يُعبر بها بطريقة السهلة الممتنعة، كما في تعريفه للاستفهام؛ فهي قريبة من تعريف العلوي صاحب الطراز^(٣)، وتعريف الكناية والتورية.

٢. أن يذكر المصطلح البلاغي دون أن يُصحب بتعريف، إلا أن تطبيقاته تدل على أنه يريد بالمصطلح ما يريد البلاغيون، وهذا هو أكثر الأصناف ورودًا من القسمين

(١) سيأتي الحديث عن مصادر الشيخ في المبحث الرابع من هذا البحث.

(٢) تقريب التدمرية: ١٣.

(٣) ينظر: المبحث الأول (علم المعاني) من الفصل الثاني.

الآخرين. فمن مصطلحات علم المعاني يذكر: القصر، والفصل والوصل، والتكرار والتغليب وغيرها، وفي علم البيان يذكر: التشبيه بأركانه المشبه والمشبه به، ووجه الشبه، وأداة التشبيه، والاستعارة بنوعيتها. وفي علم البديع يذكر: المقابلة والجناس والتورية والمبالغة^(١).

٣. ألاّ يذكر المصطلح البلاغي ولا تعريفه، عند تناوله بشكل تطبيقي في الآيات؛ مما ينم عن إحساسه بهذا الأسلوب البلاغي، كما في حديثه عن المجاز العقلي^(٢)، حيث يتناول بعض علاقاته أثناء تفسيره للآيات دون أن ينصّ على اسمه. ومثل ذلك وقوفه على شواهد في المجاز المرسل فيصرح بعلاقاته دون أن ينصّ على أنه مجاز مرسل.

والشيخ -رحمه الله- يوافق البلاغيين في المفهوم الذي يتضمنه بعض المصطلحات البلاغية، كما في التكرار؛ فهو أسلوب يقبّح في نظر البلاغيين إذا لم يكن ثمّ فائدة أو غرض يضيفه إلى الكلام، ويُسْتَحْسَن إذا تضمن فائدة؛ ولهذا ذهبوا إلى وقوعه في القرآن الكريم، لأنهم يرون أن التكرار في القرآن تضمن فائدة، وهو ما يميل إليه الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- حيث يجعل ما في القرآن من تكرار لفائدة، ودائمًا يُكرّر أن ما كان لغير فائدة فلا ينطبق على أيّ الذكر الحكيم^(٣).

ولابد أن أذكر أن الشيخ - أحيانًا - يتوسع في ذكر المصطلح البلاغي؛ كما في صور الطباق والمقابلة^(٤).

وهو ينقل فكرة التعريف للفن ثم يصوغها بألفاظه القريبة؛ إذ إن مضمون التعريف يوافق تعريف البلاغيين، وله دراية أيضًا بتعريفاتهم؛ وفي اختياراتهم؛ فمثلاً يقول في أحد شواهد

(١) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد: ٧٢/٢، شرح العقيدة الواسطية: ١/١٦٥، تفسير سورة يس: ٧٢-

٧٣، تفسير سورة البقرة: ١، ١٧٥.

(٢) ينظر: تفسير سورة يس: ٤٥-٤٦، وتفسير سورة عم: ٣٠٢.

(٣) ينظر: حديث الشيخ عن التكرار في المبحث الأول (علم المعاني) من الفصل الثاني.

(٤) ينظر: مبحث الطباق والمقابلة (علم البديع).

الاستعارة: «إن بعض علماء البلاغة يذكر أن في الآية مجازاً بالاستعارة...»^(١). ذلك فهو يدرك أن بعضاً منهم لا يقر بذلك.

وفي المجاز للشيخ رأي يوافق فيه شيخه ابن تيمية^(٢) وتلميذه ابن القيم^(٣) - رحمهم الله جميعاً - فكثيراً ما يوافق، وإن أورد ما يخالف قوله - في بعض المسائل -.

كما أن مصطلحاته لا تخرج عن المصطلحات القديمة الأصيلة أمثال: أبي هلال العسكري، والخطيب القزويني، والسكاكي، والزمخشري.

وينفرد الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - ببعض التسميات لبعض الفنون البلاغية؛ وقد يؤيد تسميتها باسم دون غيره؛ وتوجيهه في ذلك - وهو العالم النحرير الجهد المفسر - هو حسن التأدب مع كلام الله تعالى وكلام المصطفى ﷺ، من ذلك ما ذكره - رحمه الله - في (عسى) أنها تفيد الترجية؛ وهذا الإطلاق - الترجية - انفرد الشيخ - رحمه الله - به، ولم أجد من أطلقه قبله.

كما يرى الشيخ ابن عثيمين أن يُسمى الالتفات انتقالاً بدلاً من الالتفات؛ قال: «من البلاغيين من يسمونه التفاتاً، ولو قيل: إنه انتقال لكان أحسن»^(٤).

وانفرد الشيخ - رحمه الله - بتسمية الاحتباك بالاكْتفاء في بعض الشواهد، وكذلك وصفه للمشاكلة بالمماثلة.

ويقسم التورية إلى قسمين؛ تورية بالفعل، وتورية بالقول.

كذلك انفرد الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بتسمية الاحتراس احترازاً - ولم أجد من أطلق عليه هذا الاسم غيره.

ويوافق بعض البلاغيين بتسمية السجع في القرآن فواصل؛ تأدباً مع الله.

كما أنه - رحمه الله - يفضل تسمية اللف والنشر غير المرتب بدلاً من المشوش.

(١) ينظر: المبحث الثاني (علم المعاني) من الفصل الثاني.

(٢) رسالة الحقيقة والمجاز - مجموع الفتاوى لابن تيمية: ٢٠ / ٤٨٥ - ٤٨٦.

(٣) مختصر الصواعق: ١٥ ج - ١٠.

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد: ١ / ٤٥٢.

وينوع الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - في ذكر المصطلح البلاغي تبعًا للبلاغيين، كما في التفصيل بعد الإجمال فيذكر تارة أنه توضيح بعد إبهام، وتارة بالتبيين بعد الإجمال؛ وهو من أنواع الإطناب.

ويطلق على جل شواهد القصر (حصرا)؛ وهي تسمية الفقهاء والأصوليين.

المبحث الثالث: في الشواهد:

المتأمل لتفسير الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - يجد أنه يقف عند كثير من الشواهد البلاغية. وقد تنوّعت وقفاته عليها؛ فقد يطيل الحديث عن هذا الشاهد؛ ذاكراً تعريف الفن البلاغي الذي استشهد به، ومبيناً أغراضه وأنواعه أو صورته ونكته.

وقد يورد عددًا من الشواهد التي يوظفها لتأييد أفكاره البلاغية واستشهاده بالآية الكريمة. ويُرَكِّز كثيرًا على أن تكون هذه الشواهد من القرآن الكريم، ثم من الحديث النبوي، وقد يستشهد بأبياتٍ شعرية؛ منها أبيات ضمن متون علمية عقديّة أو نحوية أو أصولية أو غير ذلك، يوردها لتأكيد ما ذهب إليه كاستشهاده بأبيات من ألفية ابن مالك في النحو وغيرها.

فأما الشواهد القرآنية فتأخذ النصيب الأوفر عنده - حتى في شروحه بمختلفها - فهو يقدمها على غيرها. فله قدرة عجيبة - رحمه الله - على استحضرها؛ مما يدل على تمثّل الآيات القرآنية بين عينيه فيأخذ منها ما يناسب الشاهد البلاغي.

ويورد موضع الشاهد من الآية دون إيراد الآية كاملة؛ دلالة على إيجازه ورغبته في الاختصار. يدلنا على ذلك استشهاده في مجيء (أو) بمعنى بل أو التحقيق في قوله تعالى: ﴿فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ [البقرة: ٧٤] يقول: «لكن اختلف العلماء - رحمهم الله - هل هي بمعنى (بل)، فتكون للإضراب؛ أو أنها لتحقيق ما سبق، أي أنها إن لم تكن أشد من الحجارة فهي مثلها؟ في هذا قولان لأهل العلم رحمهم الله؛ وهي كقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ﴾ [الصفات: ١٤٧]، فمن العلماء من قال: إن (أو) بمعنى (بل)، أي بل يزيدون على مائة ألف؛ ومنهم من قال: إنها لتحقيق ما سبق»^(١).

أما الشواهد النبوية فتأتي بالمرتبة الثانية بعد الآيات القرآنية، فسعة حفظه لكثير من الأحاديث ساعده على الاستعانة بشواهد منها، وهذه الأحاديث كثير منها مشهور متداول عند أهل العلم، واشتهر موطن الشاهد فيها، كما في قول النبي ﷺ: ((المؤمن القوي خير

(١) تفسير سورة البقرة: ١ / ٢٤٦.

وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير^(١)))^(٢) وهي ضمن شواهد الإطناب، و((الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة^(٣)))^(٤) وهي من شواهد الجناس.

أما استشهاده بالشعر فهو يعتبر قليلاً نوعاً ما. وقد يبدو ذلك طبعياً لعدم تعلق دراساته الشرعية كثيراً بالأبيات الشعرية^(٥) - إلا فيما كان من المنظومات العلمية.

وعند استشهاده بالشاهد الشعري، لا يهتم - رحمه الله - بنسبة الشاهد إلى صاحبه - في الأعم الأغلب - فيكتفي ب(قال الشاعر) أو (كقول بعضهم)، وسبب ذلك أنه جارٍ على طريقته في قلة نسبة الأقوال إلى أصحابها، وهذا مذهب طائفة من العلماء، فإنه يهتم القول أكثر من اهتمامهم بصاحبه.

وقد يُكرر الشاهد الشعري في مواضع من تفسيره، كما في بيت عمرو بن معديكرب^(٦)، حيث يقول:

أَمِنْ رِيحَانَةَ الدَّاعِي السَّمِيعِ يُؤَرِّفُنِي وَأَصْحَابِي هُجُوعٌ^(٧)

والشواهد البلاغية عنده تتفاوت بين السعة والكثرة، فكثير ما يُركز على علم المعاني ثم البيان ثم البديع؛ واهتمامه بعلم المعاني يُذكرنا باهتمام عبد القاهر الجرجاني في هذا الفن، وجعل أكثر الإعجاز فيه.

وقد تكون شواهد الشيخ مختصرة وقصيرة؛ فتكون مجرد إشارات أو إيماءات دون الإسهاب في الحديث عنها، فقد يكتفي بصدر البيت أو عجزه.

(١) أخرجه: مسلم: ٤/٢٠٥٢، (٢٦٦٤).

(٢) تفسير سورة القمر: ٢٩٣، وسورة الحديد: ٤١٥.

(٣) أخرجه: البخاري: ٣/١٠٤٧، (٢٦٩٥)، ومسلم: ٢/٦٨٢، (٩٨٧).

(٤) تفسير سورة آل عمران: ١/٨٨.

(٥) ينظر: تفسير سورة البقرة: ١/٣١٣.

(٦) البيت لعمرو بن معديكرب: ديوان عمرو بن معديكرب: ١٣٤، الأصمعيات: ١/١٨.

(٧) ينظر: تفسير سورة البقرة: ٢/١٦-١٧٢، آل عمران: ٢/٥٣١، الصافات: ٩٤، الزمر: آية: ١، وجهود الشيخ

ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن لأحمد البريدي ٢٥٧.

ولا شك أن وقوفه على تلك الشواهد متوافقٌ مع ما يورده البلاغيون؛ بحيث يُلَمَح التشابه مع شواهدهم. كما في حديثه عن التكرار في قوله تعالى: ﴿فَيَأْتِيءَ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون: ٢]، وكثيراً ما يستشهد بشواهد بلاغية ذاكراً أن ذلك مما يورده أهل البلاغة في كتبهم، كما في قوله تعالى: ﴿عَرَضَهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ٢١]: «عرضها كعرض السماء تشبيهه. والثاني: عرضها السموات والأرض أيضاً تشبيهه، لكن يسميه أهل البلاغة تشبيهاً بليغاً»^(١).

وقد يورد الشيخ -رحمه الله- عدة شواهد وأمثلة للشاهد البلاغي الواحد؛ وذلك لتوضيحه وبيانه^(٢).

والمتأمل في شرحه ل(دروس البلاغة)، يرى أن الشيخ قد يرد بعض شواهد المؤلف، ويورد البديل الذي يوافق الغرض البلاغي، كما في رده شاهداً في النهي الذي يخرج صيغته عن معناه الأصلي إلى عدة معانٍ ومنها؛ الدعاء، فقد ذكر المؤلف شاهداً على ذلك؛ قائلاً: نحو: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فرد الشيخ -رحمه الله- هذا الشاهد وبين سبب رده ووجهه الوجهة الصحيحة مع إيراد الشاهد الذي يناسب المقام، قائلاً: «لا يحسن المثال بهذا، هذا نعم لو وُجِّهَتْ لله وَجْهَةً لَكَانَ صَحِيحًا؛ لأنه جاء في الحديث التعوذ من شماتة الأعداء، فلو وُجِّهَتْ لله كانت دعاءً، ولكن إذا وُجِّهَتْ للمخلوق الذي هو أعلى منك - وإن كانوا يتساهلون فيقولون: دعاء - فلا ينبغي، بل ينبغي أن يُقال: إنه ترجُّ أو نحو ذلك... لكن إن وُجِّهَتْ لله، مثل: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ دَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]؛ هذا دعاء، يعني يحسن أن تُمثَّل بدل هذه الآية بقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ دَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾»^(٣).

وفي موضع آخر يقول في الشاهد الذي ارتضاه المؤلف للاستفهام الإنكاري، وهو قوله

(١) تفسير جزء عم: ٤٠٨.

(٢) ينظر: شرح الأصول: ٢٦٩-٢٧٠، وتفسير سورة البقرة: ٣/٣١١.

(٣) شرح دروس البلاغة: ٣٧.

تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ [الزمر: ٣٦]: «أما قوله تعالى: ﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾ في التمثيل به نظر؛ لأن هذا الاستفهام للتقرير، يعني: أن الله كافٍ عبده، لكن وجه كلام المؤلف أن إنكار النفي إقراراً... هذا وجه كلام المؤلف، لكن غيره من المعربين، يقول: الاستفهام هنا للتقرير، مثل قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [الشرح: ١]»^(١).

بل يرد -رحمه الله- بعض الشواهد التي ارتضاها البلاغيون في كتبهم، كما في رده للأسلوب الحكيم في قوله تعالى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلَةِ ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وقد أورد الشيخ سبب رده للشاهد بالأدلة.

المبحث الرابع: في المصادر:

القارئ لتفسير الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - يجد تنوع شواهده وتعددها؛ حتى إنك تقرأ عدة علوم في علمٍ واحدٍ، من علوم قرآن، وعقيدة، وفقه، وبلاغة، ولغة، ونحو ذلك. إلا أنه من خلال شواهد البلاغية في تفسيره، لا يبدو أنه كان باحثاً مُتخصِّصاً في البلاغة، بل إن ثمة منابع استقى من خلالها الملحوظات والإشارات البلاغية في تفسيره. وهذه المنابع ليست بعيدة عن صميم اهتماماته الشرعية، بل هي شديدة القرب والاتصاق بها، وهي التي أوردت لنا الكثير من وقفات الشيخ البلاغية من خلال تفسيره؛ كعلماء التفسير وعلماء الفقه والأصول وعلماء اللغة.

فأهل التفسير الذين يعتنون بتفسير القرآن لهم الأثر الكبير على ما كتبه ابن عثيمين، فيعرض لنا أسماء كثير من التفاسير التي اطلع عليها من خلال تفسيره؛ كتفسير شيخه السعدي، وتفسير القرطبي، وتفسير الزمخشري في البلاغة والنحو - مع رفضه لمنهجه في العقيدة - وتفسير البغوي، وتفسير ابن كثير، ويشيد بهم، مما يؤكد سعة اطلاعه على كتب المفسرين.

وقد ناقش الشيخ ابن عثيمين كثيراً من آراء المفسرين في أثناء تناوله للشاهد البلاغي؛ كما في (أل) في قوله تعالى: ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ﴾ [يس: ١٣]، فجعلها: جلال الدين المحلي للعهد الذهني، يقول ابن عثيمين - رحمه الله - : «قال المؤلف: (أنطاكية) فجعل (أل) للعهد الذهني، يعني كأنها قرية معروفة، ولكن هذا القول ضعفه ابن كثير - رحمه الله - في تفسيره...»، ثم يعرض رأيه موافقاً ومؤيداً لابن كثير؛ فيقول: «وعلى هذا فيكون المراد بالقرية هنا: قرية غير معينة، وتكون (أل) للجنس لا للعهد الذهني، يعني: اضرب مثلاً لهم في قرية غير معينة وهذا هو الصحيح»^(١).

كذلك تعقبه لبعض المفسرين لما يقع منهم من زلل عقدي في التوجيه البلاغي كتناول المشاكلة والمجاز في الأسماء والصفات، ومنهم جلال الدين السيوطي - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠]، حيث قال: «خَصَّ العقل

(١) تفسير سورة يس: ٥٤-٥٥.

ذاته فليس عليها بقادر، فإن هذه كلمة باطلة؛ هو أراد معنى حقاً والله أعلم، لكن التعبير بهذا خطأ، فنقول: إن الله قادر على كل شيء يتعلق بفعله أو بفعل عباده، فكل شيء يفعل الله فهو بقدرته تعالى...»^(١).

ورده على تفسير الشيخ محمد رشيد رضا -رحمه الله- في تفسير الآية مطابقاً للظاهر، وقد وجهه الوجه الذي يراه صحيحاً مدعماً قوله بالدليل؛ ففي الآية الكريمة: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، ذكر ابن عثيمين -رحمه الله- أن المقصود بهم: الحسن والحسين وفاطمة وعلي عليهم السلام، وهو موافق لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم إلا أن محمد رشيد رضا يفسرها غير ذلك، يقول: «وقد زعم محمد رشيد رضا أن تفسيرها بالأربعة من تفسير الرافضة، وقال: إن الآية لا تنطبق عليهم، لكن الحديث الوارد في ذلك يدل على أن لها أصلاً، ولا شك أن آل البيت يدخل فيهم هؤلاء الأربعة...»^(٢).

أما تأثره بعلماء الفقه والأصول؛ فهو يتضح من خلال كثير من شواهد في علم المعاني، ففي تعريفه للخبر والإنشاء نجد يوافقهم في قواعدهم اللغوية، وكذلك حديثه عن الأمر والنهي في الإنشاء لطلبي^(٣)، ووقوفه على القصر ب(إنما)، والنفي والاستثناء، وتعريف الطرفين، ووفرة شواهد فيها، والإطلاق والتقييد؛ كلها مما ذكره أهل الفقه وعرضوا لها، فكذلك الشيخ -رحمه الله- تطرق وتعرض لها في تفسيره.

وكذلك في إنكار المجاز حيث تأثر الشيخ، كما عند شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم -رحمهم الله- ووافق الأصوليين في انقسام الحقيقة إلى عرفية ولغوية وشرعية^(٤)، وأما في العلاقات التي أوردها في المجاز المرسل فإنها نفسها العلاقات التي وردت قبله عند أهل الأصول^(٥).

(١) تفسير سورة آل عمران: ١ / ١٦٢.

(٢) ينظر: السابق: ١ / ٣٥٧.

(٣) شرح منظومة القواعد والأصول: ١ / ٤٩.

(٤) الأصول من علم الأصول: ١ / ٩٣، وينظر: البحث البلاغي عند ابن تيمية: ٤٨، ٤٩.

(٥) ينظر: الفصل الأول، مبحث المجاز: ٥٧.

وأما تأثره بأهل اللغة والبلاغة؛ فيظهر واضحاً جلياً من خلال وقوفه عند الشاهد البلاغي، وقد تناول قبله إعراب مفرداته^(١)، وكذلك استشهاده بالآيات الشعرية دليل على اطلاعه على كتب أهل اللغة من نحو وصرف وبلاغة وشعر...

فمن تأثره بالنحاة واستشهاده بالشعر؛ يشير إلى (إن) أنها نافية، لوجود (إلا) بعدها، ويذكر الأوجه التي تأتي عليها (إن) في اللغة العربية: «الأول: تأتي زائدة، ومثاله قول الشاعر:

بَنِي عُدَانَةَ مَا إِنْ أَنْتُمْ ذَهَبٌ وَلَا صَرِيفٌ، وَلَكِنْ أَنْتُمْ الْحَزْفُ^(٢)

الثاني: تأتي شرطية، مثاله: ﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾ [النساء: ١٣٥].

الثالث: تأتي نافية، مثاله: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ٤٧].

الرابع: مخففة من الثقيلة، مثاله قول الشاعر:

وَإِنْ مَالِكٌ كَانَتْ كِرَامَ الْمَعَادِنِ^(٣)

كذلك في تفريق الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بين التشبيه والتمثيل^(٤)، وهذا يذكرنا بعمل شبيه بعمل عبد القاهر الجرجاني.

وموافقته للسكاكي في الانتقال من الخطاب بالثنوية إلى الخطاب بالجمع، ومن الخطاب بالجمع تارة، وتارة أخرى بالمفرد، فهذا النوع يسميه الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - بالانتقال وفق تسمية السكاكي له دون الجمهور.

وكذلك تأثره بما كتبه أصحاب المعاجم من خلال رصد المعنى المعجمي للفظ قبل الحديث عنه، يقول في معنى الغفور بعد أن ذكر معناه الاصطلاحي، «أما اللغوي: فلأن المغفرة مأخوذة من الْمُغْفَرُ الذي يستر به المقاتل رأسه ويتقي به السهام»^(٥).

(١) ينظر: تفسير سورة النساء: ١/٤١٠.

(٢) لم أعثر على قائله وهو من شواهد ابن هشام في مغني اللبيب: ١/٣٨ والسيوطي في همع الهوامع: ١/٤٤٩.

(٣) تفسير سورة يس: ١٦٨-١٦٩، والبيت للطرمح، ديوان الطرمح: ٣٣، وصدوره:

أنا ابن أباة الضيم من آل مالك

(٤) ينظر المبحث الأول من الفصل الأول.

(٥) تفسير سورة آل عمران: ١/١٩٢.

ويذكر أن (الملائكة): مأخوذة من الألوكة، وهي الرسالة، وفيها إعلال بالقلب؛ «لأن الملائكة جمع مَلَأَك، وأصله مَأَلَك، لكنَّ فيه تقديمًا وتأخيرًا وهو إعلالٌ صرفيٌّ حسب قواعد الصرف التي كتبها العلماء»^(١). وهذا يدل على تأثيره بعلماء الصرف والأخذ منهم.

(١) تفسير سورة النساء: ٢ / ١٠٩.

الخاتمة

وتشتمل على ما يلي:

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة.

أهم التوصايا التي توصي بها الباحثة.

الحمد لله في الأولى والآخرة، وله الشكر ظاهرًا وباطنًا على نعمه السابعة.

أما بعدُ:

فمن خلال معاشتي لعلوم الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين -رحمه الله-، وبعد التجوال في آثاره ومصنفاته، والنهل من معينها، خرجت بنتائج عدة، ومن أهم تلك النتائج ما يلي:

(١) أن للشيخ ابن عثيمين عنايةً بعلم البلاغة العربية، من حيث فهمها أولاً، ثم شرحها لطلابها، وتوظيفها في علوم الشريعة من تفسير، وحديث، وفقه وغير ذلك.

(٢) أن وقوف الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- مع الشواهد البلاغية، وحديثه عنها يدلّ دلالة واضحة على ما يتمتع به الشيخ من تميز في علم البلاغة، ويدل أيضاً على استقلال شخصيته في هذا العلم، كما هو في علومه الأخرى. فهو يناقش ويستدل وقد يعترض على بعض الشواهد، وبعض التحليلات، كما هو ظاهر في كتبه كلها، وله إضافات في هذا العلم - البلاغة، كتقسيمه التورية إلى فعلية وقولية، ونحو ذلك.

(٣) أن للشيخ في المجاز رأيين: رأياً تنظيرياً؛ ينكر فيه وقوع المجاز في اللغة وفي القرآن، وآخر: تطبيقياً؛ يثبت فيه المجاز بشواهد في القرآن ويذكر علاقاته أحياناً وبلاغته، ولكنه لا يسميه باسمه، فيصبح الخلاف لفظياً.

(٤) أن إنكار الشيخ -رحمه الله- لمصطلح المجاز في القرآن الكريم واللغة، لم يكن مدفوعاً بدوافع دينية فقط، وهو الخوف من التأويل في الأسماء والصفات فحسب، بل إن ثمة تصوراً لغوياً أشمل كان وراء إنكاره للمجاز.

(٥) أن للشيخ -رحمه الله- تعقباتٍ للبلاغيين، كتسمية بعض المصطلحات: كاللف والنشر المشوس، حيث لم ير هذه التسمية لائقة أن تطلق على آيات القرآن، وكاختياره أن يسمى الالتفات انتقالاً.

(٦) أن الشيخ اعتنى بالبلاغة القرآنية؛ ليظهر بذلك سمو التعبير القرآني، وليتجلى الإعجاز البياني لكتاب الله العظيم، وهذا واضح من خلال تحليله للآيات، وإظهار الفروق بين الألفاظ القرآنية، وبيان بلاغة المتشابه اللفظي، وغير ذلك.

هذه أهم نتائج البحث، ولا أدعي الإحاطة؛ ولكن حسبي أني بذلت غاية وسعي وجهدي، وأسأل الله المغفرة وأن يسد الخلل، ويجعل ما قدمت خالصاً لوجهه الكريم.

ثم أوصي في ضوء هذه الدراسة المتواضعة التي تناولت شيئاً من جهود الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- بالتوسع في دراسة ما لدى هذا العَلم من آراء قيمة جديرة بالبحث والاستقصاء، ولا سيما أن كثيراً من أعماله العلمية لا تزال حبيسة الأشرطة والأقراص الصوتية، وفيها علم غزير من التفسير والحديث والفقہ ومن علوم الآلة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

وآله وصحبه ومن اقتفى أثره إلى يوم الدين.

الفهارس الفنية للرسالة

- ١) فهرس الآيات القرآنية.
- ٢) فهرس الأحاديث النبوية.
- ٣) فهرس الأبيات الشعرية.
- ٤) فهرس الأعلام المترجم لهم.
- ٥) فهرس المصادر والمراجع.
- ٦) فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	رقمها	الآية
سورة الفاتحة		
٧٧، ١٤٠، ١٤١، ١٥٩، ١٩٣، ٢٧٢	٥.١	﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾
١٧٣	٧.٦	﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾
سورة البقرة		
١٨٧	٢.١	﴿الذَّٰرِ ﴿١﴾ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾
١٩٢	٢	﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾
٥٠	٢	﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾
١٠٢	١١	﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾
١٦٢	١٢	﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾
٢٠٨	١٣	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ﴾
٢٥٨، ٧٦	١٥.١٤	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيْطَانِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَسُدُّهُمُ فِي طُغْيَانِهِمْ﴾
٢٣٠، ١٨٨، ٧٢	١٦	﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت بِئْتَرْتُهُمْ﴾
٢١١، ٢٠٩	١٧	﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾
٢٠٨، ٦٠	١٩	﴿أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ

الصفحة	رقمها	الآية
		أَصْبَعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿
١١٤	٢١	﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿
٣٧ ، ٢٨	٢٣	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿
٤٠	٢٥	﴿وَأْتُوا بِهِ مِثْلَهَا ﴿
٢١٦	٢٦	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي ۚ أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا ﴿
١٦١ ، ٩٢	٢٧	﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْخٰسِرُونَ ﴿
١٧١	٣٠	﴿أَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ ﴿
١٩٠ ، ١٠١	٣٥	﴿وَكُلًّا مِّنْهَا رَعَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ ﴿
٢٧٦	٣٧	﴿إِنَّهُ هُوَ النَّوَابِ الرَّحِيمِ ﴿
١٧٤ ، ٦٥	٤٣	﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿
١٩٦	٤٨	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴿
١٨٢ ، ٤٨	٤٩	﴿وَإِذْ بَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿
١٩٠	٥٣	﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿
١٩١	٦٠	﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ ﴿
٢٤٧	٦٧	﴿أَن نَّخِذَآ هُرُوزًا ﴿

الصفحة	رقمها	الآية
٩٠	٧٠	﴿وَأِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾
٢٤٧، ١٧٩	٧١	﴿لَا ذُلٌّ لِّتِثِيرِ الْأَرْضِ وَلَا تَسْقَى الْحَرْثَ ... قَالُوا لَكِن جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾
٢٨٣، ٢١٥	٧٤	﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾
١٢٠	٩٠	﴿بِشِكْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾
٥١، ٥١	٩٥	﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوهُ أَبَدًا﴾
٢٦٠	٩٧	﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
١٧٢، ١٧٢، ١٥٣	٩٨	﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾
٢٠٨	١٠١	﴿كَانَتْهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾
٢٤٦	١١٩	﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾
١٦١	١٢٠	﴿إِنِّ هُدًى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى﴾
١٩٣	١٢٥	﴿أَنْ طَهَّرَا بَيْتِي﴾
١٢١	١٢٦	﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾
٩٥	١٢٧	﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
٢٦٥	١٤٣	﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا ... إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾
٩٩	١٤٥	﴿وَلَيْنَ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿قَبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾
١٧٥	١٤٩	﴿وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾
١٧١	١٥٧	﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾
١٢٧، ١٢٦، ٩٨	١٥٨	﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾
١٩١، ١٤٤	١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ﴾
١٣٧	١٦٢	﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾
١١٣، ١١٣	١٦٧	﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَتَيْنَا لَنَا كَرَّةً فَنَتَّبِعُ اللَّهُ مَا أَلَّاهُ مِنْ يَوْمِهِمْ فَسُجِدَ لَهُمْ أَوْ يُكْفَرُ لَهُمْ فَنُجِيبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ... كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾
٩٠	١٦٨	﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
١٩٣	١٧٣	﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَالْحَمَّ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ بِهِ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
١١٩	١٧٥	﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾
١٣٤	١٧٧	﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		وَالنَّبِيِّنَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٨﴾
١٩٥	١٧٨	﴿فَمَنْ عَفَىٰ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَابْتَاعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدِّءْ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾
٢٠٧	١٨٣	﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ ﴿١٨٣﴾
١٩٤	١٨٤	﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ. وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾
٢٦٩	١٨٧	﴿أَحَلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَىٰ اللَّيْلِ وَلَا تَبْشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾
٢٨٦ ، ١٤٦	١٨٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ ﴿١٨٩﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٣٧	١٩٠	﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾
٢٥٧، ٢٠٠	١٩٣	﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِئْتَهُ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أَنَّهُمْ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾
٢٥٧	١٩٤	﴿فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾
١٩٣، ١٣٥ ٢٠٠، ١٣٧	١٩٦	﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ... فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾
٢٠٠	٢٠٨	﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾
٢٠٨	٢١٤	﴿مِثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾
١٤٨	٢١٥	﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِللَّوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾
١٣٦، ١٢٤	٢١٦	﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾
١٢٨	٢١٧	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾
٢٤١	٢١٩	﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْ نَفَعُ النَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾
١٦٧	٢٢٠	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الَّتِي تَمَنَّى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ﴾
١٩٨، ١٢٨	٢٢٢	﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ... فَأَتُوهُنَّ مِنْ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ﴾
٤٤	٢٢٥	﴿ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾
١٧٣	٢٢٨	﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾
١٧٣	٢٣١	﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنٌ أَجَلُهُنَّ ﴾
٢٤٠ ، ٢٣٩ ، ١٧٣	٢٣٥	﴿ ... فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ ... إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ... حَتَّى يَبْلُغَ الْكِنْدُ أَجَلَهُ ... ﴾
١٦٠	٢٣٨	﴿ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينِينَ ﴾
١٦٨	٢٤٣	﴿ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾
١٣٧	٢٤٤	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾
٢٧٤ ، ١٠٨	٢٤٦	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِئِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى ﴾
١١٠	٢٤٧	﴿ أَنِّي يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ ﴾
٩٢	٢٤٨	﴿ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ ﴾
١٩١ ، ١٢٢	٢٤٩	﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ... كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾
١١٣	٢٥٣	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلْتُمَا ﴾
٩٨	٢٥٥	﴿ لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ﴾
١٧٠ ، ١٥٧ ، ٩٨	٢٥٥	﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ ... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٣١ ، ١٣١	٢٥٧	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا... وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَآؤُهُمْ الطَّغُوتُ﴾
١٠٨	٢٥٨	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَآجَّ إِزْرَهُمْ فِي رَبِّهِمْ﴾
١١٠	٢٥٩	﴿أَنِّي يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾
١٠٨	٢٦٠	﴿قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِن﴾
٢١٥	٢٦١	﴿مِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمِثْلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ﴾
٢١٢	٢٦٤	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمِثْلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾
٢١٥ ، ٢١٤	٢٦٥	﴿وَمِثْلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيْتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمِثْلِ حَبَّةٍ بَرْبَوَةٍ﴾
٢٤٦	٢٦٨	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾
١٢١	٢٧١	﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ﴾
٢١٣ ، ١٨٧	٢٧٥	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾
١٥٤ ، ١٠٣	٢٨٢	﴿ أَنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى... وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾
١٣١	٢٨٣	﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
١٤٣	٢٨٥	﴿ لَا تَفْرُقْ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ﴾
٢٨٥ ، ١٦٠ ، ١٠٥	٢٨٦	﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا... رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ... أَنْتَ مَوْلَانَا ﴾
سورة آل عمران		
١٩٥	٥	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾
١٤٢	٩	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾
٢٦٩ ، ١٦٨	١٣	﴿ فِئْتَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ ﴾
١٠٩	٢٠	﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسَلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ ءَأَسَلَمْتُمْ ﴾
٢٣١ ، ١٧٠	٢١	﴿ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾
١٨٥	٢٣	﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾
١١٠	٢٥	﴿ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
٢٧٥	٢٦	﴿ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ﴾
٢٦٤	٣٢	﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٣١ ، ٢١٣ ، ١٧٨	٣٦	﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ... أُعِيدُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾
٢٢٦ ، ٦٤	٤٠	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴾
١٧٦	٤٩	﴿ قَدْ جِئْتُمْ بِنَايَةٍ... إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ ﴾
١٤٤	٥٧.٥٦	﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعَذِبْنَاهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾
٢٤٠	٦٠	﴿ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَاتَكُن مِّنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾
٢٨٨	٦١	﴿ نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾
١٦٢	٦٢	﴿ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾
١٧٧	٧٣	﴿ قُلْ إِنَّا أَلْهَدِي هُدَى اللَّهِ ﴾
٦٤	٩٣	﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ ﴾
١٨٥	٩٧	﴿ فِيهِ ءَايَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا ﴾
٢٥٠ ، ٢٤٩	١٠٦	﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾
١٥٨	١٠٩	﴿ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿الْأُمُور﴾
٢١١	١١٧	﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾
١١٤	١١٨	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ﴾
١٤٥	١١٩	﴿قُلْ مَوْتُوا بِعِظَتِكُمْ﴾
١١٥	١٣٠	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾
٢٠٩	١٣٣	﴿عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾
١٢١	١٣٦	﴿وَنِعَمَ أَجْرَ الْعَمِلِينَ﴾
٦٢	١٤٠	﴿وَتِلْكَ الْآيَاتُ نَدَاؤُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾
٢٥١	١٥٦	﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِأَخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا عُزَّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾﴾
٢٤٦	١٦٠	﴿إِن يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۗ وَإِن يَخَذِلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِّن بَعْدِهِ﴾
٢٣١ ، ٦٥	١٧٧	﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾
٦٥	١٨٢	﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾
١٧٥	١٩٤	﴿رَبَّنَا وَعَانِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ إِنَّكَ

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿لَا تُخَلِّفُوا الْمِعَادَ﴾
١٠٥	١٩٦	﴿لَا يُغْرِنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَلَدِ﴾
١٠٥	١٩٧	﴿مَتَعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمِهَادُ﴾
سورة النساء		
١٠٤	٥	﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ﴾
٢٢٥	١٠	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾
٢٤٥	١٦	﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنَّهَا مِنْكُمْ فَتَاذُوهُمَا﴾
٢٥٦	٢٠	﴿وَمَا آتَيْتُمُ إِحْدَهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونََهُ بَهْتِنًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾
١٨٨	٢٤	﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾
١٩٢	٢٨	﴿وَحَلِيقِ الْإِنْسَانِ ضَعِيفًا﴾
١٣٤	٢٩	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾
١٠٤	٣٢	﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾
٨١، ٧٥	٣٦	﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا... إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُحْتَالًا فَخُورًا﴾
٢٥٦	٤٠	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾
٢٤١	٤٣	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى﴾
١٨٨	٥٢.٥١	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ

الصفحة	رقمها	الآية
		يَالْحِجْبَتِ وَالطَّغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَتُّؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن نَّجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
١٥٤ ، ١٥٣	٦١	﴿رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾
٢٤٦	٧١	﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾
١١٣	٧٣	﴿يَلِيَّتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾
١٨٤	٧٦.٧٥	﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَآءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾
١٣٧	٧٨	﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾
٢٧٠	٨٣	﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ﴾
٥٢ ، ٥٢	٨٧	﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾
٥٣	٨٩	﴿حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾
٥٣	٩١	﴿فَخَذُوهُمْ وَأَقْلُبُوهُمْ حَيْثُ تَفَقَّطْتُمُوهُمْ﴾
٢٠١ ، ١٩٧	٩٢	﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهَا إِلَّا أَن يَصَدَّقُوا فَإِن كَانِ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٧٩	٩٥	﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحَسَنَىٰ﴾
١٩٨	١٠١	﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾
٨٨ ، ٥٢	١٢٢	﴿وَعَدَا اللَّهُ حَقًّا... وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾
١٦٧	١٢٣	﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾
٢٧٧	١٢٦	﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾
١٦٦ ، ١٣٦	١٢٧	﴿وَتَرَعْبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾
٨٢	١٢٩	﴿وَإِنْ نُصَلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾
٢٨٩	١٣٥	﴿إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾
٢٧٧ ، ٢٥٨ ، ٧٧	١٤٢	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾
١٦٧	١٥٧	﴿قَتَلْنَا الْمَسِيحَ... وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ﴾
٨١	١٦٤	﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾
٢٦٨ ، ٢٤٦ ، ١٦٨	١٦٥	﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾
٢٢٥ ، ٦٦	١٧١	﴿وَكَالِمَتُهَا أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾
سورة المائدة		
١٩٢ ، ١٨٩	٣	﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾
١٩٨ ، ١٢٨ ، ١٢٥	٦	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ... لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾
٢٧٢ ، ١٤٠	١٢	﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ﴿١٩﴾﴾
٢٢٦	١٩	﴿مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ﴿٢٧﴾﴾
٢٤١	٢٧	﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ ﴿٢٢٢﴾﴾
٢٢٢ ، ٨٢ ، ٧٧	٦٤	﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴿٤٤﴾﴾
٤٤	٨٩	﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴿٢٥٩﴾﴾
٢٥٩	١١٩	﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٧﴾﴾
٢٨٧	١٢٠	سورة الأنعام
١٩٥ ، ١٥٩	٥٩	﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٢٤٠﴾﴾
٢٤٠	٧٧	﴿لَيْنِ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿١٩١﴾﴾
١٩١	٩٣	﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴿٨٠﴾﴾
٨٠	١٠٣	﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴿١٦٧﴾﴾
١٦٧	١٥٢	﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ ﴿١٦٠﴾﴾
١٦٠	١٦٣	سورة الأعراف
١٨٧	٢٦	﴿وَلِبَاسِ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ﴿١٨٧﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٤٣	٢٨	﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنْ أَمَرَ اللَّهُ لَأُؤْمِرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾
٤٨	١٤١	﴿ وَإِذْ أَخْبَرْنَا لَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يَقْنِلُونَ إِبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ﴾
٢٨٥ ، ١٠٥	١٥٠	﴿ فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ ﴾
١٥٤	١٧٠	﴿ وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكَذِبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴾
٢١٧	١٧٦.١٧٥	﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكُهُ يَلْهَثُ ﴾
سورة الأنفال		
٢٥٨	٣٠	﴿ وَيَمَكُرُ اللَّهُ ﴾
٢١١	٣٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾
٧٧	٧١	﴿ وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ﴾
سورة التوبة		
٩٣	٤	﴿ ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُواكُمْ شَيْئًا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة. ، ١٥٧	١٨	﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴾
١٠٢	٢٤	﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾
١٢٧	٦٠	﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾
١٦٩	٦٥	﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَاتِهِ وَرَسُولِهِ ءَكُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾
٢٥٦	٨٠	﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴾
١٢٧	١٠٠	﴿ وَالسَّيْفُوتِ الْأَوْلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ﴾
سورة يونس		
١٤٧	٥	﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِنَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۗ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾
٢٧٢	٢٢	﴿ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بَحْرًا ﴾
٨٠	٢٦	﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾
١٩٩ ، ١٩٩	٣٨	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا مِن أَسْطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
١٨٩	٩١	﴿ ءَأَكْفُرُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾
١٩٩	١٠٦	﴿ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ﴾
سورة هود		
١٧٣	١	﴿ الرَّكْنُ أَكْرَمُ ءَايَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلَتْ ﴾
١٩٩ ، ٣٧	١٣	﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ ۚ مُفْتَرِيَاتٍ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		﴿وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْظَمَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
٢٤٩	١٠٥	﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾
٢٤٩	١٠٨	﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا﴾
سورة يوسف		
١٢٤	٢	﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾
٧٢	١٨	﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾
٢٢٦، ٦٤	٣٦	﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرِنِّي أَخَصِرُ خَمْرًا﴾
١٨٤	٥٣	﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾
٦٠، ٦٠، ٦١	٨٢	﴿وَسَأَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾
٢٢٦، ٦٧		
١٠٣	١٠١	﴿أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّالِحِينَ﴾
سورة الرعد		
٢١٦	١٤	﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ﴾
٢٠٨	٣٥	﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ﴾
٩٨	٤٣	﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا﴾
سورة إبراهيم		
١٨٣، ٤٨	٦	﴿يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدْحِجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾
٣٤	٩	﴿الْمَرْيَاتِ كُنَّ نَبَوًّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمٌ نُوحٍ وَعَادٍ وَتَمُودٌ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الحجر		
﴿ رَبَّمَا يَوْدُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾	٢	١٢٢
﴿ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ، وَنَفَخْتَ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، ﴾	٢٩	٥٣
﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾	٣٥	٥٢
سورة النحل		
﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ ﴾	٤٤	٢٢٦ ، ٦٤
﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾	٥٣	٨٣
﴿ تَاللَّهِ لَتَسْتَأَنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴾	٥٦	١١٨ ، ١١٨
﴿ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ نَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ﴾	٦٧	٢٤١
﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ ﴾	٨١	٢٧٥ ، ٢٦٩
﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾	٩٦	١٦٠
﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	١٠١	١٧٧
سورة الإسراء		
﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾	٨٨	١٩٩ ، ٣٧ ، ٢٨
سورة الكهف		
﴿ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرْشِدًا ﴾	١٧	٨٩
﴿ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴾	٢٤	١٢٣ ، ١٢٣
﴿ فَعَسَىٰ رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا ﴾	٤٠	١٢٣

الصفحة	رقمها	الآية
		حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَبِيبًا زَلْفًا ﴿١٣٥﴾
١٣٥	٤٦	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴿٤٦﴾﴾
١١٥	٤٩	﴿يُوَيْلِنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴿٤٩﴾﴾
٤٥	٦٩	﴿سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا ﴿٦٩﴾﴾
٤٣	٧١	﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾﴾
٤٣	٧٤	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتَنِي زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾﴾
٤٣	٧٥	﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾﴾
٦١ ، ٥٩	٧٧	﴿فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَأَا أَن يُضَيَّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾
٢٣٨	٨٣	﴿عَنْ ذِي الْقَرْيَيْنِ ﴿٨٣﴾﴾
٢٣٨	١٠٥	﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾
١٥٨ ، ١٠٢	١١٠	﴿أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَجِدُّهُ... فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴿١١٠﴾﴾
سورة مريم		
٢٤٠	٢٨	﴿يَتَأَخَذَ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾﴾
١١٧	٣٨	﴿اسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصُرْ ﴿٣٨﴾﴾
سورة طه		
٢٢٢	٥	﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾
٢٦٥ ، ٢٦٤	٧٠	﴿قَالُوا أَمْ نَمَاتُ بِرَبِّ هَرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾
سورة الأنبياء		

الصفحة	رقمها	الآية
٥١	٥٣	﴿ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عِبْدِينَ ﴾
٢٥٤	٦٣	﴿ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ ﴾
١٧٩	٧٩-٧٨	﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَايَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴾
١٠٩	١٠٨	﴿ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
سورة الحج		
١٨٠	٢٦	﴿ رَبِّ هَذَا الْبَيْتِ ... وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ ﴾
١٧١	٢٨	﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ ﴾
١٨٨	٧٣	﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ. ﴾
٢٢٥	٧٧	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا ﴾
سورة المؤمنون		
٩٥	١٥	﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴾
سورة النور		
١٣٠	١١	﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ ﴾
سورة الشعراء		
١٦٢	٤٠	﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ ﴾
٥١	٧٤	﴿ كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١١٣	١٠٢	﴿قُلُوا أَنْ لَنَا كَرَّةٌ فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾
٢٨	١٧١	﴿إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ﴾
سورة النمل		
١٠٧	٦٠	﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ مِنَ اللَّهِ﴾
١٩٩	٦٢	﴿أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾
١٨٠	٩١	﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ عَبَّدَ رَبِّ هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّذِي حَرَّمَهَا﴾
سورة القصص		
١٦٦	٢٥.٢٤	﴿فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ فَجَاءَهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّكَ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ، وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقِصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
١٩٠	٤٩	﴿قُلْ فَاتَّبِعُوا بِيَأْتِي مِنَ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾
سورة العنكبوت		
٢١٦	٤١	﴿مَثَلُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ أَخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾
٢١٤	٤٣	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾
٣٢	٤٩	﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبْنِتُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾
١١٣	٦٤	﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الروم		
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾	٥٤	٢٤٥
سورة لقمان		
﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾	٣	٥٠
﴿وَلِينَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾	٢٥	٧٦
﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾	٣٤	١٩٥
سورة الأحزاب		
﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾	٢٦	١٣١
﴿فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنِينَ مِنكُمْ﴾	٢٩	١٥٢
﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾	٣٥	١٥٢
﴿تُرْجَىٰ مِنْ نَشَاءِ مَنْهِنَ وَتُعْوَىٰ إِلَيْكَ مِنْ نَشَاءِ وَمَنِ ابْنَعَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَبْنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آيَبْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾	٥١	١٧٧
سورة سبأ		
﴿هَلْ نَدُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُبْسِتُكُمْ إِذَا مَرَقْتُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ﴾	٧	٥٢
﴿أَنْ أَعْمَلَ سَبِيغَتٍ﴾	١١	٢٠١
﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾	٣٣	٦٧
﴿ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾	٤٢	١٣٠

الآية	رقمها	الصفحة
سورة فاطر		
﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾	٤٤	٢٤٥
سورة يس		
﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ﴾	٢	١٤١
﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾	١٢	٢٣٥
﴿وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾	١٣	٢٨٧، ٢١٢
﴿وَمَا أَنْزَلْنَا الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾	١٥	١٦٣
﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا إِنَّكَ لَمُرْسِلُونَ﴾	١٦	٩١، ٩٦
﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ﴾	١٧	١٦٣
﴿قَالُوا طَئِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾	١٩	١٦٨، ١٣٦
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنْ لَا يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾	٢١.٢٠	١٨٣
﴿يَنْحَسِرُوا عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾	٣٠	١٥٩، ٦٣
﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُّظْلِمُونَ﴾	٣٧	٢٣٢
﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾	٤٧	٢٨٩
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا﴾	٧١	٦٥
﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾	٧٢	٢٦٧

الصفحة	رقمها	الآية
١٩٦	٨٢	﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾
سورة الصفات		
٢٦٩	٥	﴿ وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ﴾
٧٩	١٢	﴿ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴾
٢١٨	٤٩	﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾
١٨٤	٦٤	﴿ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴾
٢١٨ ، ٢١٦	٦٥	﴿ طَلَعَهَا كَأَنَّه رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴾
٩٠	٦٦	﴿ فَأَنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا فَمَا لَوْ مِنْهَا ﴾
٢٦٨ ، ١٦٨	٧٢	﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنذِرِينَ ﴾
١١١	٨٧	﴿ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٢٥٣	٨٩-٨٨	﴿ فَظَنرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾
١١١	٩٢	﴿ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴾
٢٤٦	١٠١	﴿ فَبَشِّرْنَهُ ﴾
٢٥٣ ، ٤٥	١٠٢	﴿ قَالَ يَبْنَئِي إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ آتِيَّكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى ۗ قَالَ يَا بَتِ أَعْلَى مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴾
٢٨٣	١٤٧	﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾
٤٧	١٧٥-١٧٤	﴿ فَنُوحِ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴾
٢٦٥ ، ٢٣٠	١٧٧	﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴾
٤٧	١٧٩-١٧٨	﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصَرُونَ ﴾
سورة ص		

الصفحة	رقمها	الآية
١٥٣ ، ٤٤	٤	﴿ وَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذٰبٌ ﴾
٢٤٧	٢٨	﴿ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾
٢٥٠	٥٤	﴿ إِنَّ هَذَا لَرْزُقْنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾
١٠٢	٥٧	﴿ فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاقٌ ﴾
١٦٩	٦٣	﴿ اتَّخَذْنَهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾
١٥٨	٦٥	﴿ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾
١٥٠	٧٤-٧١	﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰئِكَةِ إِنِّي خَلِيقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلٰئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ ﴾
٧٩ ، ٥٣ ، ٥٣ ١٥١	٧٥	﴿ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي ﴾
٥٣ ، ٥٢	٧٨	﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾
١١٧	٨٢	﴿ قَالَ فِعْرَنُكَ لَأُعْوَِبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
سورة الزمر		
٢٨٦	٣٦	﴿ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ﴾
سورة غافر		
٣٥	٢٠١	﴿ حَمَّ ﴿١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتٰبِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾
١١١	٩	﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
٢٢٥	١٣	﴿ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾
١٢٩	١٤	﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٦١	١٥	﴿إِنَّ الْخٰسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾
١٦٦	١٩	﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾
٣٨	٢٣	﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشٰهِدًا مَّثَانِي تَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾
١٥٢	٣٢	﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾
٢٣٥ ، ١٧٤ ، ١٢٤	٣٧.٣٦	﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُنْ أَبْنِي لِي صِرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمٰوٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰ إِلٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذٰلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾
١٢٩	٣٨	﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾
١٨٧	٤٠	﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا أَثْمَارَهَا وَمَنْ عَمِلَ صٰلِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾
٢٤٠	٤٣	﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحٰبُ النَّارِ﴾
١٢٩	٤٤	﴿لَهُ، مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
١٦٩	٥٦	﴿وَإِنْ كُنْتَ لِمِنَ السَّٰخِرِينَ﴾
٨٢	٦٧	﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ وَالسَّمٰوٰتُ مَطْوِيٰتٌ بِيَمِينِهِ﴾
سورة فصلت		

الصفحة	رقمها	الآية
٢٦٢ ، ٣٥	٣٠١	﴿حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كَتَبْتُ فَصَّلْتُ ءَايَاتِهِ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾
٩٣	٤٦	﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾
سورة الشورى		
٩٤ ، ٨٢ ، ٧٧ ، ٧٦	١١	﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
سورة الزخرف		
٥٠	٢٢	﴿وَأَنَا عَلَىٰ ءَأْتِرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾
٥١ ، ٥٠	٢٣	﴿... إِنَّا وَجَدْنَا ءَابَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَأْتِرِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾
سورة الدخان		
١٦٣	٦	﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾
١٠٧	١٣	﴿أَنِّي لَهُمُ الذَّكْرَىٰ﴾
٢٣١	٤٩-٤٧	﴿حُدُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صَبُؤْا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾
سورة الجاثية		
٥٠	١١	﴿هَذَا هُدًى﴾
سورة محمد		
٧٢	٢١	﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾
سورة الحجرات		
١٢١	١١	﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا

الصفحة	رقمها	الآية
		أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَرُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴿١١﴾
٢١٧	١٢	﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾
٢٠٠	١٤	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾
سورة ق		
٤٤	٢	﴿بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكٰفِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾
٣٩	١٨	﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾
٨٠	٣٥	﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾
٨٩	٤٥	﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾
سورة الذاريات		
٤٤	١٦	﴿ءَاخِذِينَ مَا ءَانَّهُمْ رَبُّهُمْ﴾
١١٧	٢٣	﴿فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾
خطأ! الإشارة المرجعية غير معرفة. ١٦٣	٢٨	﴿وَبَشِّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ﴾
سورة الطور		
٩٠	١٧	﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي جَنَّتِ وَنَعِيمٍ﴾
٤٤	١٨	﴿فَكَهَيْنَ بِمَاءِ الْيَمِّ رَبُّهُمْ﴾
١٠٣	١٩	﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٩٩ ، ١٩٥	٣٤	﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ﴾
سورة النجم		
١٩٠	١٣	﴿ وَلَقَدْ رَأَاهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴾
١٩٠ ، ١٨٩	١٦	﴿ إِذِغْشَى السَّيِّدَةَ مَا يُغْشَى ﴾
١٢٢	٢٦	﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾
١٠٧	٣٥	﴿ أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى ﴾
٢٤٥	٤٣	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴾
٢٤٥	٤٤	﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾
سورة القمر		
١٩٦	٢	﴿ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا ﴾
٩٢	٤	﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴾
٢١٢	٧	﴿ خُشْعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ ﴾
٢٦٤ ، ٤٥	٢٠	﴿ تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾
١٠٩	٤٠	﴿ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾
سورة الرحمن		
١٥٠	٢٢	﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴾
٢٠٩	٢٤	﴿ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴾
٢٤٧	٢٧.٢٦	﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَإِنَّ ﴿٢٦﴾ وَيَسْئَلُ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾
٢٨٥	٢٨	﴿ فَيَأْتِيءُ الْآيَةَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴾
١٥٦	٧٢	﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴾
سورة الواقعة		

الصفحة	رقمها	الآية
٢٥١	١٠٨	﴿ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّيِّئُونَ السَّيِّئُونَ ﴾
١٧٨	٧٧-٧٦	﴿ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُ لَقَرْنٌ كَرِيمٌ ﴾
١٠٧	٨٠	﴿ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
١٠٧	٨١	﴿ أَفِيْهَذَا الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُّدْهِنُونَ ﴾
سورة الحديد		
٢٤٦	٣	﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ﴾
١٧٩	١٠	﴿ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَّنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلِ أَوْلِيَّكَ أَعْظَمَ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكَلَّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحَسَنَى ﴾
٢٨٥ ، ٢٠٩	٢١	﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ﴾
سورة المجادلة		
٢٠١ ، ١٩٨	٣	﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ﴾
سورة الممتحنة		
١١٣	٢	﴿ وَوَدُّوا لَوْ تُكْفِرُونَ ﴾
سورة الصف		
٢٧٤ ، ١٠٨	١٠	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تَجْرُقٍ ﴾
سورة الجمعة		
٢١٧	٥	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾
٥١ ، ٥١	٧	﴿ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
سورة المنافقون		
﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرَهُمْ﴾	٤	١٦٢
سورة التحريم		
﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّى مَرْضَاتٍ أَرْوٰجِكَ وَاللَّهُ عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾	١	١٨٨ ، ١٠٦
سورة الملك		
﴿ءَأَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْمَلُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ﴾	١٧.١٦	٢٣٨
سورة القلم		
﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾	٩	٤٦
سورة الحاقة		
﴿الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾	٣.١	خطأ! الإشارة المرجعية غير معروفة. ، ١١٠
﴿كَانَتْهُمْ أَعْجَازٌ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾	٧	٢٦٤ ، ٤٥
سورة المزمل		
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً﴾	١٦.١٥	١٩٢ ، ١٩٠ ، ١٩٠
سورة القيامة		
﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	٢.١	١١٧ ، ٩٢
﴿وَجْهٌ يُومِئِدُ تَائِبَةً﴾	٢٢	٨٠

الآية	رقمها	الصفحة
سورة الإنسان		
﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	٢	١٦٣
سورة النبأ		
﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾	١٤	٢٣٢
﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾	١٨	١٦٨
﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا﴾	٣٢-٣١	١٣٥
سورة النازعات		
﴿قُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَزَكَّى﴾	١٨	١٠٩
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى ﴿٣﴾ أَوْ يَذُكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ أَمَا مِنْ أَسْتَغْنَى ﴿٥﴾ فَأنتَ لَهُ تَصَدَّى ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى ﴿٧﴾ وَأَمَا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَى ﴿٩﴾ فَأنتَ عَنْهُ تُلَهَّى﴾	١٠-١	١٤٢ ، ١٢٥
﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُهُ﴾	١٧	٢٧٥ ، ١٢٠
سورة التكوير		
﴿وَالْأَثَلِ إِذَا عَسَّسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ﴾	١٨-١٧	٢٤٥
سورة الانفطار		
﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا قَدَمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾	٥	١٩٤
﴿كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿١﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَنِينٍ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٢-٩	٢٣٥
سورة المطفيين		

الصفحة	رقمها	الآية
٨٠	١٥	﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾
١٣٦	٢٣	﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾
٢٧٣ ، ٢٣٨	٢٦	﴿فَلْيَتَنَفَّسِ الْمُنْفَسُونَ﴾
٢٧٤	٢٨	﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾
سورة الانشقاق		
٩١	١٩.١٦	﴿فَلَا أَقْسِمُ بِالْشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾
سورة البروج		
٢٦١	٨	﴿وَمَا نَقْمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾
سورة الطارق		
١١٨	١	﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾
١١٨	٣	﴿النَّجْمِ الثَّاقِبِ﴾
٢٥٨ ، ٧٦	١٦.١٥	﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾
سورة الغاشية		
٢٧٤ ، ١٠٨	١	﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾
١٣٤	١٧	﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾
سورة الفجر		
١١٣	٢٣	﴿وَأَنِّي لَهُ الْذَكْرَى﴾
١١٣	٢٤	﴿يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدِمْتُ لِحَيَاتِي﴾
سورة البلد		
١١٨	٢٠.١	﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾
سورة الشمس		

الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۙ﴾ ٣ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۙ﴾ ٤	٤.٣	٢٤٥
سورة الليل		
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۙ﴾ ١ ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۙ﴾ ٢ ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ﴾	٣.١	٢٤٤ ، ١١٩
سورة الضحى		
﴿وَالضُّحَىٰ﴾ ١ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ ٢ ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ ٣ ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ ٤ ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾	٥.١	٢٦٥
﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾ ٦ ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ ٧ ﴿وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾	٨.٦	٢٦٥ ، ١٣٦
سورة الشرح		
﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾	١	٢٨٦ ، ٢٧٤ ، ١٠٨
﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٥ ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾	٦.٥	١٩٢ ، ٤٩
سورة القدر		
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾	١	٦٤
﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾	٢	١١٠
﴿نَزَّلَ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ فِيهَا﴾	٤	١٧١
﴿سَلَّمَ هِيَ حَتَّىٰ مَطَلَعِ الْفَجْرِ﴾	٥	١٣٠
سورة القارعة		
﴿الْقَارِعَةُ﴾ ١ ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ ٢ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ ٣	٣.١	١١٠
﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾	٧	٢٣٥
سورة العصر		

الصفحة	رقمها	الآية
١٩٢	٢.١	﴿وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾
سورة قريش		
١٨٠	٣	﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾
سورة الكوثر		
٢٧٢	٢.١	﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾
سورة الكافرون		
٢٨٥ ، ٤٦	٢	﴿لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾
٤٦	٤.٣	﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدْتُمْ﴾
سورة النصر		
١٧١	١	﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	طرف الحديث	م
١٢٧، ١٢٦	أبدأ بما بدأ الله به...	١
٥٧	الأبرص والأقرع والأعمى...	٢
٨١	أحد جبل يحبنا ونحبه...	٣
١١٥	إذا سمعت الله يقول: (يا أيها الذين آمنوا)...	٤
١٦	إن هذا يوم رخص لكم فيه أن ترموا جمرة العقبة...	٥
١١١	أنا أغنى الشركاء عن الشرك...	٦
٢٠٨	إنكم سترون ربكم كما ترون القمر...	٧
٢٦٣	إنما هذا من إخوان الكهَّان...	٨
٧٧	الحرب خدعة...	٩
٢٣٨	حيث يطلع قرن الشيطان...	١٠
٢٨٤	الخيول معقود في نواصيها الخير...	١١
٢١٧	الذي يتكلم يوم الجمعة والإمام يخطب كمثل الحمار...	١٢
٢١٧	العائد في هبته كالكلب يقيء...	١٣
١٧	غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم...	١٤
٢٦٣، ٢٦٣	قضاء الله أحق...	١٥
٧٧	لا تحن من خانك...	١٦
١٧	لا يمس القرآن إلا طاهر...	١٧
٤٩	لن يغلب عسر يسرين...	١٨
٢٨٣	المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف...	١٩
٩٩	من تشبه بقوم فهو منهم...	٢٠
٥٩	هذا جبل يحبنا ونحبه...	٢١
١٤٩	هو الطهور ماؤه الحل ميتته...	٢٢
٦٢	يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر وأنا الدهر...	٢٣

٦٢	يحبنا ونحبه...	٢٤
٧٩	يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة...	٢٥

فهرس الأبيات الشعرية

م	أول البيت	آخر البيت	البحر	القائل	الصفحة
١	ألا ليت الشباب يعود	المشيبي	الوافر	أبو العتاهية	١١٢
٢	ولا عيب فيهم غير	الكتائب	الطويل	النابعة الذبياني	٢٦٠
٣	وبدا الصباح كأن	يمتدح	الكامل	محمد بن وهب	٢١٣
٤	أقامت به حتى ذوى	الفجر	الطويل	ذو الرمة	٦٨
٥	وإن صخرًا لتأتم	نار	البيسط	الخنساء	٢٠٩
٦	وإذا المنية أنشبت	تنفع	الكامل	أبو ذؤيب الهذلي	٢٣٠
٧	عباسُ عباسُ إذا	ربيع	الكامل	أبو نواس	٢٧٠
٨	أمن ربحانة الداعي	هجو	الوافر	عمرو بن معديكرب	٢٨٤
٩	بني غدانة ما إن أنتم	الخزف	البيسط	-	٢٨٩
١٠	ألا أيها الليل الطويل	بأمثل	الطويل	امرؤ القيس	٦٤
١١	لا قوم أكرم من تميم	كالآجال	الكامل	جرير	٦٨
١٢	فقلت لها يا أم	أديمي	الطويل	أرطاة بن سهية	٦٨
١٣	أنا ابن أباة الضيم	المعادن	الطويل	الطرماح	٢٨٩
١٤	لقد تركتني كأسها	كالظن	الطويل	أبو تمام	٦٩
١٥	من رحمة ونحوها	لهجته	الرجز	السفاري	٥٨

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	العَلَم	م
١٠	عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر آل سعدي	١
١٢	عبد الرحمن بن يوسف الأفريقي	٢
١١	عبد الرزاق بن عطية بن عبد البر النوبي	٣
١٢	عبد العزيز بن عبد الله بن باز	٤
١٢	عبد العزيز بن ناصر الرشيد	٥
١٢	محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي	٦

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب المطبوعة:

- ١- ابن عثيمين الإمام الزاهد: ناصر الزهراني، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، الدمام.
- ٢- الإبهاج شرح المنهاج: للتاج السبكي ، ط/١ بيروت ، سنة ١٤٠٤هـ.
- ٣- الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ، مطبعة مصطفى البابي، مصر.
- ٤- إثبات القول بالمجاز عند أئمة أهل السنة والجماعة: الدكتور: يوسف العليوي. بحث، نشر في العدد الثالث من مجلة الجمعية العلمية السعودية للغة العربية.
- ٥- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية: محمد بن قيم الجوزية. تحقيق: عواد المعتق، الطبعة الثانية، مكتبة الرشد، ١٤١٩هـ.
- ٦- أحكام من القرآن الكريم: محمد بن عثيمين، جمع عبد الكريم المقرن، دار طويق، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ.
- ٧- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ٨- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي الطبعة الثانية، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م، بيروت.
- ٩- أساس البلاغة: محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- ١٠- أساليب بلاغية: أحمد مطلوب، نشر وكالة المطبوعات، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

- ١١- أسرار البلاغة: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: ه. ريتز، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، طبعة مصورة عن مطبعة وزارة المعارف، اسطنبول.
- ١٢- الأسماء والصفات: أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: عبد الله الحاشدي، مكتبة السوادي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، جدة.
- ١٣- الأصمعيات: عبد الملك بن قريب الأصمعي، تحقيق: أحمد شاکر وعبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.
- ١٤- أصول في التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي.
- ١٥- الأصول من علم الأصول: محمد بن صالح بن عثيمين، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، الرياض.
- ١٦- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: إبراهيم بن محمد عصام الدين الإسفراييني، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، بيروت.
- ١٧- إعجاز القرآن الكريم: فضل عباس، وسناء عباس، دار الفرقان للنشر، الطبعة الرابعة، ١٤٢٢هـ.
- ١٨- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية: مصطفى صادق الرافعي، الطبعة التاسعة، ١٣٩٣هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٩- إعجاز القرآن: أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة.
- ٢٠- إغاثة الجموع بترجيحات ابن عثيمين في البيوع: محمد بعسوس العمري، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، دار ابن الجوزي، الرياض.
- ٢١- الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، دار الفكر، بيروت، الطبعة الثانية.

- ٢٢- ألوان من البديع: عبد الله عليه حسن، دار الأرقم، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م، الزفازيق.
- ٢٣- الأمالي: هبة الله بن علي بن حمزة العلوي بن الشجري، تحقيق: محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، القاهرة.
- ٢٤- الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: عبد المجيد قطامش، دار المأمون للتراث، دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.
- ٢٥- الأمثال: أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي البغدادي، تحقيق: عبد المجيد قطامش، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ، دار المأمون للتراث.
- ٢٦- الإنصاف في مسائل الخلاف: أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، دار الفكر، بيروت.
- ٢٧- أنوار الربيع في أنواع البديع: ابن معصوم المدني، تحقيق: شاكر هادي شكر، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، مطبعة النعمان، النجف.
- ٢٨- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصاري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، ١٣٩٩هـ، دار الجيل بيروت.
- ٢٩- الآيات البينات على شرح المحلي على جمع الجوامع: ابن قاسم العبادي، مطبعة بولاق / ١٢٨٩م.
- ٣٠- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني، دراسة وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي دار الجيل، الطبعة الثالثة، بيروت.
- ٣١- الإيضاح في علوم البلاغة: جلال الدين محمد بن عمر القزويني، دار إحياء العلوم، الطبعة الرابعة، ١٩٩٨م، بيروت، (النسخة المعتمدة).
- ٣٢- الإيمان: أحمد بن تيمية، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٠١هـ، بيروت.

- ٣٣- البحث البلاغي عند ابن تيمية: إبراهيم التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، نادي القصيم الأدبي ببريدة.
- ٣٤- البحر المحيط في التفسير: محمد بن يوسف الشهرير بأبي حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، المكتبة التجارية لمصطفى الباز، ١٤١٢هـ.
- ٣٥- البحر المحيط: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، تحقيق: جماعة من علماء الأزهر، دار الكتبي، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٣٦- البديع في نقد الشعر: أسامة بن منقذ، تحقيق: د. أحمد أحمد بدوي، ود. حامد عبد المجيد، القاهرة، ١٣٨٠هـ/١٩٦٠م.
- ٣٧- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن: كمال الدين الزملاكاني، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ بغداد.
- ٣٨- البرهان في علوم القرآن: محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم/ دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ.
- ٣٩- البرهان في متشابه القرآن: محمود بن حمزة الكرماني، تحقيق: عز الدين عبد الله خلف الله، الطبعة الثانية، دار صادر، ١٤١٧هـ، بيروت.
- ٤٠- البرهان في وجوه البيان: إسحاق بن إبراهيم بن وهب، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، ١٣٨٧هـ، بغداد.
- ٤١- البصائر والذخائر: أبو حيان علي بن محمد التوحيدي، تحقيق: وداد القاضي، دار النشر: دار صادر، بيروت/ لبنان، ١٤١٩هـ/ ٩٩٩م، الطبعة: الرابعة.
- ٤٢- بغية الإيضاح: عبد المتعال الصعيدي، الناشر: مكتبة الآداب، الطبعة السابعة عشرة، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- ٤٣- البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها: عبد الرحمن الميداني، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، دار القلم، دمشق.
- ٤٤- البلاغة الواضحة: علي الجارم ومصطفى أمين، ١٩٩٩م، دار المعارف.
- ٤٥- البلاغة فنونها وأفنانها: فضل حسن عباس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.
- ٤٦- البلاغة في ضوء مذهب السلف في الاعتقاد: عبد المحسن العسكر، ضمن بحوث ندوة (الدراسات البلاغية الواقع والمأمول) بالرياض، ١٤٣٢هـ.
- ٤٧- بيان إعجاز القرآن: أحمد بن محمد الخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن.
- ٤٨- البيان في ضوء أساليب القرآن: عبد الفتاح لاشين، دار المعارف، القاهرة.
- ٤٩- البيان والتبيين: عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، الطبعة الخامسة، ١٤٠٥هـ، القاهرة.
- ٥٠- تأثير الفكر الديني في البلاغة العربية: مهدي صالح السامرائي، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ، دمشق.
- ٥١- تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، طبعة المطبعة الخيرية-مصر، ١٨٨٨م.
- ٥٢- تأويل مشكل القرآن: عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ، دار التراث، القاهرة.
- ٥٣- التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين أحمد بن عماد الشافعي، تحقيق: ضاحي عبد الباقي محمد، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م، دار الغرب الإسلامي.

- ٥٤- التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن على طريق الإلتقان: طاهر الجزائري
الدمشقي، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، الطبعة الثالثة، ١٤١٢هـ، مكتبة المطبوعات
الإسلامية بـجلب.
- ٥٥- تحرير التحرير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن: ابن أبي الإصبع
المصري، تحقيق: حفني شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ، القاهرة.
- ٥٦- التدمرية: أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية: تحقيق: محمد السعوي، مكتبة العبيكان،
الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، الرياض.
- ٥٧- التذكرة الحمدونية: محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون، أبو المعالي، تحقيق:
إحسان عباس وبكر عباس، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ٥٨- التصوير البياني: محمد أبو موسى، ١٤٠٠هـ، مكتبة وهبة، القاهرة.
- ٥٩- التعبير القرآني والدلالة النفسية: عبد الله محمد الجيوسي، رسالة دكتوراه في التفسير
وعلموه إلى الجامعة الإسلامية العالمية في ماليزيا، دار الغوثاني للدراسات القرآنية،
٢٠٠٧م.
- ٦٠- التعبير القرآني: فاضل السامرائي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ، دار عمار، عمان.
- ٦١- تفسير ابن أبي حاتم الرازي: عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الرازي ابن أبي حاتم،
مكتبة نزار مصطفى الباز، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.
- ٦٢- تفسير التحرير والتنوير: محمد بن طاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس.
- ٦٣- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، الطبعة الأولى، دار طيبة،
١٣٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٦٤- تفسير القرآن الكريم الفاتحة - البقرة: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة
الأولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي.

- ٦٥- تفسير القرآن الكريم جزء عم: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، دار الثريا للنشر.
- ٦٦- تفسير القرآن الكريم سورة آل عمران: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي.
- ٦٧- تفسير القرآن الكريم سورة الصافات: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الثريا.
- ٦٨- تفسير القرآن الكريم سورة الكهف: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، دار ابن الجوزي.
- ٦٩- تفسير القرآن الكريم سورة النساء: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، دار ابن الجوزي.
- ٧٠- تفسير القرآن الكريم سورة ص: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار الثريا.
- ٧١- تفسير القرآن الكريم سورة يس: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار الثريا للنشر.
- ٧٢- تفسير القرآن الكريم: الحجرات، ق، الذاريات، الطور، النجم، القمر، الرحمن، الواقعة، الحديد: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار الثريا للنشر.
- ٧٣- التفسير الكبير: محمد بن عمر الرازي، إحياء التراث العربي، الطبعة الثالثة.
- ٧٤- تفسير سورة الأحزاب: محمد بن صالح بن عثيمين، بخط أحد تلاميذه.
- ٧٥- تفسير سورة الأعراف: محمد بن صالح بن عثيمين، بخط أحد تلاميذه (تفريغ شريط)

- ٧٦- تفسير سورة الزمر: محمد بن صالح بن عثيمين ، بخط أحد تلاميذه (تفريغ شريط) .
- ٧٧- تفسير سورة النور: محمد بن صالح بن عثيمين ، بخط أحد تلاميذه (تفريغ شريط) .
- ٧٨- تفسير سورة سبأ: محمد بن صالح بن عثيمين بخط أحد تلاميذه (تفريغ شريط) .
- ٧٩- تفسير سورة غافر: محمد بن صالح بن عثيمين بخط أحد تلاميذه (تفريغ شريط) .
- ٨٠- تقريب التدمرية: محمد بن صالح بن عثيمين، دار الوطن، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، الرياض.
- ٨١- التلخيص المعين على شرح الأربعين: محمد بن صالح بن عثيمين، موقع مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية.
- ٨٢- التلخيص في علوم البلاغة: جلال الدين القزويني، تحقيق: عبد الرحمن البرقوقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، دار الكتاب العربي، بيروت.
- ٨٣- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، مكتبة الأوس، ١٣٨٧هـ.
- ٨٤- التنبيهات السننية على العقيدة الواسطية: عبد العزيز الناصر الرشيد، الطبعة الثانية، ١٤١٦هـ، دار الرشيد للنشر، الرياض.
- ٨٥- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٨٦- التوجيه البلاغي لآيات العقيدة في القرنين السابع والثامن الهجريين: يوسف بن عبد الله العلوي، (رسالة ماجستير مطبوعة)، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٩هـ.

- ٨٧- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: تحقيق: محمد زغلول سلام، ومحمد خلف الله، دار المعارف، ١٩٦٨هـ.
- ٨٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.
- ٨٩- الجامع الصحيح (سنن الترمذي): محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، شرح وتحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث.
- ٩٠- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٩١- الجامع لحياة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -العلمية والعملية وما قيل فيه من المراثي: وليد بن أحمد الحسين، من إصدارات مجلة الحكمة، ٢٠٠٢م.
- ٩٢- جلسات رمضان: محمد بن صالح بن عثيمين، موقع مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية.
- ٩٣- الجمان في تشبيهات القرآن: عبد الله بن محمد بن نايقا البغدادي، دار الفكر المعاصر للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.
- ٩٤- جمع الجوامع: لعبد الوهاب السبكي (ت ٧٧١هـ) مع حاشيته للشيخ حسن العطار، ط/مصطفى محمد الحلبي، مصر.
- ٩٥- جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن: أحمد البريدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
- ٩٦- جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز: محمد الحمد، الطبعة الأولى، دار ابن خزيمة للنشر، ١٤٢٢هـ، الرياض.
- ٩٧- جواهر البلاغة: أحمد الهاشمي، الطبعة الثانية عشرة، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- ٩٨- حاشية الدسوقي على شرح السعد: دار السرور، بيروت.
- ٩٩- حاشية القونوي على تفسير الإمام البيضاوي ومعه حاشية ابن التمجيد: الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ١٠٠- حاشية محيي الدين زاده على تفسير البيضاوي: المطبعة المعمورة السلطانية، ١٢٨٣هـ، القسطنطينية.
- ١٠١- حدائق السحر في دقائق الشعر: رشيد الدين محمد وطواط، دار الفكر العربي للطباعة والنشر.
- ١٠٢- حسن التوسل: شهاب الدين الحلبي، تحقيق: أكرم عثمان يوسف، ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م، بغداد.
- ١٠٣- الحقيقة والمجاز في القرآن: علي حسين، دار الرشيد، بغداد، الطبعة الأولى/١٩٩١م.
- ١٠٤- حلية اللب المصون على الجوهر المكنون: أحمد الدمهوري، مطبوع على حاشية عقود الجمان للسيوطي، ١٣٥٧هـ، مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- ١٠٥- حلية المحاضرة في صناعة الشعر: محمد بن الحسن الحاتمي، تحقيق: جعفر كتاني، دار الرشيد، ١٩٧٩م، العراق بغداد.
- ١٠٦- الحيوان: عمرو بن بحر الجاحظ، دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ.
- ١٠٧- الحيوان: للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، مكتبة مصطفى الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ.
- ١٠٨- خريدة القصر وجريدة العصر: عماد الدين الأصفهاني: محمد بهجة الأثري، الناشر: المجمع العراقي، وزارة الإعلام العراقية.

- ١٠٩- خزانة الأدب وغاية الأرب: علي بن حجة الحموي، تحقيق: عصام شعيتو، دار الهلال، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، بيروت.
- ١١٠- خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ، القاهرة.
- ١١١- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، الطبعة الثانية، ١٣٧١هـ، بيروت.
- ١١٢- دراسة المتشابه اللفظي من آي التنزيل في كتاب ملاك التأويل: محمد فاضل السامرائي، (رسالة ماجستير مطبوعة)، طبع ونشر دار عمار في عمان، ٢٠٠٦م.
- ١١٣- درة التنزيل وغرة التأويل: محمد بن عبد الله الأصبهاني الخطيب الإسكافي، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، الرياض.
- ١١٤- دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجاني، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٢٤هـ.
- ١١٥- ديوان أبي تمام بشرح التبريزي: محمد عبده عزام، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.
- ١١٦- ديوان الطرماح: عزة حسن، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، دار الشرق العربي، بيروت.
- ١١٧- ديوان المعاني: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الناشر دار الجيل، بيروت.
- ١١٨- ديوان النابغة الذبياني: تحقيق: عباس عبد الستار، دار الكتب العلمية، ١٤١٦هـ.
- ١١٩- ديوان الهذليين: الشعراء الهذليين، تحقيق: أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، الناشر: دار الكتب المصرية، سنة النشر: ١٣٨٥هـ.
- ١٢٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: محمود شكري الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

- ١٢١- الروض المربع شرح زاد المستقنع ومعه حاشية للشيخ محمد بن عثيمين: منصور البهوتي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، دار المؤيد، الرياض.
- ١٢٢- روضة الفصاحة: زين الدين الرازي، تحقيق: أحمد النادي شعلة، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ، دار الطباعة المحمدية، مصر.
- ١٢٣- زهر الآداب وثمر الألباب: أبو إسحاق الحصري القيرواني، تحقيق: زكي مبارك، الطبعة الرابعة، ١٩٧٢م، الناشر: دار الجيل، بيروت.
- ١٢٤- سر الفصاحة: أبو محمد عبد الله بن سنان الخفاجي الحلبي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ١٢٥- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ.
- ١٢٦- سنن ابن ماجه: محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر.
- ١٢٧- سنن أبي داود: دار الكتاب العربي، بيروت.
- ١٢٨- سنن الدارمي: عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار القلم، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- ١٢٩- سنن النسائي الصغرى بشرح السيوطي وحاشية السندي: أحمد بن شعيب النسائي، مكتب تحقيق التراث الإسلامي، دار المعرفة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
- ١٣٠- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم: هبة الله بن حسن الطبري اللالكائي، تحقيق: أحمد بن سعد الغامدي، الطبعة الرابعة، ١٤١٦هـ، دار طيبة للنشر، الرياض.
- ١٣١- شرح الأربعين النووية: محمد بن صالح بن عثيمين، دار الثريا للنشر، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

- ١٣٢- شرح الأصول من علم الأصول: محمد بن صالح بن عثيمين، دار ابن الجوزي، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ١٣٣- شرح الألفية لابن الناظم: محمد باسل عيون السود، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، دار الكتب العلمية.
- ١٣٤- شرح التدمرية: محمد بن صالح بن عثيمين، موقع مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية.
- ١٣٥- شرح التصريح على التوضيح لألفية ابن مالك: خالد عبد الله الأزهرى، دار إحياء الكتب العربية، دار الفكر.
- ١٣٦- شرح التلخيص: أكمل الدين البابرتي، تحقيق: محمد مصطفى رمضان، الطبعة الأولى، ١٣٩٢هـ، المنشأة العامة، طرابلس، ليبيا.
- ١٣٧- شرح العقيدة السفارينية: محمد بن صالح بن عثيمين، تعليق: إسلام منصور عبد الحميد، دار البصيرة، مصر.
- ١٣٨- شرح العقيدة الواسطية: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
- ١٣٩- شرح ألفية ابن مالك: محمد بن صالح بن عثيمين، موقع مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية.
- ١٤٠- الشرح الممتع على زاد المستقنع: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، مؤسسة آسام للنشر، الرياض.
- ١٤١- شرح دروس البلاغة: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، دار الضياء.
- ١٤٢- شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، مدار الوطن للنشر، الرياض.

- ١٤٣- شرح صحيح البخاري: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، مكتبة الطبري، مصر.
- ١٤٤- شرح عقود الجمان: جلال الدين السيوطي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الثانية، ١٣٥٨هـ، مصر.
- ١٤٥- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، دار ابن الجوزي، القاهرة.
- ١٤٦- شرح مقدمة التفسير: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، دار الوطن، الرياض.
- ١٤٧- شرح منظومة القواعد والأصول: محمد بن صالح بن عثيمين، موقع مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية.
- ١٤٨- شروح التلخيص وبالهامش كتاب الإيضاح: القزويني وحاشية الدسوقي على شرح السعد: دار الإرشاد الإسلامي، بيروت.
- ١٤٩- الشيخ ابن عثيمين كما عرفته (شريط): الشيخ: خالد المصلح.
- ١٥٠- الصاحبى فى فقه اللغة: أحمد بن فارس، مطبعة عيسى البابى الحلبي.
- ١٥١- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل البخاري، دار السلام، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.
- ١٥٢- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ١٥٣- صحيح وضعيف سنن أبي داود: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.
- ١٥٤- صحيفة البلاد: العدد رقم: ١٦٢٣٣، ١٤٢١هـ.
- ١٥٥- صحيفة الجزيرة: العدد رقم: ١٠٣٤٧، ١٤٢١هـ.

- ١٥٦- صحيفة عكاظ: العدد رقم: ١٢٥٥٦، ١٤٢١هـ.
- ١٥٧- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ، بيروت.
- ١٥٨- عبد الرزاق عفيفي ومعالم منهجه الأصولي (بحث): عبد الرحمن السديس، مجلة البحوث الإسلامية، العدد ٥٨، ١٤٢٠هـ.
- ١٥٩- العجاب في بيان الأسباب: أحمد بن حجر العسقلاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار ابن حزم، بيروت.
- ١٦٠- عروس الأفراح: بهاء الدين السبكي، دار السرور، ضمن شروح التلخيص، بيروت.
- ١٦١- العقد الثمين من قواعد الشيخ ابن عثيمين: رائد باجوري، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار القاسم للنشر، الرياض.
- ١٦٢- علم البديع: محمود المراغي، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، ١٩٩٩م.
- ١٦٣- علم البيان: بدوي طبانة، دار الثقافة، بيروت.
- ١٦٤- علم المعاني: عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، ١٤٠٨هـ، بيروت.
- ١٦٥- علم المعاني: محمود أحمد نحلة، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ، دار العلوم العربية، بيروت.
- ١٦٦- العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة: الخامسة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ١٦٧- عيار الشعر: محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق: عبد العزيز المانع، دار العلوم، ١٤٠٥هـ.
- ١٦٨- فتاوى نور على الدرب: محمد بن صالح بن عثيمين، موقع مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية.

- ١٦٩- فتاوى ورسائل الشيخ عبد الرزاق عفيفي: وليد بن إدريس بن منسي والسعيد بن صابر عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار الفضيلة، الرياض.
- ١٧٠- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن: أبو يحيى زكريا الأنصاري، تحقيق: محمد علي الصابوني، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ، عالم الكتب.
- ١٧١- فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ، مدار الوطن للنشر، الرياض.
- ١٧٢- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية: سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بالجمل، المطبعة العامرة، مصر.
- ١٧٣- فقه العبادات: محمد بن صالح بن عثيمين، راجعه وخرّج أحاديثه: محمد محمد تامر، مكتبة الإيمان - المنصورة.
- ١٧٤- فنون بلاغية (البديع - البيان): أحمد مطلوب، منشورات دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع - الكويت الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ.
- ١٧٥- الفوائد السعدية من المواعظ الربانية من تفسير تيسير الكريم المنان في تفسير كلام الرحمن: عبد الرحمن السعدي، إعداد: عبد الله المسعود، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، دار الشريف.
- ١٧٦- الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان: ابن القيم، تحقيق: محمد عثمان الخشت، مكتبة القرآن، القاهرة.
- ١٧٧- في الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم: وليد قصاب، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، دار القلم للنشر، دبي.
- ١٧٨- في البلاغة العربية (علم البيان): عبد العزيز عتيق: دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ، بيروت.

- ١٧٩- القاموس المحيط: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.
- ١٨٠- قضية الفصل والوصل بين المفردات عند البلاغيين: محمد الصامل، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ، كنوز أشبيليا، الرياض.
- ١٨١- قطر الندى وبل الصدى: عبد الله بن يوسف، جمال الدين، ابن هشام، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت-صيدا.
- ١٨٢- قواعد الشعر، أحمد بن يحيى ثعلب: محمد خفاجي، الطبعة الأولى، ١٣٦٧هـ، مصطفى البابي الحلبي.
- ١٨٣- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى: محمد بن صالح بن عثيمين، دار الوطن، ١٤٢١هـ، الرياض.
- ١٨٤- القول المفيد على كتاب التوحيد: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ، دار ابن الجوزي، الدمام.
- ١٨٥- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد: محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- ١٨٦- كتاب الإيمان: لابن تيمية، ط/٢، المكتب الإسلامي، بيروت.
- ١٨٧- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٠٦هـ.
- ١٨٨- الكتاب لسبويه: عبد السلام هارون، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـ، عالم الكتب بيروت.
- ١٨٩- الكشاف: محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

- ١٩٠- كفاية المعاني في حروف المعاني: عبد الله الكردي البيتوشي، تحقيق: شفيع برهاني، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ، دار اقرأ، بيروت.
- ١٩١- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكوفي، تحقيق: عدنان درويش - ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة/ بيروت، ١٤١٩هـ.
- ١٩٢- اللباب في علوم الكتاب: أبو حفص عمر بن علي الدمشقي الحنبلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، (دار الكتب العلمية/ بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م).
- ١٩٣- لسان العرب: محمد بن مكرم بن منظور المصري، دار الفكر، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
- ١٩٤- لقاءات الباب المفتوح: محمد بن صالح بن عثيمين، موقع مؤسسة الشيخ ابن عثيمين الخيرية.
- ١٩٥- مؤسسة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين: عبر الشبكة العنكبوتية.
- ١٩٦- مباحث في إعجاز القرآن: مصطفى مسلم، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار المنارة، جدة.
- ١٩٧- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: ضياء الدين بن الأثير، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ، دار الرفاعي، الرياض.
- ١٩٨- المجاز المرسل والكناية: يوسف أبو العدوس، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨م.
- ١٩٩- المجاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع: عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، القاهرة.

المجاز في اللغة والقرآن: محاضرة للدكتور عبد المحسن العسكر، الجمعية السعودية للقرآن الكريم ، ١٤٢٩هـ.

<http://www.alquran.org.sa>

- ٢٠٠- مجموع فتاوى ابن تيمية: أحمد بن عبد الحلیم الحراني، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ.
- ٢٠١- مجموعة فتاوى ورسائل الشيخ محمد بن صالح العثيمين: جمع: فهد السليمان، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، دار الثريا للنشر.
- ٢٠٢- مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر الرازي، تحقيق: محمود خاطر وحمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة، الطبعة السابعة، ١٤١٨هـ.
- ٢٠٣- مختصر الصواعق المرسله: لابن القيم، اختصار محمد بن الموصلي دار الندوة الجديدة ، بيروت.
- ٢٠٤- مختصر الصواعق: ابن القيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، ١٤١٤هـ، القاهرة.
- ٢٠٥- المختصر على تلخيص المفتاح: سعد الدين التفتازاني، دار السرور، بيروت.
- ٢٠٦- مختصر مغني اللبيب عن كتب الأعراب: محمد بن صالح بن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، مكتبة الرشد.
- ٢٠٧- مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.
- ٢٠٨- مسند الإمام أحمد: أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار الفكر.

- ٢٠٩- مشكاة المصابيح: الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ، المكتب الإسلامي.
- ٢١٠- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية/ بيروت.
- ٢١١- مصنف ابن أبي شيبة: عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبو شيبة، تحقيق: أسامة بن إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى.
- ٢١٢- المطول: سعد الدين التفتازاني، مطبعة أحمد كامل، ١٣٣٠هـ، تركيا.
- ٢١٣- معاني القرآن: للفراء.
- ٢١٤- معاني القرآن: يحيى بن زياد الفراء، تحقيق: أحمد تجاتي ومحمد النجار، دار السرور.
- ٢١٥- معترك الأقران في إعجاز القرآن: جلال الدين السيوطي، تحقيق: أحمد شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢١٦- المعجزة الكبرى القرآن: محمد أبو زهرة، ١٤١٨هـ، دار الفكر العربي، القاهرة.
- ٢١٧- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.
- ٢١٨- معجم القواعد العربية في النحو والتصريف: عبد الغني الدقر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٢هـ، دار القلم.
- ٢١٩- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٣هـ.
- ٢٢٠- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: عبد الله بن عبد العزيز البكري، تحقيق: جمال طلبة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

- ٢٢١- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام هارون - دار الجليل، الطبعة الثانية.
- ٢٢٢- مغني اللبيب عن كتب الأعراب: أبو محمد عبد الله الأنصاري ابن هشام: تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٢هـ).
- ٢٢٣- مفتاح العلوم: أبو يعقوب السكاكي، تحقيق: نعيم زرزور، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ٢٢٤- مفردات غريب القرآن: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، المحقق: صفوان عدنان الداودي/ الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.
- ٢٢٥- مقامات الحريري: القاسم بن علي الحريري، شرح عيسى سابا، ١٤٠٥هـ، دار بيروت.
- ٢٢٦- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظي من آي التنزيل: أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: سعيد الفلاح، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- ٢٢٧- الملل والنحل: للشهرستاني، تحقيق: محمد كيلاني / مطبعة مصطفى الحلبي ١٣٩٦هـ.
- ٢٢٨- من بلاغة المتشابه اللفظي في القرآن الكريم: محمد بن علي الصامل، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار إشبيليا، الرياض.
- ٢٢٩- مناهل العرفان في علوم القرآن: محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.
- ٢٣٠- منتهى الطلب من أشعار العرب: جمع: محمد بن المبارك بن ميمون. تحقيق: د. محمد نبيل طريفي. دار النشر: دار صادر، ١٩٩٩م.

- ٢٣١- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع: أبو محمد محمد القاسم السجلماسي، تقديم وتحقيق: علال الغازي، الرباط مكتبة المعارف الجديدة/١٩٨٠م.
- ٢٣٢- منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز (ضمن أضواء البيان): محمد الأمين الشنقيطي، طبع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء، ١٤٠٣هـ، الرياض.
- ٢٣٣- مواهب الفتح في تلخيص المفتاح: ابن يعقوب المغربي، دار السرور، بيروت. ضمن شروح التلخيص.
- ٢٣٤- موطأ مالك بن أنس برواية أبي مصعب الزهري: مالك بن أنس، تحقيق: بشار عواد ومحمود محمد خليل، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.
- ٢٣٥- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن: محمد عبد الله دراز، تحقيق: عبد الحميد الدخاخيني، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار طيبة للنشر، الرياض.
- ٢٣٦- نثر الورود على مراقبي السعود: شرح الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: محمد ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، دار المنارة، الطبعة الأولى.
- ٢٣٧- النداء في اللغة والقرآن: أحمد محمد فارس، دار الفكر اللبناني الطبعة: الأولى، ١٩٨٩م.
- ٢٣٨- النظم القرآني في آيات الجهاد: ناصر الحنين، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، مكتبة التوبة، الرياض.
- ٢٣٩- نقائص جرير والفرزدق: جمع الإمام اللغوي أبي عبيدة معمر بن المثنى، دراسة وتحقيق انتولي أشلي بيفان، ليدن، ١٩٠٥م.
- ٢٤٠- نقد الشعر: قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد خفاجي، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة.

- ٢٤١- نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله ﷻ من التوحيد: رشيد الأملعي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، مكتبة الرشد للنشر، الرياض.
- ٢٤٢- النكت في إعجاز القرآن: علي بن عيسى الرماني، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول، ضمن ثلاث رسائل، دار المعارف، الطبعة الرابعة، القاهرة.
- ٢٤٣- نهاية الأرب في فنون الأدب: شهاب الدين أحمد النويري، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
- ٢٤٤- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز: فخر الدين الرازي، تحقيق: بكري شيخ أمين، الطبعة الأولى، ١٩٨٥م، دار العلم للملايين، بيروت لبنان.
- ٢٤٥- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: جلاء الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، المكتبة التوفيقية، مصر.
- ٢٤٦- الوساطة بين المتنبي وخصومه: القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق: محمد أبو الفضل وعلي البجاوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت.

ثانيا: الرسائل العلمية:

- ١- أسلوب الإنشاء في سور المفصل: للدكتور: عبدالمحسن العسكر، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية في الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٣هـ.
- ٢- البحث البلاغي عند ابن قتيبة: محمد الصامل، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية في الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٢هـ.
- ٣- البحث البلاغي عند زين الدين الرازي: عبد العزيز الدعيلج، رسالة ماجستير في كلية اللغة العربية في الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١٧هـ.

٤ - بلاغة القرآن الكريم في سور (حم): الدكتور عبد العزيز الدعيلج، رسالة دكتوراه في كلية اللغة العربية في الرياض، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٢٣هـ.

فهرس الموضوعات

٣	المقدمة
٤	أهمية الموضوع وأسباب اختياره
٤	أهداف البحث
٥	الدراسات السابقة حول الموضوع
٥	خطة البحث
٦	منهج البحث
٩	التمهيد
١٠	١- لمحة عن حياة الشيخ ابن عثيمين
١٠	نسبه ومولده
١٠	عصره وحياته العلمية
١٣	أعماله ونشاطه العلمي
١٤	شيوخه
١٥	تلاميذه
١٥	صفاته الشخصية
١٨	ثناء العلماء عليه
١٩	وفاته
٢٢	٢- آثار الشيخ ابن عثيمين
٢٦	٣- عنايته بالدرس البلاغي
٢٧	الفصل الأول: القضايا البلاغية
٢٨	المبحث الأول: وجوه إعجاز القرآن الكريم
٢٨	تعريف الإعجاز
٢٨	من وجوه إعجاز القرآن
٢٩	وجوه الإعجاز عند الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -
٢٩	أولاً: تعريفه للإعجاز

٣٣	ثانيا: وجوه الإعجاز في القرآن الكريم عند الشيخ
٣٥	أولا: الحروف المقطعة في أوائل السور
٣٦	ثانيا: الصرفة
٣٧	ثالثا: قصة التحدي
٣٩	المبحث الثاني: المتشابه اللفظي
٣٩	تعريفه لغة
٤٠	تعريفه اصطلاحًا
٤٠	فوائد علم المتشابه اللفظي
٤١	المتشابه اللفظي عند ابن عثيمين
٥٣	المبحث الثالث: المجاز
٥٣	تعريفه لغةً
٥٣	والمجاز في الاصطلاح
٥٤	موقف العلماء من المجاز
٥٥	المجاز عند ابن عثيمين
٥٦	أولا: في منعه للمجاز
٦٢	ثانياً: في تطبيقه للمجاز
٦٥	الرد على أسباب منع المجاز
٧٤	المبحث الرابع: التوجيه البلاغي في آيات العقيدة
٨٣	الفصل الثاني: علوم البلاغة في تفسيره
٨٤	المبحث الأول: في علم المعاني
٨٧	(١) الخبر والإنشاء
٨٧	الخبر
٨٨	أغراض الخبر
٨٩	أضرب الخبر
٩٧	أسلوب النفي

- الإنشاء ٩٨
- أولاً: الإنشاء الطلبي ٩٩
- ١- الأمر ٩٩
- ٢- النهي ١٠٣
- ٣- الاستفهام ١٠٥
- ٤- التمني ١١٢
- ٥- النداء ١١٤
- ثانياً: الإنشاء غير الطلبي ١١٦
- ١- القسم ١١٧
- ٢- التعجب ١١٩
- ٣- أسلوب المدح والذم ١٢٠
- ٤- الجمل المصدرية بـ(رُبَّ) و(كَمْ) الخبرية ١٢٢
- ٥- الترجي ١٢٣
- (٢) التقديم والتأخير ١٢٦
- أولاً: التقديم للعليّة ١٢٨
- ثانياً: لإفادة الحصر ١٢٩
- ثالثاً: لبيان أهمية المقدم وعظم أمره ١٣٠
- رابعاً: مراعاة للفاصلة ١٣٠
- خامساً: لشدة الحكم ومراعاة اللفظ ١٣٠
- سادساً: للاستبشار والتبرك بلفظ الجلالة ١٣٠
- سابعاً: لشدة التحذير والتنبيه وإفادة الحصر الإضافي ١٣١
- (٣) الذكر والحذف ١٣٣
- أولاً: أغراض الذكر ١٣٤
- ١- الأهمية ١٣٤
- ٢- العموم ١٣٤
- ٣- الظهور والبيان ١٣٤

- ١٣٥..... ٤- الفخر.....
- ١٣٥..... ٥- العظم والتنوع.....
- ١٣٥..... ثانيا: الحذف.....
- ١٣٥..... ١- إفادة العموم.....
- ١٣٣..... ٢- العلم به.....
- ١٣٩..... (٤) خروج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.....
- ١٣٩..... أولا: الالتفات.....
- ١٤١..... ١- الالتفات من الغيبة إلى الخطاب.....
- ١٤٢..... ٢- الالتفات من الخطاب إلى الغيبة.....
- ١٤٣..... ٣- الالتفات من الغيبة إلى التكلم.....
- ١٤٤..... ٤- الالتفات من التكلم إلى الغيبة.....
- ١٤٦..... ثانيا: الأسلوب الحكيم.....
- ١٤٩..... ثالثا: التغليب.....
- ١٥١..... رابعا: وضع الظاهر موضع المضمهر.....
- ١٥٦..... (٥) القصر.....
- ١٥٧..... أولا: القصر بالنفي والإثبات.....
- ١٥٣..... ثانيا: القصر بإنما.....
- ١٥٣..... ثالثا: القصر بطريق التقديم والتأخير.....
- ١٥٥..... رابعا: القصر بتعريف الطرفين.....
- ١٥٩..... (٦) الإيجاز والإطناب.....
- ١٥٩..... أولا- الإيجاز.....
- ١٦٣..... ثانيا- الإطناب.....
- ١٦٤..... ١- ذكر الخاص بعد العام والعكس.....
- ١٧٢..... ٢- الإيضاح بعد الإبهام.....
- ١٧٥..... ٣- التكرار.....
- ١٧٦..... ٤- الاعتراض.....

١٧٨.....	٥- الاحتراز أو الاحتراس
١٨١.....	(٧) الفصل والوصل
١٨٦.....	(٨) التعريف والتنكير
١٨٦.....	أولاً: التعريف
١٨٦.....	١- التعريف بالإشارة
١٨٧.....	التشريف بالمشار إليه وعلو مكانته
١٨٧.....	التحقير بالمشار إليه
١٨١.....	الإشارة إلى تبين الأحكام
١٨١.....	٢- التعريف بالموصول
١٨١.....	إفادة العموم والشمول
١٨١.....	الإبهام
١٨٢.....	٣- التعريف بأل
١٨٢.....	لام العهد
١٨٣.....	لام الجنس
١٨٥.....	إفادة العموم والاستغراق
١٨٥.....	٤- التعريف بالإضافة
١٨٥.....	١- التشريف
١٨٦.....	ثانياً: التنكير
١٨٦.....	١- سياق الإثبات
١٨٧.....	٢- تأتي النكرة في سياق النفي
١٨٧.....	٣- وتأتي النكرة في سياق الشرط
١٨٩.....	(٩) الإطلاق والتقيد
١٩٤.....	المبحث الثاني: في علم البيان
١٩٥.....	تعريف البيان
١٩٦.....	١- التشبيه
١٩٦.....	تعريف التشبيه

أركان التشبيه.....	١٩٦
أنواع التشبيه.....	١٩٧
وقفات الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - مع التشبيه.....	١٩٩
أداة التشبيه.....	١٩٩
٢- المجاز.....	٢١٠
تمهيد.....	٢١٠
تعريف الحقيقة.....	٢١٠
أقسام الحقيقة.....	٢١٠
أقسام المجاز.....	٢١١
علاقات المجاز المرسل.....	٢١١
المجاز المرسل وشواهدده عند الشيخ.....	٢١٥
٣- الاستعارة.....	٢٢٨
تعريف الاستعارة.....	٢٢٨
أقسام الاستعارة.....	٢٢٨
الاستعارة وشواهددها عند الشيخ ابن عثيمين في تفسيره.....	٢٣٠
تصريحه بالاستعارة الممكنة، وتعريفه لها.....	٢٣٠
المجاز العقلي.....	٢٣٤
٤- الكناية والتعريض.....	٢٣٦
تعريف الكناية.....	٢٣٦
أقسام الكناية.....	٢٣٦
الكناية وشواهددها عند الشيخ ابن عثيمين.....	٢٣٦
تعريف التعريض.....	٢٣٨
التعريض وشواهدده عند الشيخ - رحمه الله -.....	٢٣٨
المبحث الثالث: في علم البديع.....	٢٤١
١- الطباق والمقابلة.....	٢٤٣
٣- التورية.....	٢٥١

- ٢٥٤..... ٤- المبالغة
- ٢٥٦..... ٥- المشاكلة
- ٢٥٩..... ٦- تأكيد المدح بما يشبه الذم والعكس
- ٢٥٩..... أولاً: تأكيد المدح بما يشبه الذم
- ٢٦٠..... ثانياً: تأكيد الذم بما يشبه المدح
- ٢٦١..... ٧- الفواصل
- ٢٦٦..... ٨- التقسيم
- ٢٦٧..... ٩- الاكتفاء
- ٢٧٠..... الفصل الثالث: السمات البلاغية وتقويمها
- ٢٧١..... المبحث الأول: في المنهج
- ٢٧٨..... المبحث الثاني: في المصطلحات
- ٢٨٢..... المبحث الثالث: في الشواهد
- ٢٨٦..... المبحث الرابع: في المصادر
- ٢٩٠..... الخاتمة
- ٢٩٣..... الفهارس الفنية للرسالة
- ٢٩٤..... فهرس الآيات القرآنية الكريمة
- ٣٣٠..... فهرس الأحاديث النبوية
- ٣٣٢..... فهرس الأبيات الشعرية
- ٣٣٣..... فهرس الأعلام المترجم لهم
- ٣٣٤..... فهرس المصادر والمراجع
- ٣٥٨..... فهرس الموضوعات